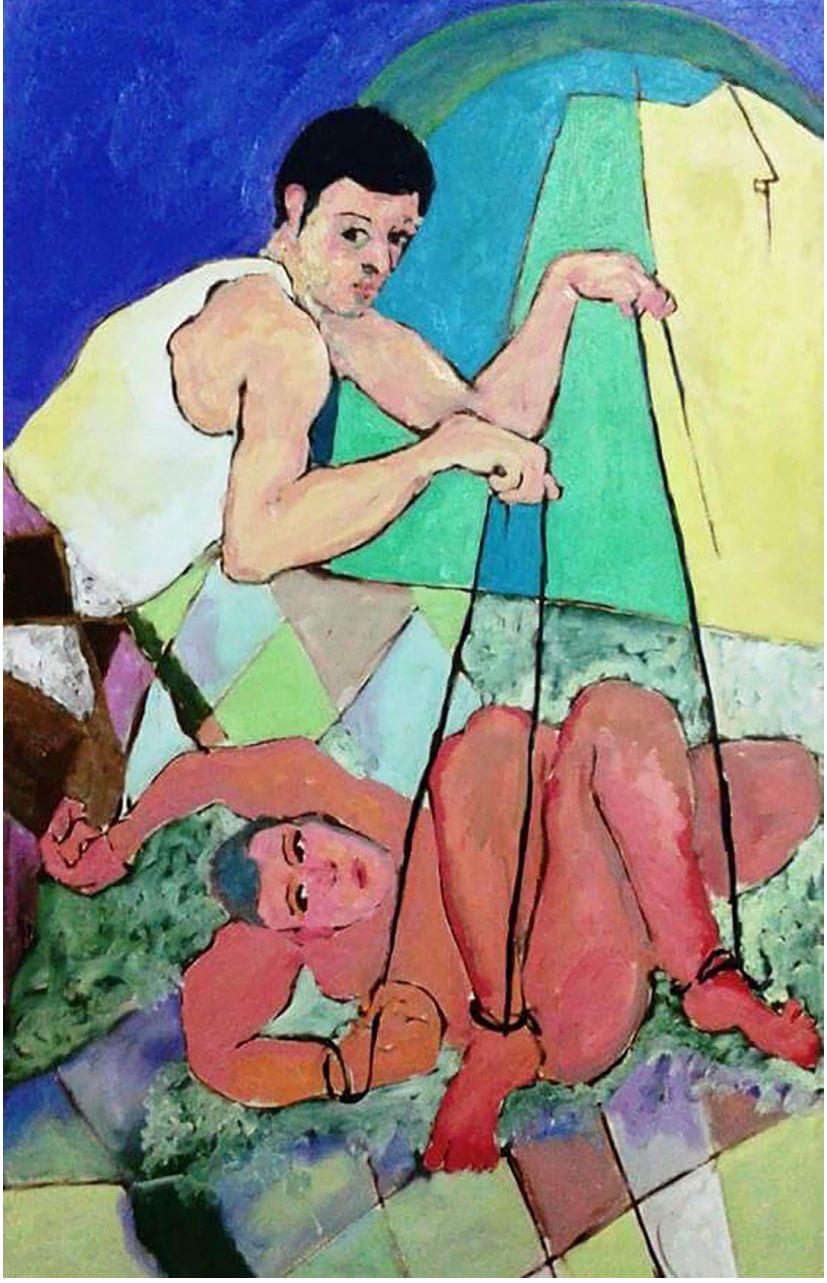

الدعم النفسي الاجتماعي والحوار
في
الجمهورية العربية السورية ولبنان

IOM
UN MIGRATION

INSTITUTE
OF LAW,
POLITICS AND
DEVELOPMENT

Scuola Superiore
Sant'Anna

إن الآراء المذكورة في هذا التقرير هي آراء المؤلفين، وهي لا تعبّر بالضرورة عن وجهات نظر المنظمة الدولية للهجرة (IOM). إن التسميات المستخدمة وعرض المواد على امتداد التقرير لا يدل بأي شكل من الأشكال على آراء المنظمة الدولية للهجرة حول الوضع القانوني لأي دولة أو أرض أو مدينة أو منطقة، أو حول سلطات هذه الأخيرة أو حدودها أو خطوطها الفاصلة.

إن المنظمة الدولية للهجرة ملتزمة بالمبدأ القائل بأن الهجرة المنظّمة والتي تتمّ بأسلوب إنساني تفيد المهاجرين والمجتمع. تعمل المنظمة الدولية للهجرة من موقعها كمنظمة حكومية دولية، بالتعاون مع شركاءها في المجتمع الدولي، على: المساعدة على التصدي للتحديات التشغيلية للهجرة؛ تحسين فهم القضايا المتعلقة بالهجرة؛ تعزيز التنمية الاجتماعية والاقتصادية من خلال الهجرة؛ والنهوض بكرامة المهاجرين الإنسانية ورفاههم.

تم تطوير هذا المنشور بمساهمة الوكالة الإيطالية للتنمية والتعاون. إن الآراء المذكورة في هذا التقرير هي آراء المؤلفين، وهي لا تعبّر بالضرورة عن وجهات نظر الوكالة.

الناشرون: المنظمة الدولية للهجرة
١٧ شارع موريون
ص.ب. ١٧
١٢١١ جنيف ١٩
سويسرا
هاتف: ٩١١١ ٧١٧ ٢٢ ٤١+
فاكس: ٦١٥٠ ٧٩٨ ٢٢ ٤١+
بريد إلكتروني: hq@iom.int
موقع إلكتروني: www.iom.int

قام بمراجعة ترجمة وتدقيق النسخة العربية :
البروفسور سليمان كاسوحة

صورة الغلاف: Untitled (بلا عنوان) بريشة أَنَس البريحي، زيتية على قماش. هذه اللوحة هي تعليق شخصي للبريحي، وهي رسام محترف وطالب في برنامج الماجستير، على أحد مناهج الدورة. © ٢٠١٤/ أَنَس البريحي

© ٢٠١٨ المنظمة الدولية للهجرة (IOM)

كل الحقوق محفوظة. لا يمكن إعادة نسخ أي جزء من هذا الإصدار، أو حفظه داخل نظام استرجاع، أو إرساله بأي شكل أو وسيلة، سواء كانت إلكترونية أو آلية، أو عبر نسخه أو تسجيله أو غيرها من الطرق، دون الموافقة الخطية المسبقة للناشرين.

الدعم النفسي الاجتماعي والحوار
في
الجمهورية العربية السورية ولبنان

إصدار من برنامج الماجستير التنفيذي المهني في الدعم النفسي الاجتماعي والحوار

رؤساء التحرير:

أندريا دي غوتري

كيارا ماكّي

غوغلييلمو سكينينا

REPVBBLICA ITALIANA

ITALIAN AGENCY FOR DEVELOPMENT COOPERATION

IOM UN MIGRATION

INSTITUTE OF LAW, POLITICS AND DEVELOPMENT

Scuola Superiore Sant'Anna

تمهيد

أكثر من ثمانية عشر مليون مدني متضررون من النزاع السوري. أكثر من خمسة ملايين مواطن سوري تركوا بلدهم وطلبوا اللجوء خارجاً، وخصوصاً في لبنان والأردن وتركيا. لقد دخلت هذه المأساة التي لا تنتهي عامها السادس.

هناك أشخاص وُلدوا داخل مخيمات اللجوء ولم يحظوا بفرصة لعيش حياة طبيعية. إن وطأة هذه الكارثة قاسية بشكل خاص على الأطفال والأجيال الناشئة، كما وعلى الأمهات والمتقدّمين في السن وذوي الاحتياجات الخاصة وكل الفئات المستضعفة من المدنيين، الذين دائماً ما يكونون أوّل ضحايا النزاعات والتهجير القسري.

تلك هي الفئات المستضعفة التي يصبّ "Cooperazione Italiana" (التعاون الإيطالي) معظم تركيزه عليها. منذ نشوء الأزمة، خصصت إيطاليا موارد ضخمة (مئة وخمسة وعشرين مليون يورو) للمساعدة على تخفيف معاناة السكان المدنيين. لقد لبّينا النداء القوي الذي أطلقه الأمين العام للأمم المتحدة "لا تتخلّوا عن أحد"، مما يعني أن نمنح الأولية في عملنا لدعم الفئات الأكثر ضعفاً والأشد تأثراً، إضافةً إلى حماية كرامة الإنسان. اختار البابا فرنسيس تكريس السنة اليوبيلية الاستثنائية لنفس مبادئ التضامن والرحمة.

نسعى إلى تحقيق هذه الأهداف بشكل أساسي من خلال استهداف تلبية الحاجات الأساسية للسكان – الطعام، والرعاية الصحية والتعليم – وأيضاً من خلال تمويل العمل الاجتماعي في لبنان والأردن. نهدف إلى توفير مصدر دخل لأرباب العائلات وإلى مساعدتهم على استعادة التقدير والاحترام. نقوم أيضاً بتقديم الدعم النفسي الاجتماعي لضحايا النزاع بهدف الوصول تدريجياً إلى شفاء جراح العنف والعنف القائم على النوع الاجتماعي.

ينشط "Cooperazione Italiana" (التعاون الإيطالي) جداً في مجال التنمية، إضافة إلى التزامه بالمساعدة الإنسانية في حالات الطوارئ، إذ أن التنمية تسمح بتحقيق هدفين. من جهة، تساهم التنمية في تعزيز دور إيطاليا السياسي في الشرق الأوسط، الذي يُعتبر منطقة استراتيجية أساسية للعلاقات والأمن الدوليين، منطقة لطالما احتلت موقعاً محورياً في السياسة الخارجية لإيطاليا. من جهة أخرى، تساعد التنمية على خلق الظروف الملائمة لبناء المجتمع المدني المحلي ولتعزيز قدرة السكان المحليين على الصمود ولصنع الترياق الأكثر فعالية ضد خطر انتشار الإيديولوجيات الراديكالية والمتطرفة في منطقة الشرق الأوسط. بشكل خاص، يركّز عملنا الحالي والمستقبلي على الأجيال الشابة، مع منح الأولوية

للتعليم والتدريب المهني. في الوقت نفسه، نسعى إلى دعم المساواة بين الرجل والمرأة بشكل مستمر، وذلك لاقتناعنا بأن مشاركة المرأة تلعب دوراً مصيرياً في بناء الشرق الأوسط الجديد.

يهدف تركيزنا على الشباب إلى الحرص على ألا ينتج عن النزاع "ضياع جيل" من السوريين. إن السماح للأطفال السوريين بالذهاب إلى المدرسة ضروري لضمان تمتّعهم ببيئة آمنة ومسالمة. إن الاستثمار في التعليم يعني منح الجمهورية العربية السورية أملاً جديداً في مستقبل يسوده السلام، إذ أن المدرسة تشكّل أفضل رادع لمخاطر العنف والتشدد. هذا الأمر لا يعني فقط التعليم المدرسي الرسمي، إنما يشمل أيضاً ما يُعرف بـ"التعليم غير الرسمي" الذي يوفّر للأطفال مساحات آمنة حيث يمكنهم اللعب وممارسة الرياضة والمشاركة في مختبرات فنية. بهذه الطريقة، يحظى الأطفال بفرصة لتنمية مواهبهم وللسعي وراء الأمور التي تثير شغفهم ولنسيان فظائع الحرب ولو لساعات قليلة. ينشط "Cooperazione Italiana" (التعاون الإيطالي) جداً في هذا المجال، خصوصاً في لبنان.

سوف نكمل هذه المسيرة طالما لزم الأمر، إلى أن ينير ضوء العقل ظلمة هذا النزاع اللامتناهي. سوف يبقى هدفنا هو نفسه: ألا نتخلى عن أحد.

لسنا وحيدين في هذا المجهود القاسي، وهذا الأمر هو مصدر إلهام بالنسبة إلينا، يدفعنا إلى مواصلة عملنا بصبر وتفانٍ. يمكننا الاعتماد على الآلاف من المتطوعين والعاملين في المجال الإنساني، شبان وشابات يتعاونون معنا على تنفيذ مشاريع الدعم الإنساني والتعاون الإنمائي العديدة القائمة في الجمهورية العربية السورية وغيرها من الدول في المنطقة.

من خلال دعم برنامج الماجستير في الدعم النفسي الاجتماعي والحوار، الذي هو مصدر هذا الإصدار، ساهمت المديرية العامة للتعاون الإنمائي لوزارة الشؤون الخارجية والتعاون الدولي في إيطاليا في تدريب مهنيين سوريين ولبنانيين سوف يقومون بتعزيز تجمّع الخبراء المحليين الملتزمين توفير دعم نفسي اجتماعي متخصص للسكان المتضررين من النزاع والهجرة.

السفير بييترو سيباستياني[*]

سفير روما، ٢٣ آب ٢٠١٧

* سعادة السفير بييترو سيباستياني هو المدير العام الأسبق للمديرية العامة للتعاون الإنمائي لوزارة الشؤون الخارجية والتعاون الدولي الإيطالية. يشغل سيباستياني حالياً موقع السفير الإيطالي لدى الكرسي الرسولي.)

شكر وتقدير

يتقدّم فريق التحرير والمنظمة الدولية للهجرة بالشكر إلى كل من ساهموا في جعل إصدار هذا المؤلف وتنظيم برنامج الماجستير التنفيذي أمراً ممكناً.

نحن ممتنّون للأبحاث والتحاليل القيّمة التي أجراها الخبراء الدوليون الثلاثة الذين ألفوا فصول هذا الإصدار ماري آدال سالم، أليساندرا روسي غيغليوني وأسامة صفا.

نتقدّم بجزيل الشكر إلى فريق الدعم النفسي الاجتماعي في المنظمة الدولية للهجرة في الجمهورية العربية السورية ولبنان، ونخصّ بالشكر أمال عطايا، مديرة المشروع؛ نسرين ياسين، منسقة الماجستير؛ ميسا حسن، موظفة وطنية، إضافة إلى رئيس بعثتي المنظمة الدولية للهجرة في كلا البلدين.

نحن أيضاً ممتنون للجامعة اللبنانية رئاسةً وكليات، وبالتحديد للرئيس ولعميد كلية العلوم الاجتماعية ولعميد كلية الفنون التطبيقية، إضافةً إلى الكلية الأساسية للدورة، من ضمنها البروفسور فريديريك معتوق، مدير الدورة؛ البروفسور نزار أبو جودة، من كبار المدرّسين؛ والبروفسور سليمان كاسوحة من جامعة دمشق.

وأخيراً، نودّ أن نشكر كل المدرّبين وخصوصاً الطلاب، على العمل الرائع الذي يقومون به وعلى التزامهم ببناء قدراتهم أكثر فأكثر بهدف خدمة الآخرين بشكل أفضل.

المحتويات

تمهيد iii
شكر وتقدير v
لائحة بالجداول والرسومات .....
توطئة ix

الفصل الأول

الدعم النفسي الاجتماعي في لبنان والجمهورية العربية السورية:
نُهُج الدعم النفسي الاجتماعي في البلدان المتضررة من الأزمة ١

١,١. مقدمة ٢
١,٢. الجراح ٥
١,٣. مفاهيم الدعم النفسي الاجتماعي والحوار ٨
١,٤. الجسور-الاستجابة في الحاضر ١٥
١,٥. توصيات حول التدخلات المستقبلية ٢٠
١,٦. خلاصة ٢٥
١,٧. لائحة بالمراجع ٢٦

الفصل الثاني

الدعم النفسي الاجتماعي والحوار في لبنان
والجمهورية العربية السورية: دور التدخلات المبنية على الفن ٢٩

٢,١. بين الفن والصحة: منشأ التدخل المبني على المسرح الاجتماعي في المجال النفسي اجتماعي ٣٠
٢,٢. المسرح الاجتماعي: بين الفن والصحة والتنوع ٣٦
٢,٣. المفاهيم الأساسية للمسرح الاجتماعي والدعم النفسي الاجتماعي ٣٩
٢,٤. المسرح والدعم النفسي الاجتماعي في إطار الماجستير التنفيذي المهني في لبنان التابع للمنظمة الدولية للهجرة في لبنان ٤٦
٢,٥. تحديات الإطار: بين الثقافة وحالات الطوارئ ٤٩
٢,٦. التدخلات المبنية على المسرح مع لاجئين سوريين ومضيف لبناني: المجموعات المستهدفة وهيكلية الأعمال الميدانية ٥٢
٢,٧. الجوانب المحورية للتدخل المبني على المسرح الاجتماعي مع مضيفين لبنانيين ولاجئين سوريين ٦١

٢,٨. توصيات إضافية حول التدخل المبني على المسرح في الدعم النفسي الاجتماعي ٦٧
٢,٩. الانتقال من التدخل على مستوى المجموعة إلى التدخل المبني على المجتمع: خطوات إضافية ينبغي اتّباعها ٧٠
٢,١٠. لائحة بالمراجع ٧١

الفصل الثالث

الدعم النفسي الاجتماعي والحوار في لبنان والجمهورية العربية السورية: نُهُج الوساطة المستخدَمة في حل النزاعات ٨٥

٣,١. مقدمة ٨٦
٣,٢. استعراض للمؤلفات ٨٦
٣,٣. تحديد النطاق الجغرافي للفصل ٩٨
٣,٤. تحديد النطاق المواضيعي للفصل ٩٨
٣,٥. تحليلات نقدية مبنية على النتائج المستخلصة من الأبحاث الميدانية وعلى المؤلفات الأدبية ذات الصلة ٩٩
٣,٦. خلاصة ١٢٢
٣,٧. لائحة بالمراجع ١٢٤

خلاصة عامة ١٢٩

لائحة بالجداول والرسومات

الجدول ١: شبكة الشدائد ١٠
الرسم ١: الجهات الفاعلة ونُهُج بناء السلام ٩٠
الرسم ٢: المراحل الممكنة لنهج متكامل للدعم النفسي اجتماعي وبناء السلام ٩٦

توطئة

يرتكز هذا الإصدار على طبعتَي برنامج الماجستير التنفيذي المهني في الدعم النفسي الاجتماعي والحوار، وهو يتألف من تحليل نقدي للأعمال الميدانية والأبحاث التي قام بها طلاب برنامج الماجستير لغرض أطروحاتهم النهائية. تنبع فكرة هذا المؤلَّف- الذي هو ثمرة المجهود المشترك الذي قام به قسم الصحة النفسية والاستجابة النفسية اجتماعية والتواصل بين الثقافات في المنظمة الدولية للهجرة ومعهد سانت آنا للدراسات المعمّقة- من الاعتراف بالصعوبة الحالية القصوى في القيام بأبحاث ميدانية في بعض المناطق التي لامستها تحاليل الطلاب، مما يجعل من الأهمية البالغة أن توضع المعطيات والمعلومات التي جمعها الطلاب في متناول الباحثين والممارسين في المجالات ذات الصلة. تمّ تقييم أطروحات الطلاب بشكل نقدي في هذا الإصدار من قبل ثلاثة خبراء دوليين متخصصين في مجالات الدعم النفسي الاجتماعي والتدخلات المبنية على الفن وإدارة الأزمات، قاموا بقراءة النتائج المستخلصة من خلال عدسة المؤلفات الأدبية المتوفّرة.

بهدف إيضاح هدف هذا الإصدار وأهميته بشكل أفضل، يجدر التذكير بكيفية نشوء فكرة برنامج الماجستير التنفيذي وبالاحتياجات المحددة التي هدف إلى تلبيتها. عام ٢٠١٢ – عقب تلك الأحداث في الجمهورية العربية السورية التي نشأت عنها أزمة معقدة ما زلنا ننتظر رؤية خواتمها، والتي قيّدت وأصابت بالشلل القدرات السياسية والدبلوماسية والإنسانية والدولية على تطبيق القانون والأخلاقيات - بدأت المنظمة الدولية للهجرة تستجيب للاحتياجات النفسية اجتماعية الناشئة لدى السوريين. في تلك المرحلة، وسط آمال بأن تتوصّل التدخلات الإنسانية الدولية أو المفاوضات السياسية إلى حل سريع للنزاع، وبسبب زيادة عدم استقرار الوضع الأمني في البلد، تم توجيه معظم المساعدات الإنسانية نحو البلدان المجاورة، حيث لجأ الملايين من السوريين المتضررين من النزاع وعدم الاستقرار السياسي وانعدام الأمان. في هذا السياق، قررت المنظمة الدولية للهجرة تطبيق نشاطاتها المتعلقة بالدعم النفسي الاجتماعي داخل أراضي الجمهورية العربية السورية، مع اعتماد برنامج يركّز على دعم وبناء قدرات الممارسين في المجال النفسي اجتماعي المحليين، وأولئك القادرين على الاستجابة في المجال الإنساني الذين لم يغادروا البلد، والذين كانوا يقدّمون المساعدة في ظل ظروف عصيبة، في معظم الأحيان، دون القدرات اللازمة للتعامل مع الصعوبات النسقية للأوضاع ومع ضخامة المشاكل وحداثتها، بينما هم أيضاً يعانون من التبعات العاطفية والاجتماعية والأنثروبولوجي لانهيار البُنى الرمزية والعلائقية للمجتمع السوري.

كان لهذا القرار علاقة في بدء هذه المبادرة، ورغبة في التواجد بالقرب من الأشخاص الذين يُحدثون فرقاً في الحياة اليومية لمعظم السوريين الذين ما زالوا يعيشون داخل البلد. إن ما دفع بالمنظمة الدولية

للهجرة إلى الانخراط في هذا المجال في البداية هي في الحقيقة سلسلة من حلقات العمل الاستشارية تمكّن رئيس قسم الصحة النفسية والاستجابة النفسية اجتماعية (MHPSS) في المنظمة الدولية للهجرة من تنظيمها في دمشق، بضعة أشهر بعد بداية الأزمة، مع ممارسين في مجال الدعم النفسي الاجتماعي ومدراء مآوٍ وغيرهم من العاملين في المجال الإنساني الذين كانوا أصلاً جزءاً من شبكة الصحة النفسية والاستجابة النفسية اجتماعية (MHPSS) في المنظمة الدولية للهجرة، وأولئك الذين اسْتُحْضِروا من قِبَلِ الهلال الأحمر السوري العربي ومفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين (UNHCR). حلقات العمل هذه سمحت للمنظمة الدولية للهجرة بالاطلاع بشكل مباشر على احتياجات هؤلاء المهنيين. بشكل عملي أكثر، كانت المنظمة الدولية للهجرة، كما العديد غيرها من المنظمات، تواجه صعوبات كثيرة في الوصول إلى السكان الأكثر تضرراً للقيام بتدخلات دعم "غير مادية". هذه التدخلات، كتدخل الدعم النفسي اجتماعي، تتطلّب من المساعدين أن يتعاملوا بشكل مباشر مع السكان المتضررين، على خلاف عملية توزيع المواد الواسعة النطاق، فكانت أكثر تعقيدًا للتنظيم. لذلك، بدا أن تمكين ودعم أولئك الذين يقومون أصلاً بتقديم الدعم لشعوبهم من مراكز ومواقع رسمية وغير رسمية متعددة، أفضل استراتيجية لدعم التدخلات النفسية الاجتماعية للمتضررين. إضافةً إلى ذلك، تحمّل فريق عمل قسم الصحة النفسية والاستجابة النفسية اجتماعية (MHPSS) في المنظمة الدولية للهجرة مسؤوليته الأخلاقية أن يكونوا قرب هؤلاء الزملاء وهذه الشبكات بعد لقاءاتهم الأولى وحلقات العمل التي شاركوا فيها معاً. تصوّر البرنامج الذي نتج عن هذا الأمر، والذي موّلته الوكالة الإيطالية للتعاون الإنمائي، مجموعة من سبل تدريب مختلفة ومتنوعة من حيث المحتوى والمدة، لفئات متنوعة من المتخصصين في مجال الدعم النفسي الاجتماعي في الجمهورية العربية السورية، إضافةً إلى تدريبات على المهارات النفسية اجتماعية موجّهة إلى المستجيبين الأوائل.

هذه التدريبات، إضافةً إلى كونها تثقيفية ومفيدة، كانت أيضاً مساحةً للاسترخاء ولإعادة صياغة تجارب الحياة بطريقة جماعية ومن خلال تبادل المعلومات. من ضمن مبادرات التدريب المختلفة، تم تصميم برنامج ماجستير تنفيذي في الدعم النفسي الاجتماعي والحوار يمتدّ على سنة واحدة، بالتعاون مع الجامعة اللبنانية وبعض الزملاء اللبنانيين في مجال الدعم النفسي الاجتماعي، وتمّ تطبيقه على جيلين من الطلاب. إنّ فكرة تنظيم برنامج ماجستير تنفيذي مهني يدرس نقاط التلاقي بين الدعم النفسي الاجتماعي والحوار في سياق الأزمة في الجمهورية العربية السورية كانت تستند إلى عدة اعتبارات. أحد هذه الاعتبارات كان محاولة تعزيز نهج نفسي اجتماعي ينظر إلى أبعد من علم النفس السريري ونماذج الصحة العامة، ليشمل الإسهامات التي من شأن طائفة أوسع من العلوم الاجتماعية والنفسية – من ضمنها علم النفس الاجتماعي والمجتمعي، علم اللغويات، الأنثروبولوجيا، الإثنوغرافيا، الفنون التطبيقية – أن تقدّمها إلى العمل الإنساني، خاصةً في مواقف كتلك التي كانت تتكشّف في الجمهورية العربية السورية، حيث تتشابك وتترابط النواحي الجيوسياسية والتاريخية والأنثروبولوجي والاجتماعية والفردية العاطفية بشكل عميق. في الحقيقة، إن الانهيار الثقافي والأنثروبولوجي والسياسي والاجتماعي

الذي تَعَرَّضَ وَيَتَعَرَّضُ له النسق السوري – وفي الوقت نفسه إعادة تعريف الهوية والعلاقات التي يفرضها التدفق السوري في الجمهورية العربية السورية كما وفي الدول المضيفة كلبنان أو جنوب تركيا، وفي مفهوم ظاهرة الهجرة بحدّ ذاتها في أوروبا – لا يمكن اختزاله في الآثار العاطفية المرضية أو السلبية التي تركها في بعض الأفراد، كما ولا يمكن لهذه الآثار أن تُعالَج من قبل مهنيين بحاجةٍ إلى فهم السياق الأكبر الذي تظهر فيه هذه الآثار.

إن محاولة البحث عن العلاقة المتبادلة بين الدعم النفسي الاجتماعي والحوار بطرق عملية ومبرمجة كانت أيضاً طريقةً للعمل على الأسباب الجذرية للنزاع، عوضاً عن حصر التدخّل بالآثار التي يمكن للنزاع أن يتركها على نفسية الفرد، ولمساعدة المهنيين على التعامل، في ميادين تدخلاتهم – ملاجئ للمهجرين داخلياً، أحياء، مجموعات غير رسمية، كنائس وجوامع، مراكز صحية، مخيّمات، منظمات غير حكومية– ليس فقط مع الجراح الشخصية إنما أيضاً الجراح بين الأشخاص، تلك التي بين السوريين، في لعبة الأدوار والهويات المتغيّرة باستمرار؛ المنسوبة أو المفترضة أو المعترض عليها؛ السياسية والدينية والشخصية التي تدور حول هذه الأزمة بالتحديد.

وفقاً للزملاء السوريين المشاركين في العمليات الاستشارية، يجب اعتبار الدعم النفسي الاجتماعي والحوار وجهين لعملة واحدة. إضافةً إلى ذلك، نقل هؤلاء الزملاء أنفسهم استياءً متزايداً من نماذج تدخل كثيرة لم ترقَ إلى مستوى الوضع القائم للأزمة. تحدّث هؤلاء الزملاء عن عدم ارتياح وعجز يكاد يصيبهم بالشلل، أو حتى عن ذنب لا يمكن تخطّيه، حتى وإن كان متوهّماً، إلا إذا حاولوا القيام بشيء ما للمساعدة على إدارة النزاع، أقلّه على المستوى المجتمعي الصغير.

قدّمت المنظمة الدولية للهجرة الدعم النفسي الاجتماعي للمهاجرين وللمجتمعات المتضررة من النزاعات منذ أواخر العام ١٩٩٠. منذ البداية، تضمّنت نشاطات بناء القدرات في المجال النفسي اجتماعي الخاصة بالمنظمة الدولية للهجرة تنظيم دورات للحصول على ماجستير تنفيذي أو دبلوم أو دورات شهادات في الهجرة والدعم النفسي الاجتماعي للمهنيين في الدول المتضررة من النزاعات، مثل كوسوفو[1] وصربيا وكولومبيا وليبيا ولبنان والجمهورية العربية السورية وتركيا. إن الدورة التي تمّ تنظيمها في الجامعة اللبنانية، وإن كانت فريدةً لأنه تمّ تفصيلها لتتناسب وخصوصيات الأزمة في الجمهورية العربية السورية، تقاسمت مع الدورات الأخرى بعض أوجه الشبه العملية والبيداغوجية، إضافةً إلى مبدأين مُلهمين. المبدأ الأول هو نهج نسقي، على سبيل المثال السعي إلى جعل الطلاب قادرين على فهم التفاعلات المعقدة بين نسق المعاني الجيوسياسية والتاريخية والشخصية والتفاعلية والإنسانية والمجتمعية والثقافية الفرعية في عمل الدعم النفسي اجتماعي الذي يقومون به. المبدأ الثاني هو مراعاة الارتباط الشديد للدعم النفسي

١ إن الإحالات إلى كوسوفو هي كما وردت في سياق القرار رقم ١٢٤٤ (١٩٩٩) الصادر عن مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة.

بالثقافة، وأن القيمة المقارنة لأي تدخل دولي في هذا المجال بالتحديد هي في المهارات التقنية التي يمكن لهذا التدخل أن يأتي بها لدعم الموارد المحلية، إذا، وفقط إذا رأت هذه الموارد المحلية أن هذه المهارات مفيدة لها ولعملها في هذا المجال. نتيجةً لذلك، تمّ تنظيم الدورة لتكون مساحةً للقاء ولتبادل المعلومات والأخلاقيات والمفاهيم بين خبراء دوليين وأكاديميين وممارسين ميدانيين، هدفهم هو ليس اقتراح نسخ ممارسات ونماذج موجودة، إنما ابتكار سرد جديد وتشاركي ونسقي للتدخلات النفسية اجتماعية في الجمهورية العربية السورية. نتج عن هذين المبدأين ملكيةٌ محلية واستمرارية ونهج قائم على المجتمع وتعددية تخصصات.

من حيث الاعتبارات العملية، تم تصميم الدورة بالتعاون مع رئاسة الجامعة اللبنانية، بطريقة تراعي المتطلبات التربوية (عدد ساعات الدورات المقدمة، الأعمال الميدانية، عمليات التقييم) للشهادة المعنية. تم تقديم الدورة بنسختيها كل نهاية أسبوعين للسماح بمشاركة المهنيين الناشطين مع السكان المتضررين. كان برنامج الماجستير مجانياً، وتم اختيار المشاركين من خلال عملية تنافسية بين مهنيين وناشطين في مجالات علم النفس والعمل الاجتماعي والتعليم والفنون التطبيقية والطب النفسي. تضمّنت الخطة التربوية محاضرات أمامية وحلقات عمل تفاعلية وتجارب محاكاة وأعمال ميدانية خاضعة للإشراف، في عملية سمحت للطلاب التعلّم بطريقة تفاعلية بأسلوب العمل بين الأقران داخل الصف في البداية، ومن ثم انتقل الطلاب إلى اختبار المهارات التي تعلّموها داخل المساحة الآمنة لحلقات العمل وتجارب المحاكاة، وأخيراً طبّقوا المهارات المكتسبة على العالم الواقعي، حيث كانوا في البداية خاضعين للإشراف.

أدار نسختي الدورة فريديريك معتوق، لكن هاتين النسختين لم تكونا متطابقتين، إذ أنه تمّ إعادة تصميم النسخة الثانية استناداً إلى تقييم للأمور التي حققت نجاحاً أكبر وحملت أهمّية أكبر في النسخة الأولى. لكن النسختين كانتا متشابهتين جداً ومبنيّتين على ثلاثة محاور بيداغوجية مترابطة، وكان لديهما الأهداف ذاتها التي يمكن اختصارها بالشكل التالي:

- التعرّف على المخاطر التي يشكّلها النزوح والهجرة والحرب على الرفاه النفسي والاجتماعي وتحديد مفهوم لها؛
- فهم وتحليل الاحتياجات النفسية اجتماعية فيما يخصّ الإطارين النفسي والثقافي المعنيين؛
- اعتماد نهج خلّاق والفنون التطبيقية لحماية التحولات في النسيج المجتمعي وتدعيمها ومرافقتها؛
- اعتماد نهج خلّاق والفنون التطبيقية وأدوات الوساطة في النزاعات للتخفيف من آثار النزاع على مستوى القواعد الشعبية والمجتمعات الصغيرة؛
- فهم النهج النسقية والعائلية والسردية؛

- إدراك الطابع المعقد للنزاعات بهدف تطوير مهارات لحل النزاعات والوساطة فيها؛
- تطوير نهج قائم على المشاركة لتقييم احتياجات المجتمع بهدف تصميم برامج تدخُّل تراعي الظروف المحلية؛ و
- تفهّم الاختلافات في سرد النزاع ووعي أهمية الذاكرة الفردية والذاكرة الجماعية في الثقافات المتنوعة.

تناول المحور الأول المفاهيم والممارسات المتّبعة في الدعم النفسي الاجتماعي في حالات النزاع، من خلال عرض للمعايير الدولية، ولهرم اللجنة الدائمة المشتركة بين الوكالات (IASC) لتدخلات الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي (عُلا عطايا)، ولمهارات المشورة النفسية (بولا خلاص، رينوس بابادوبولوس)، مهارات التقييم (عُلا عطايا، رنا عون) والنهج النسقية في الرعاية، من ضمنها فهم نسقي للأحداث المعطّلة، والبناء المشترك للمعاني العلاجية (رينوس بابادوبولوس)، إضافةً إلى الفهم النسقي لمفهوم الهوية والتحوّل الذي يطرأ عليها (غوغلييلمو سكينينا، أمال عطايا) ومفاهيم علم النفسي الاجتماعي (نزار أبو جودة).

تعمّق المحور الثاني في الجذور التاريخية للنزاع السوري (فريديريك معتوق ومسعود ضاهر)، وفي المبادئ العامة للوساطة في النزاعات وللتحول وللحوار، من ضمنها دراسة العناصر العاطفية للنزاع وأثر النزاع على الثقافة العميقة والبنية العميقة للمجتمع (تاتسوشي أراي)، وفي ممارسات الوساطة في النزاعات والتحوّل، التعايش السلمي، الحوار والإدماج على مستوى المجتمع الصغير (أسامة صفا) ونظريات وممارسات ترميم وعدالة انتقالية في الشرق الأوسط (زينة الحلو) وفي التشيلي (إليزابيت ليرا)، حيث تمّت إضافة مكوّن نفسي اجتماعي إلى جهود الترميم والعدالة الانتقالية في وضع كانت الحكومة فيه طرفاً في النزاع وفي الوقت نفسه عامل الترميم – تماماً كما لو كان يمكن أن يحدث في الجمهورية العربية السورية في تلك المرحلة. إضافةً إلى ذلك، تم تضمين هذا القسم وحدةً عن التواصل غير العنيف كأداة لتنظيم حلقات عمل تضمّ أشخاصاً من مختلف الفصائل حول مجموعة مشتركة من أدوات التواصل (سليمان كاسوحة)، ووحدةً عن التاريخ الشفوي كطريقة للحفاظ على الذكريات والسرديات المعقّدة والمتعددة الأوجه للحرب.

تمّ تخصيص المحور الثالث لاستخدام الثقافة والنشاطات الثقافية في العملية النفسية الاجتماعية وفي عملية الوساطة في النزاعات، وكطريقة للربط بينهما. إن الاهتمام بالعمليات والأدوات الثقافية والإبداعية والمسرحية كان أيضاً لسبب عملي جداً. في ظل الوضع الأمني الذي نشأ عن النزاع، في الكثير من الحالات، لم تكن المشورة النفسية والعلاج بالتحدّث موضع ترحيب، وكان الأفراد يترددون أو يمتنعون عن المشاركة لاعتبارات تتعلق بالخصوصية أو بالأمان. إن استخدام أدوات إبداعية، وبالتالي استعارات وتشابيه، سمح لهم بالتعبير بطرق آمنة عن الأمور التي لا يمكن وصفها، ومقاربة تحويل النزاع بطريقة

خالية من الجمود الذي توحي به ترسّبات لغة تستند إلى سرديات مهيمنة واستقطابية. المدربون لهذا القسم كانوا: أ) غوغلييلمو سكينينا، الذي أدار حلقات عمل حول المبادئ العامة لهذا العمل وحول نموذج "الدائرة المعقدة"؛ ب) أدريان جاكسون ولوك أوبديبيك، اللذين أدارا حلقات عمل حول تقنيات متنوعة لـ"مسرح المضطهدين"؛ ت) زينة دكاش، التي أدارت حلقة عمل حول العلاج بالدراما؛ و ث) ماري آدال سالم وكريم دكروب، اللذين بحثا ممارسات استخدام الدمى والفن المرئي كنوعين من الدعم النفسي الاجتماعي. وأخيراً، وفّرت إيلاريا توتشي – التي بحثت في أطروحة الدكتوراه التي قدّمتها إلى مركز السلام في هلسنكي، بحثت أثر النماذج المسرحية، ومن ضمنها نموذج "الدائرة المعقدة" لسكينينا في عمليات بناء السلام – جسراً متيناً بين هذا المحور البيداغوجي والمحور المتعلق بالوساطة في النزاعات.

تضمّنت الدورات في النهاية أعمالاً ميدانية موجّهة، حيث تمكّن الطلاب من تطبيق ما بلوروه معاً مع مدرّبيهم خلال الجزء المُدَرَّس من الدورة. تسنّى لهم اختيار المحور الذي يودّون تركيز عملهم عليه، على الرغم من أن معظم الأعمال الميدانية تضمّنت عناصر من كل المحاور. كون أن الطلاب كانوا يعملون بشكل رئيسي داخل الجمهورية العربية السورية، في ظل ظروف أمنية وعملية بالغة الصعوبة، خلق صعوبات عديدة في تنفيذ حلقات العمل، مما جعل العملية أكثر إثارة للاهتمام وأكثر إفادة. بعض الطلاب لم يتمكّنوا من إنهاء عملهم، فيما اضطر البعض الآخر إلى تعديل عملهم بشكل مستمر ليتناسب مع أوضاع جديدة. خلق هذا الأمر ميداناً تعليمياً نتج عنه تقارير أعمال ميدانية بالغة الأهمية إنما لا ترقى دائماً إلى معايير عالية من وجهة نظر أكاديمية. لذلك، تم أخذ قرار الطلب من معهد أكاديمي – معهد سانت آنا للدراسات المعمّقة في بيزا – تعيين مجموعة من الخبراء كي يقوموا بتحليل مضمون كل الأطروحات واستخراج مواضيعها الرئيسية والدروس المستخلصة وأفضل الممارسات، بهدف توفير اقتراحات عملية ونقدية مفيدة للعاملين في المجال النفسي اجتماعي في المنطقة وخارجها.

معهد سانت آنا للدراسات المعمّقة هو جامعة مستقلة ذات نظام خاص، تُعنى بدعم التعليم والأبحاث من خلال برامج دراسات جامعية وماجستير ودكتوراه في مجالات العلوم الاجتماعية (اقتصاد وإدارة، قانون، علوم سياسية) والعلوم التجريبية والتطبيقية (أبحاث زراعية، هندسة، دراسة الطب). الأهم من ذلك هو أنّ الأبحاث والنشاطات التدريبية لهذا المعهد الذي يملك تاريخاً طويلاً من التعاون مع المنظمة الدولية للهجرة، تركّز بشكل كبير على حقوق الإنسان وعلى إدارة الأزمات. على سبيل المثال، يقدّم البرنامج الدولي للتدريب على إدارة الأزمات (ITPCM) الخاص بكلية سانت آنا للدراسات العليا برامج تدريبية مؤسساتية وعند الطلب لموظّفي البعثات الميدانية الدولية، إضافةً إلى تقديم المساعدة للمشاريع وغيرها من خدمات البحوث والاستشارة، في مجالات كالمجالات التالية: أ) حفظ السلام؛ ب) المساعدات الإنسانية؛ ت) مراقبة الانتخابات؛ ث) تعزيز وحماية حقوق الإنسان؛ ج) الدعم النفسي الاجتماعي في الهجرة وحالات الطوارئ والنزوح (بالتعاون مع المنظمة الدولية للهجرة) ؛ ح) التنمية والتعاون غير المركزي؛ و خ) إعادة التأهيل بعد انتهاء النزاع. اكتسب البرنامج الدولي للتدريب على إدارة الأزمات (ITPCM)

منذ بدايته خبرة مباشرة في عدة مناطق حول العالم، من ضمنها غرب أفريقيا، منطقة القرن الأفريقي، الشرق الأوسط، منطقة البلقان، أميركا اللاتينية، أوروبا الشرقية وآسيا الوسطى.

قرر معهد سانت آنا للدراسات المعمّقة أن يشترك في هذا الإصدار مع المنظمة الدولية للهجرة تماشياً مع رسالة المعهد القائلة بألّا يتبنى فقط الأبحاث الأكاديمية العالية المستوى، بل أن يفعّل أيضاً المعارف الأكاديمية ويضعها في متناول العاملين في المجال. تتمثّل المساهمة المحددة للمعهد في الإصدار الحالي أولاً، في اختيار كتّابه من بين بعض أكثر المهنيين خبرةً في مجالات الخبرة المعنية – أي، الدعم النفسي الاجتماعي، والتدخلات القائمة على الفن وإدارة النزاعات. إضافةً إلى ذلك، كان المعهد مسؤولاً عن تنسيق صياغة الفصول والإشراف عليها لضمان الاتساق في بنيتها ومحتوياتها ومنهجها التّدريسي. كُلِّف كُتّاب الإصدار الثلاثة بالقيام بتحليل شامل لأكثر من أربعين أطروحة أعدّها طلاب برنامج الماجستير في الدعم النفسي الاجتماعي والحوار في نسختيه. يشكّل كل فصل من هذا الإصدار انعكاس تأمّلات قائماً بحدّ ذاته ومتماسكاً في نهج التدخل المعني، تدعمه أدلّةٌ منبثقة عن الأعمال الميدانية التي قام بها الطلاب والتي نسّقوها بشكل منهجي في أطروحاتهم باستخدام بيانات كمّية ونوعية. في كل فصل، يقدّم الكتّاب استعراضاً نقدياً لهذه الأطروحات يستند إلى المؤلفات العلمية المتوفرة في كل من مجالات الدعم النفسي الاجتماعي والتدخلات المبنية على الفن وإدارة النزاعات. تهدف الدراسات الثلاث إلى تقييم الفعالية والتحديات التي تميّز النُهُج المختلفة المبيّنة في الأطروحات، مع الإشارة تحديداً إلى السياقات الجغرافية والاجتماعية للجمهورية العربية السورية ولبنان. إن النتائج التي توصّلت إليها الفصول الثلاثة ستسمح للممارسين وللعلماء العاملين في المجالات ذات الصلة من الاستفادة من التحليل النقدي الذي بناه الكتّاب الخبراء، وفي الوقت نفسه ستزيد من قيمة المعلومات والبيانات القيّمة التي جمعها طلاب الماجستير من خلال عملهم الميداني في مناطق لا يزال الوصول إليها صعباً جداً بالنسبة إلى الباحثين.

الفصل الأول:

الدعم النفسي الاجتماعي والحوار في لبنان والجمهورية العربية السورية: مناهج الدعم النفسي الاجتماعي في الدول المتضررة من الأزمة

ماري آدال سالم

ملخّص

إثر النزاعات القائمة في الجمهورية العربية السورية منذ العام ٢٠١١، يحتاج السكان المتضررون، سواء كانوا نازحين أو غير نازحين، إلى تدخلات دعم نفسي اجتماعي تأخذ بالاعتبار الخصوصيات السياقية. يلقي هذا الفصل نظرة عامة على الجراح التي يعاني منها المجتمع السوري، كما حددها وحللها واحدٌ وعشرون طالب ماجستير (١٨ منهم سوريون و٤ لبنانيون) شاركوا في نسختي برنامج الماجستير التنفيذي المهني في الدعم النفسي الاجتماعي والحوار اللتين نظّمتهما المنظمة الدولية للهجرة (IOM) والجامعة اللبنانية عامي ٢٠١٤ و٢٠١٥ في بيروت. كما وتصف البحوثُ الجسورَ التي كان الطلاب يطمحون إلى إعادة بنائها وتدعيمها من خلال دراساتهم وتدخلاتهم، استنادا إلى المفاهيم والنُهُج الرئيسية للدعم النفسي الاجتماعي والحوار التي اكتسبوها خلال برنامج الماجستير. في الجزء الأخير من هذا الفصل، يضع المؤلف توصيات إضافية يتعيّن اعتبارها عند التخطيط لتدخلات نفسية اجتماعية مستقبلية في الجمهورية العربية السورية.

الكلمات المحورية: النزوح، الخصوصيات السياقية، الجراح، الجسور، مفاهيم ونُهُج الدعم النفسي الاجتماعي والحوار

١,١. مقـدمـة

١,١,١. "سقط القناع"[١]

سقط القناع... عن القناع... عن القناع...
لا إخوة لك يا أخي، لا أصدقاء
يا صديقي، لا قلاع
لا الماء عندك، لا الدواء، لا السماء، ولا الدماء...
ولا الشراع ولا الأمام ولا الوراء...
حاصر حصارك ... لا مفرُّ!
سقطت ذراعك فالتقطها
وسَقَطْتُ قربك، فالتقطني
واضرب عدوك بي، فأنت الآن: حرٌّ حرٌّ وحرُّ
قتلاك... أو جرحاك فيك ذخيرة!
فاضرب بها! اضرب عدوك... لا مفرّ
أشلاؤنا أسماؤنا... أسماؤنا أشلاؤنا
حاصر حصارك بالجنون
سقط القناع، ولا أحد إلّاك في هذا المدى المفتوح
للأعداء والنسيان
فاجعل كل متراس بلد... ذهب الذين تحبهم،
ذهبوا...فإما أن تكون أو لا تكون

"سقط القناع" هي عبارة تكرّرت في الأطروحات التي أعدّها الطلاب للحصول على الماجستير، وهي أيضاً عنوان قصيدة شهيرة ترددها وتغنّيها المجتمعات العربية التي تعيش صراعات وجودية وسياسية. على الرغم من أن ترجمة القصيدة إلى اللغة الإنكليزية أفقدها بعضاً من معانيها المجازية، إلا أن كلمات القصيدة وتعابيرها المجازية تُبرز الأصوات الداخلية لأفراد ومجموعات تناضل من أجل وجودها، وقد تفسّر، بطريقة تراعي السياق الثقافي، الأسباب الكامنة وراء المفاهيم الرئيسية التي تمّت مناقشتها على امتداد مناهج برنامج الماجستير التنفيذي في الدعم النفسي الاجتماعي والحوار، على سبيل المثال فقدان الهوية والتصعيد واستقطاب الانتماء والوقوع في الأفخاخ والاحتياجات الإنسانية الأساسية. منذ العام ٢٠١١، أصبحت قصيدة "سقط القناع" تعبيراً شائعاً في الخطاب الجماعي السوري عند الحديث عن التغيرات التي طرأت على المستويات السياسية والإثنية والمذهبية والاقتصادية والاجتماعية، وعن كيفية اختبارها والنظر

١ يُعتبر محمود درويش (١٩٤١- ٢٠٠٨) الشاعر القومي للأراضي الفلسطينية. قصائده مشهورة على امتداد العالم العربي وقد تمّ إنشاد العديد منها. تمّ إطلاق قصيدة "سقط القناع" عام ١٩٩٤ وأنشدتها مغنية السوبرانو اللبنانية وسفيرة النوايا الحسنة للأمم المتحدة السيدة ماجدة الرومي.

إليها وتفسيرها من قبل الأفراد والمجتمعات.

عندما قامت المؤلفة بقراءة تقارير الأعمال الميدانية التي أعدّها طلاب شهادة الماجستير في المنظمة الدولية للهجرة، وعندما حاول أن يترجم بطريقة موثوقة الشحنة العاطفية المنبثقة بصورة صريحة وبصورة ضمنية من بين السطور، أدرك أكثر من أي وقت مضى مدى غنى المصطلحات العربية بكل ما يتعلّق بالحروب وبالشرف وبالانتماء وبتحفيز الديناميكيات، كما وأدرك من جهة أخرى مدى شحّ المفردات وضبابيتها عند الحاجة إلى التعبير عن الرفاه النفسي الاجتماعي وعن القدرة على التحمّل. لا شك في أن مبادرات خدمات الصحة العقلية والدعم النفسي الاجتماعي التي تُقام في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا قد أضافت مصطلحات عربية جديدة إلى مصطلحات هذا الميدان. بيد أنه يجب الانتظار عدة عقود ربما قبل أن تصبح هذه المصطلحات المتعلقة بالصحة العقلية وبالدعم النفسي الاجتماعي مألوفة في المفردات العربية وقبل أن يصبح لها الوقع نفسه – كما هو وقع المفردات المحفزة المتعلقة بالحرب- حين يتم استخدامها مع المجتمعات المتضررة خلال مبادرات الدعم.

١,١,٢. لمحة عن هذا الفصل

هذا الفصل هو خلاصة ٢١ أطروحة أعدّها ١٧ طالباً وطالبةً سوريين و٤ طلاب وطالبات لبنانيين شاركوا في برنامج الماجستير التنفيذي المهني في الدعم النفسي الاجتماعي والحوار الذي نظمته المنظمة الدولية للهجرة والجامعة اللبنانية معاً عامي ٢٠١٤ و٢٠١٥ في بيروت. تمّ اختيار الطلاب من بين أولئك الذين يقدّمون مساعداتٍ إنسانية للمجتمعات السورية المتضررة في كل من الجمهورية العربية السورية ولبنان. تضمّن برنامج الماجستير عملاً ميدانياً خاضعاً للإشراف، إضافةً إلى كتابة تقرير حول الأعمال الميدانية. خلال عملية تحديد الأعمال الميدانية التي يجب القيام بها، بدا وكأنّ الطلاب اختاروا المواقف التي تتردد أصداؤها مع شواغلهم المهنية و/أو الشخصية الراهنة. تسلّط هذه الملحوظة بحدّ ذاتها الضوء على أهمية تنوّع التقارير، إذ أنها تعطي لمحةً عامةً عن نطاق التحديات الشخصية والمهنية والسياقية التي تواجه السوريين واللبنانيين والفلسطينيين العاملين في مجال خدمات الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي (الذين يعملون في الجمهورية العربية السورية وفي لبنان) في هذا السياق المعقّد. ركّز الطلاب أعمالهم الميدانية على كل محور من محاور الدورة. يقوم هذا الفصل بتحليل الأطروحات المخصصة للدعم النفسي الاجتماعي. من ضمن هذه الأطروحات الواحدة والعشرين، المواضيع الأساسية التي سيتمّ تحليلها في هذا الفصل هي التالية:

- الدعم النفسي الاجتماعي لأطفال ومراهقين من مجتمعات نازحة ومضيفة في الجمهورية العربية السورية (دمشق، المالكية والسويداء) ولبنان (٧ أعمال ميدانية)؛
- الخسائر وأزمات الهوية التي يمرّ بها الأفراد والعائلات والمجتمعات بسبب الأحداث الراهنة في الجمهورية العربية السورية (دمشق والسويداء) (٦ أعمال ميدانية)؛
- التغيرات في أدوار الأنواع الاجتماعية، الاحتياجات النفسية الاجتماعية للنساء السوريات وآثار تدخلات الدعم النفسي الاجتماعي على حياتهنّ، في الجمهورية العربية السورية

(دمشق، اللاذقية، يبرود والقلمون) ولبنان (٥ أعمال ميدانية)؛

- الدعم النفسي الاجتماعي للاجئين الفلسطينيين الذين يعيشون داخل مخيمات فلسطينية في الجمهورية العربية السورية (عمل ميداني واحد)؛
- الاستقطاب بين المجتمعات اللبنانية المضيفة والمجتمع السوري المشرّد (عمل ميداني واحد)؛ و
- الوصمة المرتبطة بالصحة النفسية في الجمهورية العربية السورية (عمل ميداني واحد).

ركّزت البحوث المختلفة التي تم تحليلها بشكل رئيسي على ثلاثة مواضيع: (أ) تقديم لمحة عامة عن مختلف الجراح التي تعاني منها المجتمعات السورية، سواء كانت مشردة أو غير مشردة، في مناطق جغرافية مختلفة، منذ العام ٢٠١١؛ (ب) تحليل المواقف المختلفة في ما يتعلّق بمفاهيم وأدوات الدعم النفسي الاجتماعي والحوار التي تمّ اكتسابها في برنامج الماجستير؛ و(ت) استكشاف سبل بناء جسور بين مختلف المجموعات المتضررة من الحرب.

وعلى نحو مماثل، سيتألّف هذا الفصل من أربعة محاور:

أ- لمحة عامة عن مختلف **الجراح** التي تمّ تحديدها، على المستويات الفردية والعائلية والمجتمعية المرتبطة بشكل وثيق **بالخصوصيات السياقية** للمنطقة، إضافةً إلى تأثيرها على العاملين في المجال الإنساني أنفسهم، الذين هم أيضاً جزءٌ من المجتمع السوري؛

ب- ملخص عن **مفاهيم الدعم النفسي الاجتماعي والحوار** التي بنى الطلاب تحليلهم عليها في ما يتعلّق بمواد الدورة؛

ج- لمحة عامة عن **الجسور** التي استكشفها طلاب برنامج الماجستير. انصبّ اهتمام الطلاب على الإشكاليات، على سبيل المثال زيادة المشاركة أطفال المجتمعات اللاجئة والنازحة داخل المجتمعات المضيفة، ودعم النساء اللواتي عانين من خسائر فادحة، من ضمنها خسارة أدوارهنّ المجتمعية والعائلية. يشير هذا المحور إذن إلى الأثر المباشر لهذه التدخلات على نوعية حياة المجتمعات المتضررة؛ و

د- إيضاح موجز للتوصيات التي يتعيّن اعتبارها عند التخطيط لمبادرات حوار ودعم نفسي اجتماعي مستقبلية في المنطقة ولرعاية تغيير مستدام. بالتالي، هذه التوصيات التي وضعها المؤلف بناءً على تجربة التدخلات النفسي الاجتماعية التي أعقبت الحرب اللبنانية، تشير إلى تحليل إضافي للخصوصيات الثقافية والسياقية.

١,٢. الجراح

١,٢,١. الخسارة والحزن

تتّخذ الخسائر في الجمهورية العربية السورية والمنطقة أشكالاً مختلفة، وقد حاول الطلاب في بحوثهم استكشاف هذه الخسائر وفهم أثرها على المستويات الفردية والعائلية والاجتماعية. إن خسارة الهوية، والانتماء، والأمان،[٢] والوجود والهدف، والمكانة الاجتماعية، والحياة العائلية أو الاجتماعية، والوظائف، والمنازل،[٣] والأدوار، والماضي والحاضر والمستقبل، والأحبّاء، وأطراف الجسد، إضافةً إلى الخسائر الغامضة للمفقودين، كلها جزءٌ بسيط من الخسائر الكثيرة[٤] التي يحزن عليها السكان. إن تراكم هذه الجراح يصعّب على الأفراد والعائلات المرور بمراحل عملية الحزن والوصول إلى مرحلة التقبّل.[٥] إضافةً إلى ذلك، وفي حالة خسارة الأحباء، وبسبب انعدام الأمان ولكثير من الأسباب الأخرى، تصعب إقامة المراسم التي من خلالها يقوم المحزونون عادةً بالتعبير عن أساهم وبتقبّل الخسارة وباستعادة نوع من السيطرة على الحياة.

تبدو عبارة "لا يمكنني أن أنهار الآن، عائلتي بحاجة إليّ"[٦] أنها آلية بقاء تجمّد الحزن، لأن أولويات أخرى، كالاحتياجات الأساسية والأمان، تجعل من "الانهيار" نوعاً من الرفاهية. من بين أشكال الخسائر المتنوّعة، يسبب الاختفاء بطابعه المبهم الألم الأكبر حالياً للعائلات السورية[٧]، وللجهات الإنسانية الفاعلة التي تعمل معها. بالنسبة إلى العائلات، إن الحداد على المفقودين هو القضاء على الأمل بأنهم أحياء؛ بالتالي، يصبح الوصول إلى مرحلة التقبّل بمثابة قتلٍ رمزيٍّ لأحبائهم.

مع ارتفاع عدد الضحايا في الجمهورية العربية السورية، تعبرّ العائلات عن واقع مرير يتلخّص بأن عدد الخسائر التي مُنيت بها أصبح كبيراً لدرجة أنهم باتوا يشعرون بالخدر وبأنهم لا يعرفون على أي خسارة عليهم أن يحزنوا أولاً. نوع آخر من الحزن يتعلّق بخسارة الوطن الأم بصورة عامة، والذي يؤدي إلى خسارة حس الاحتواء والاحتضان. لا يحتمل البشر الغموض ويميلون إلى خلق اليقين بغضّ النظر عن حجم التشوّه الذي تتطلّبه هذه العملية. تحت وطأة هذه الخسائر، يميل السكان اللاجئون والنازحون إلى انتقاء شكاوى محددة واعتبارها المصدر الوحيد لتعاستهم. عادةً ما تكون هذه الشكاوى مشروعة، إلا أنها تكتسب أهمية فائقةً ومبالغاً فيها بالنسبة إلى هؤلاء، وتصبح محمّلة بالأسى بشكل مفرط. قد تتركز هذه الشكاوى على احتياجات غير مؤمنة بالقدر الكافي تتعلق بالسكن أو بالمدرسة أو بالإعانات، وبشكل خاص بالأعراض

---

٢ حسين، ٢٠١٤:١٣.

٣ النفره، ٢٠١٥:٨.

٤ سالمه، ٢٠١٤:١٥.

٥ المرجع نفسه، ٣.

٦ عبارة قالها أحد طلاب الماجستير عام ٢٠١٥ خلال وحدةٍ عن التدخلات النفسية اجتماعية المبنية على الفن، حيث عمل الطلاب على موضوع الخسارة والحزن.

٧ سالمه، ٢٠١٤:٤.

الطبية الجسدية.[٨] ذكر المشاركين بالأعمال الميدانية أن التحدث عن مشاعرهم مع الآخرين ليس أمراً وارداً إذ أن كل عائلة مُنيت بخسائرها الخاصة ولديها أحزانها الخاصة غير المعلنة، مما يجعل من دعم النظراء أمراً غير ممكناً. يحمل معظم المتضررون حزنهم في قلبهم ويستجمعون الشجاعة والقوة للتركيز على حياتهم اليومية وعلى تلبية احتياجات أطفالهم.[٩]

١,٢,٢. انتشار الأسى

> [...] كنا زملاء في الجامعة. كانت لدينا خطة: ننهي دراستنا، ننهي الخدمة العسكرية، نسافر لندرس أو لنعيش تجربة خارج البلاد، نبدأ مشروعاً خاصاً بنا، نبني عائلة، إلخ.، لكن عجلة الحياة توقّفت حين بدأت النزاعات. [...][١٠]

> [...] تُبقي هذه الخيارات داخلك؛ تصبح أحلاماً. [...] أصبحنا أشخاصاً يعيشون كل يوم بيومه. بعضنا لم يستطيعوا تحمّل الدم والخطر فتركوا البلاد لمتابعة حياتهم، لكن يبدوا أنهم يواجهون صعوبة في الاستقرار. [...] إن ما يحدث داخل البلاد حطّم الأشخاص من داخلهم. المشكلة ليست في البلدان التي يهربون إليها؛ في الواقع، إن المشكلة هي فيهم. لا يمكنهم الهروب من الأحداث التي تجري داخل البلاد حتى ولو حاولوا؛ هم يحملون تلك الأحداث معهم أينما ذهبوا. [...][١١]

إن الحرب تدمّر البيوت والبنى التحتية والاقتصادات والتراث الثقافي، لكن ما هو أسوأ من ذلك هو أنها تدمّر الجسور، وخصوصاً الجسور الوجودية. لاحظنا من خلال تحليل المعطيات في مختلف الأعمال الميدانية التي قام بها الطلاب ومن خلال تقارير مقابلات التاريخ الشفوي، أن أثر الحرب النفسي الاجتماعي قد طال عدة مستويات وجودية: علاقة الفرد بنفسه، الهوية الشخصية والجماعية، العلاقة مع الآخر، الشعور بالانتماء، الجسور بين الماضي والحاضر والمستقبل.

يختبر السكان اللاجئون والنازحون شعوراً بالارتباك عائداً إلى الحنين إلى الماضي[١٢] يقف عائقاً أمام تقبّل الأفراد والعائلات والمجتمعات لواقعٍ جديد والتأقلم معه - مهما كان هذا الواقع آمناً – لأنهم يتشاركون لهفة عميقة لاستعادة ما فقدوه: الوطن، الانتماء، والأمان.

بالإضافة إلى هذا الارتباك العائد إلى الحنين إلى الماضي، يروي الناجون من الحرب للعاملين في المجال الإنساني، خصوصاً في قطاعات الدعم الصحي والنفسي اجتماعي، عن المحن التي مروا بها، وفي بعض الحالات، يحملون ويعرضون أدلةّ على تجاربهم، كالندوب والرصاصات وفيديوهات وصور تُظهر الموت المأساوي للأحبة الذين خسروهم. إن الوظيفة التحليلية لعرض الأدلة قد تكون أيضاً لا واعية أكثر مما هي

٨ بابادوبولوس، ٢٠٠٢:١٨.
٩ المرجع نفسه، ٢٩-٣٠.
١٠ عمران، ٢٠١٤:١٥.
١١ المرجع نفسه، ٣٠-٣١.
١٢ بابادوبولوس، ٢٠٠٢:٢٠.

غير مقصودة. يبدو الناجون وكأنهم قد بلغوا مرحلة من فقدان الحس بسبب الحزن البالغ، أو أنهم ما زالوا في حالة إنكار لما لا يتقبّله عقلهم. من خلال النمط الذي يتّبعونه أو من خلال ردّات فعل العاملين في المجال الإنساني، يبدو وكأنهم يتوقون إلى شخص "يشعر" نيابةً عنهم بما باتوا يعجزون عن الحزن عليه. أضِف إلى أن ردّات فعل العاملين في المجال الإنساني تبدو بحدّ ذاتها كدليل على أن هذه المحن حدثت بالفعل. إن "قتلاك... أو جرحاك فيك ذخيرة" هو التشبيه في القصيدة التي افتتحت هذا الفصل الذي يصوّر بطريقة مثالية هذا النمط.

١,٢,٣. ظواهر غير بشرية وقيم إنسانية

تنضح وسائل التواصل الاجتماعي بروايات عن أسر النساء والأطفال واستعبادهم – بما فيه العبودية الجنسية، والظروف المأساوية للزيجات المبكرة، والخطف بهدف الإتجار بالأعضاء، والتنكيل بالجثث، والذبح وأكل لحوم البشر[١٣]، ومع ذلك، فإن هذه الظواهر تفوق التصوّر لدرجة أنها تجعلنا نتساءل ما إذا كانت هذه الأخبار صحيحة أم أنها أدوات تحفيز مفبركة. إن تجريد العدو من إنسانيّته هو أيضاً جزءٌ من العداء الشديد والاستقطاب. من منظور تحليلي نسقي، يبدو أنه في زمن الحرب، يمكن للفوضى ولفقدان الهويات الفردية والجماعية، وللانتكاس والتعلّق بممارسات بالية وبرموز خوف، وللعدائية والقوة أن تستبدل المنظومة الاجتماعية السياسية القائمة وأن ترث وتفاقم وظيفتها داخل المجتمعات. كما ولو أنه كلما زاد تهميش هذه الأقليات وقمعها، كلما أصبحت ردود فعلها التفاعلية ونتائجها أكبر وأعمق.

إن محاولة فهم هذه الظواهر ومعالجتها من خلال نظريات العلوم الإنسانية هي، نوعاً ما، انتقاصٌ من قيمة تجارب الناجين، إذ أن هذه الظواهر تشكّل، على ما يبدو، مأزقاً للإنسانية بشكل عام.

يحتار العاملون في المجال الإنساني في المنطقة أحياناً بين المبادئ المحايدة للمنظمات التي يعملون معها وبين قيمهم الإنسانية الشخصية التي لا تسمح لهم بتقبّل الأعمال الهمجية هذه. تحاول الدراسات أن تفسّر كيف يتأثر العاملون في المجال الإنساني خلال أعمال الإغاثة التي يقومون بها. يصبح الوضع أكثر تعقيداً حين ينتمي العاملون في المجال الإنساني إلى المجتمع المتضرر. إضافةً إلى جراحهم الشخصية وتفاصيل المحن والمعاناة الشديدة التي يشهدون عليها خلال قيامهم بتقديم الدعم، يجب عليهم أن يتعاملوا مع التحديات الاجتماعية التي يولّدها التزامهم بالحيادية والإنسانية. في بعض الأحيان، توضع مصداقيتهم ونزاهتهم وحتى وطنيّتهم على المحك، فيقوم المجتمع بإطلاق الأحكام عليهم، ويتوقّع منهم أن ينتموا إلى حزب ما، أو قد يسيء فهم استعدادهم لتقديم الدعم الإنساني إلى "العدو".[١٤] يمكن لدور مقدمي خدمات الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي أن يكون خطيراً أيضاً، إذ أنه في إطار علاجي فردي أو جماعي، يمكن الإفصاح عن معلومات حساسة، وفي زمن الحرب، قد يعرّض هذا الأمر المهنيين وكذلك المشاركين الآخرين للخطر.[١٥]

١٣ موسى، ٢٠١٤:١٥،١٦.
١٤ موسى، ٢٠١٤:١٣.
١٥ مرعي، ٢٠١٥:٢٨.

١,٣. مفاهيم الدعم النفسي الاجتماعي والحوار

ظهر التحول في مفهوم المعاناة الإنسانية في سياق النزوح خلال الحرب السورية جلياً في الطريقة التي حلل بها الطلاب مواضيع بحوثهم وفي الطريقة التي خططوا وأجروا فيها التدخلات النفسية الاجتماعية عقب برنامج الماجستير. تبدّلت نُهُجهم من الطرق المعهودة في المنطقة، ألا وهي تشخيص مرض الفرد وتقديم العلاج له، إلى محاولة إدارة آثار الحرب على المستويات الفردية والعائلية والمجتمعية والاجتماعية، مع الأخذ بالاعتبار الخصوصيات الثقافية المتنوعة والخصوصيات السياقة الأوسع نطاقاً.

أحد المؤشرات المهمة على هذا التبدّل هو الإشارة الملائمة إلى الاضطرابات النفسية اللاحقة للصدمة في مختلف تقارير الأعمال الميدانية. تستخدم وسائل الإعلام والعاملون في المجال الإنساني وحتى المجتمعات المتضررة مصطلحَي "اضطرابات نفسية لاحقة للصدمة" و"صدمة" في وصف ردود الفعل النفسية في سياق الحرب في الجمهورية العربية السورية، مما يأتي بنُهُجٍ برنامجيّة تركّز على مرض الفرد، وفي التشخيص والعلاج. في الأعمال الميدانية، حلّ مصطلحُ "جراح" محلّ مصطلح "اضطرابات نفسية لاحقة للصدمة" غير الملائم، فيما حلّت عبارة "بناء جسور" محلّ مصطلح "علاج" في مختلف البحوث. إن التحوّل في المصطلحات التي استخدمها الطلاب خلال وصفهم للتدخلات النفسية الاجتماعية التي قاموا بها هو أيضاً مؤشّر على تحوّل دورهم المتصوّر كعاملين في المجال الإنساني: "عملنا مع المجموعة على" عوضاً عن "عملنا مع المجموعة كي"، وهي عبارة شائعة يستخدمها العاملون في مجال الدعم النفسي الاجتماعي في المنطقة، و"سيّرنا القدرة على التعبير في مساحة آمنة" عوضاً عن "وثق الضحايا بي للتعبير عن".

أن التبدّل النسقي في فهم بعض المواضيع وتحليلها واضحٌ من تنظيم معظم تقارير الأعمال الميدانية، حيث غالباً ما وصف الطلاب المشكلة، ودافعهم الشخصي وراء اختيار الموضوع،[١٦] نسق توفير الخدمة بوجه عام، نظرية المعرفة المستخدمة للتدخل، السياق الاجتماعي السياسي الأوسع و/أو التفاعل بين هذه العناصر النسقية المختلفة. إن أطر ومفاهيم الدعم النفسي الاجتماعي والحوار الرئيسية التي أشار إليها الطلاب في أطروحاتهم والتي لعبت دوراً في تبدّل المفاهيم هذا هي، على ما يبدو:

- شبكة الشدائد؛[١٧] و
- مفهومي الاستقطاب والمأزق.[١٨]

١,٣,١. شبكة الشدائد

في كل حالة طوارئ، يميل عاملو الإغاثة إلى تبسيط الأوضاع المعقدة، مما يؤدي إلى التباس بين المصاعب

١٦ فاروسي، ٢٠١٥:٥.
١٧ بابادوبولوس، ٢٠١٤.
١٨ آراي، ٢٠١٤.

الحقيقية وطريقة فهم هذه التجارب الصعبة. في هذا السياق، يتمّ التعريف عن الصدمة على أنها النتيجة التلقائية الضارة لبعض الأحداث. في الواقع، تؤثر عدة عوامل في تجربة المصاعب وطرق الاستجابة لها. أشار الطلاب في بحوثهم بشكل خاص إلى العوامل التالية:[١٩]

- العلائقي: شكّل وجود نُسُق دعم، سواء كانت عائلية أم اجتماعية، وتعزيز الدعم المجتمعي من خلال التدخلات المحلية أو الدولية عامل صمود ساعد الأفراد على تخطّي المصاعب.[٢٠]

- النوع الاجتماعي: في بداية الأزمة، بدا وكأن النساء هنّ المجموعة الأشد ضعفاً؛ بيد أنه مع انهيار النسق الاجتماعي السوري والخسائر والمكاسب التي نتجت عن هذا الانهيار، اهتزّت أدوار الأنواع الاجتماعية وتحوّلت. عمل الطلاب على دعم النساء اللواتي تكبّدن خسائر وعلى تعزيز المكاسب التي حقّقنها.[٢١]

- إعطاء معنىً: في العادة، تشكّل الإيديولوجيات السياسية والدينية عامل دعم من شأنه مساعدة الشعوب المتضررة على التعامل مع خسائرها وجراحها. بيد أنه في المرحلة المدروسة من الأزمة السورية، سلّط الطلاب الضوء على شعور بفقدان المعنى،[٢٢] أدّى إلى المزيد من المعاناة واليأس.

- الأمل والآفاق المستقبلية: يبدو أن فقدان الأمل والخوف من المستقبل يؤثران بشكل كبير وسلبي على قدرة الأفراد والعائلات والمجتمعات على التكيّف.[٢٣]

١٩ بابادوبولوس، ٢٠١٤.
٢٠ العبدالله، ٢٠١٥:٤٠.
٢١ مرعي، ٢٠١٥:١٧.
٢٢ عمران، ٢٠١٤:٤١.
٢٣ العبدالله، ٢٠١٥:٤٠.

الجدول ١: شبكة الشدائد[٢٤]

المستويات	نتائج إيجابية			نتائج "محايدة"	نتائج إيجابية
	إصابة، جرح			القدرة على الصمود	النمو الذي تفعّله الشدائد (ADD)
	اضطراب نفسي (اضطرابات نفسية لاحقة للصدمة) (PTSD)	ردود فعل نفسية مكربة	معاناة إنسانية طبيعية		
فردي					
عائلي					
مجتمعي					
اجتماعي/ ثقافي					

خلال دورة الماجستير، طُلب من الطلاب مراعاة التجارب الفردية والعائلية والمجتمعية في كلّيتها وتذكّر أن نتائج التعرّض للشدائد تتعدى "الصدمة النفسية" و"القدرة على الصمود"؛ إلى جانب المعاناة من الآثار السلبية للأحداث المؤلمة (المعاناة الإنسانية الطبيعية أو الاضطرابات النفسية)، يحتفظ كل لاجئ ببعض نقاط القوة التي كانت موجودة داخله (القدرة على الصمود) كما وأنه يكتسب صفاتٍ إيجابية جديدة (النمو الذي تفعّله الشدائد). تُذكّر شبكة الشدائد الطلاب خلال تدخلاتهم بأن الأمراض الفردية هي أولاً نادرة، وأنها حين تظهر، تكون ردّة فعل بسيطة مقارنةً بالطائفة الأوسع من ردّات الفعل على الشدائد التي تترافق مع الأمراض[٢٥]. استعان الطلاب بالشبكة بهدف تحليل مختلف المعلومات التي حصلوا عليها خلال مقابلات التقييم التي أجروها تحضيراً لأعمالهم الميدانية.[٢٦] بعض الطلاب الآخرين استخدموا الشبكة كأداة لتوجيه حلقات العمل والتدخلات التي يجرونها مع المشاركين، مساعدينهم بالتالي على تحديد الطرق المختلفة التي يلجأون إليها للتعبير عن معاناتهم الإنسانية العادية. إضافةً إلى ذلك، ساعد الطلاب المجموعات على تحديد وتعزيز العناصر الإيجابية في حياتهم التي اكتسبوها أو قاموا بتنميتها: بعض النساء أخبرن كيف أن الحزن دفع بهنّ نحو المزيد من العزلة ونحو الغضب تجاه الذات وتجاه الأطفال ونحو أعراض نفسية جسدية، فيما تمّ تحديد الشبكات الداعمة التي طوّرنها مع نظيراتهن والتغيير في دورهنّ من حيث النوع الاجتماعي على أنها قدراتٍ لم يعين امتلاكها قبل تعرّضهن للشدائد.[٢٧]

١,٣,٢. الاستقطاب ومثلث الضحية

"ارجع وانقذْني" هي الرسالة الرئيسية التي صاحت بها شام (أو دمشق) أمام المجموعة (شام هي دمية تبلغ

٢٤ بابادوبولوس، ٢٠١١:٥.
٢٥ المرجع نفسه.
٢٦ عمران، ٤٠،٣٨:٢٠١٤.
٢٧ جوهر، ٢٣،٢٢:٢٠١٥.

من العمر ألف عاماً، صنعها لاجئ سوري شاب خلال نشاط نفسي اجتماعي يقوم على مسرح الدمى). قالت شام أيضاً أنها "عروس كل المدن"، وأن حلمها هو "أن تعيش بسلام"، وأن العائق أمام تحقيق هذا الحلم هو "العالم بأسره".

أحد أبرز آثار العنف هو الاستقطاب. بالإشارة إلى انقسام حادّ بين الـ "نحن" والـ "هم"، يصبح تحويل العلاقات المستقطبة أشدّ صعوبة حين يدعمها حكمٌ أخلاقي جماعي يجعل "جانبنا" خيّراً و"جانبهم" شريراً، مع الآثار الثقافية والإيديولوجية والسياسية والدينية العميقة المترتبة على هذا الانقسام.[٢٨] من الواضح في بحوث الطلاب أن الاستقطاب يبدأ، على ما يبدو، بشكل سرّي وعلى مستوىً داخلي، فيبدأ الأفراد الذين يشعرون بالارتباك والحيرة بالتساؤل ضمنياً – لكنه لا يمكنهم مشاركة تساؤلاتهم بشكل صريح مع الآخرين – إن كانوا على حق أم على خطأ في مواقفهم واتجاهاتهم، أو حتى إن كانت مواقف واتجاهات المجموعات التي ينتمون إليها صحيحة أم خاطئة بعد كل سنوات النزاع هذه التي لم تؤدِّ سوى إلى المزيد من الضرر. في بعض الحالات، أدّى هذا الاستقطاب الداخلي إلى تضخيم إدراك النزاع عند بعض الأفراد والى البحث عن أطراف خارجية يلقون اللوم عليها أو يؤيّدونها، مما ساهم في المزيد من الاستقطاب.

> مررت بتجربة الانسحاب الاجتماعي. كان من الصعب عليّ التعامل مع التوتّر الاجتماعي الذي يحيط بي. [...] كان الجميع يقولون لي أنني لن أكون جزءاً من مستقبل سورية لأنني أدعم النظام [...] لكن ماذا فعلت هذه الأزمة ببلدنا؟ لقد جعلت الناس ينهشون لحم بعضهم البعض ويبيعون بعضهم البعض. يقوم المتاجرون بالبشر بنشر الإشاعات والخوف داخل المدينة، ثم يعدون العائلات بمساعدتهم للوصول إلى أوروبا على متن قوارب صغيرة. إنهم يقومون باستغلالهم؛ إحدى العائلات التي أعرفها فقدت عشرين فرداً منها. هؤلاء هم تجّار هذه الأزمة؛ هؤلاء الأشخاص لا يريدون للأزمة أن تنتهي [...] لا أعرف بمن يجب أن أثق بعد الآن، وبصراحة، أظن أنه بوسعي أن أثق بالمقاتلين الأجانب الذين يدعمون القضية أكثر من ثقتي بمواطني بلدي (شابة سورية حاورها طالب ماجستير في دمشق).[٢٩]

يمكن أيضاً ملاحظة الاستقطاب على عدة مستويات من التفاعل؛ المستوى الشخصي، المستوى العائلي الشخصي، المستوى الإثني الشخصي، المستوى القطاعي الشخصي والمستوى الجغرافي الشخصي. إن الاحتياجات الإنسانية الأساسية، كالأمان والحرية، لكل طرف من الأطراف المعنية المشاركة في النزاع، ومساعي هذه الأطراف إلى هذه الاحتياجات تتناقض فيما بينها بطريقة تدفع بالنزاع الناتج عنها نحو الواجهة.[٣٠]

> لا يمكنني أبداً أن أتقبّلهم، قد أقوم حتى بإيذائهم... هل هم يتقبّلونني؟ كلا! أبداً![٣١]

إن ثقافة العنف المنتشرة في مجتمعات اللاجئين/ النازحين والمجتمعات المضيفة تسبب العدائية والتمييز

٢٨ آراي، ٢٠١٤:٩.
٢٩ عمران، ٢٠١٤:٢٠،٢٢.
٣٠ آراي، ٢٠١٤:٣٤.
٣١ عمران، ٢٠١٤:٤١.

وتسوّغهما. مع الوقت، وبسبب تحدّيات اجتماعية اقتصادية عديدة يجب على الطرفين مواجهتها، تمرّ تشريع الاستقطاب الاجتماعي والعنف اللذين أصبحا جزءاً من ثقافة، حتى الأهل والأساتذة يقومون بنقلها إلى الأطفال.[٣٢] في بعض الحالات، تقوم جماعات منظمة من الأطفال من مجتمعات مضيفة بالاعتداء لفظياً وجسدياً على جماعات من الأطفال النازحين في المدارس وترفض مشاركة الألعاب والأقلام معهم وتقوم باتّهامهم بأنهم حاملي أمراضٍ قذرين.[٣٣] كثيرة هي حالات اللاجئين الذين قاموا بإحراق مخيمات وملاجئ لأنهم مستاؤون من الخدمات أو من نوعية الطعام، أو الذين اعتدوا على متطوعين اتهموهم بأنهم يسببون لهم الظلم أو الأذى.

يمكن للاستقطاب أن يسبب هذه الأحداث، لكن يمكن أيضاً للوقوع في فخ مثلّث الضحية والمنقذ والجاني[٣٤] أن يشكّل تفسيراً صحيحاً. إن اعتبار اللاجئين ضحايا شدائد هو نتيجة حتمية للأحداث والظروف المأساوية والمدمرة التي للأسف يتعرضون لها. بيد أنه وبسبب مكاسب ثانوية يحصل عليها الضحايا ومنقذيهم، يمكن لكلا الطرفين أن يبنيا معاً هوية ضحية وأن يشاركا بشكل غير مباشر في تحجيرها في المضمار التفاعلي للميادين التنظيمية. هذا الوضع يُضعف اللاجئين ويعزز "عجزاً مكتسباً" يتجاهل النتائج الأخرى للشدائد كالقدرة على الصمود والتكيّف والنمو الذي تفعّله الشدائد.[٣٥] يؤدي الوقوع في فخ مثلّث الضحية والمنقذ والجاني باللاجئين والناجين من الشدائد إلى تفعيل رغبة مستمرة لإيجاد أو خلق جُناة جدد يلقون اللوم عليهم، وبالتالي يدفعهم أكثر فأكثر إلى تدمير الجسور العلائقية الشخصية داخل المجتمع أو البلد المضيف.

في بعض أرجاء الجمهورية العربية السورية، يبدو الوضع حتى أكثر تعقيداً. اضطر اللاجئون الفلسطينيون في الجمهورية العربية السورية إلى الفرار من مخيّماتهم واللجوء إلى مراكز إيواء مؤقتة، ومن ثم اضطروا إلى ترك هذه المراكز واللجوء في البلدان المجاورة. على مدى أجيال، أظهرت هذه العائلات قدرة على الصمود وعلى التعامل مع مختلف الخسائر التي تكبّدتها من جيل إلى جيل.[٣٦] بيد أنها اليوم مضطرة إلى مواجهة العدائية والتمييز من جديد طوال رحلة نزوحها، وحتى حين تصل إلى مخيمات فلسطينية أخرى في المنطقة.

في شمال الجمهورية العربية السورية، أكثر من عشرة آلاف عائلة كردية يزيدية هربت من العراق ووصلت إلى الجزء الكردي من الجمهورية العربية السورية بسبب الاعتداءات الإرهابية في بلدها الأم. في هذه الأثناء، طلبت عائلات عراقية مسلمة استهدفتها مجموعات إرهابية مسلّحة اللجوء داخل نفس المجتمع السوري المضيف. حين تمّ جمعُ المجتمعين اللاجئين داخل مخيّم واحد، في المالكيّة، وحين تم تسجيل الأطفال في المدرسة نفسها، نشأت نزاعات فيما بينهم، لأن اليزيديين ربطوا المسلمين الناطقين باللغة العربية بالمجموعات الإرهابية.[٣٧] رفض الأطفال اللعب سوياً وأظهروا سلوكيات عدائية تجاه بعضهم

٣٢ قشور، ٢٠١٥:١١.
٣٣ عبيد، ٢٠١٥:٥.
٣٤ كاربمان، ١٩٦٨.
٣٥ بابادوبولوس، ٢٠١٤.
٣٦ ساحلي، ٢٠١٤:٨.
٣٧ محمد، ٢٠١٥:١٢.

البعض، فيما قام الأهل والأساتذة بتبرير المواقف.

إن الحرب في الجمهورية العربية السورية ووجود اللاجئين في لبنان يؤثران بشكل عميق على عدم الاستقرار الديمغرافي والاقتصادي والسياسي والأمني في البلاد، ووصل الاستقطاب أيضاً إلى اللبنانيين الذين أصبحوا منقسمين أكثر من أي وقت مضى حول موقفهم إزاء الوضع في الجمهورية العربية السورية. جزءٌ من المجتمع يدعم اللاجئين، بينما الجزء الآخر يؤيّد بشدة طردهم من الأراضي اللبنانية وإغلاق الحدود. زاد هذا الانقسام مع اتّساع بقعة النزاع في الجمهورية العربية السورية ومع مشاركة مجموعات لبنانية مسلّحة في الأعمال العسكرية على الأراضي السورية. من جهة أخرى، تعرّض السوريون في لبنان إلى التمييز والاستغلال، إذ فرضت مجالس بعض المدن والضيع اللبنانية قيوداً على حركة تنقّل اللاجئين السوريين.[٣٨]

تخطى الاستقطاب في الجمهورية العربية السورية حدود المنطقة، وهو يبرّر الاتهامات الإنسانية والسياسية الموجّهة ضد العالم بأسره لعدم وضعه حداً لسفك الدماء في الجمهورية العربية السورية، تماماً كما عبّرت عنه الدمية البالغة من العمر ألف عاماً والشعوب المتضررة بشكل عام. يمكن القول إن عوارض الاستقطاب تظهر أيضاً على المجتمع الدولي. مع تضاعف الهجمات الإرهابية في مناطق مختلفة من العالم، والمرتبطة بشكل مباشر أو غير مباشر، عن قصد أو عن غير قصد بالنظرة التعميمية إلى اللاجئين على أنهم إرهابيين، يدفع كل من اللاجئين والمجتمعات المضيفة ثمن هذا الاستقطاب.

١,٣,٣. المأزق أو نقطة اللاّعودة

> لا يمكنني أن أقبل بحلٍّ سياسي لبلادي بعد الآن. أنا واحدة من خمسة وعشرين مليون سوري شاركوا في هذه الحركة، ويجب أن أتحمّل مسؤولياتي تجاه من وضعوا ثقتهم بنا. لكنني الآن آخذ قسطاً من الراحة، لأنني أنا أيضاً لاجئة. [...] لم أهرب بسبب الخوف، بل لأنني مرهقة؛ أمرّ بفترة من الارتباك وأحتاج إلى تجديد طاقتي. لا يمكنني أن أعود إلى دمشق، ولا حتى لساعة واحدة؛ لأن هناك حاجزاً بيني وبين الناس هناك؛ هو ليس حاجزاً خيالياً، إنما حاجزٌ بناه الدم الذي سفكوه. ليس لأنني أصبحت شخصاً متطرفاً أو "متحجّر العقل" أو لأنه لا يمكنني تقبّل وجهة نظر مختلفة، لا، بل بسبب الخسائر، والنزوح، والآباء والأمهات والأبناء الموتى [...][٣٩]

تُظهر مراقبة ديناميكيات النزاع أن الوضع تخطى التصعيد والعدوانية الشديدة والاستقطاب والتوسّع وتحوّل إلى مأزق. يبدو أن الأطراف أصبحوا سجناءً لسلوكهم ومواقفهم الساعية بإصرار إلى تسجيل أهداف، لدرجة أنهم أصبحوا غير قادرين على التخلي عن مواقفهم المعلنة والسير نحو التوافق.[٤٠]

هذا المأزق الذي فعّلته احتياجات إنسانية أساسية لم تتم تلبيتها، اتخذ أشكالاً مختلفة، من الضعف

---

٣٨ قشور، ٢٠١٥:٢٨.
٣٩ عمران، ٢٠١٤:٢٨.
٤٠ موسى، ٢٠١٤:١٥.

والانسحاب إلى ظواهر قصوى أطلق الطلاب عليها تسمية "الشرير داخل كل إنسان"؛[٤١] في مطلق الأحوال، ومن وجهة نظر نسقية، لا بدّ أن يكون له معنىً ووظيفة. إن معنى "وصلنا إلى نقطة اللاّعودة" الذي رددته مجموعات مختلفة مشاركة في النزاع يمنح هذا المأزق وظيفة وصل التطلعات على تنوّعها بالواقع المرير الذي يعيشه الجميع. كلما بَعُدت إمكانية تحقق هذه التطلعات بسبب الواقع المتصاعد، كلما ازداد المأزق قوةً. تماماً كما الإدمان على نوع من أنواع المخدرات، يعي الأفراد والمجموعات أثره المدمر للذات لكنهم لا يستطيعون التغلّب على الفوضى الداخلية والخارجية من دونه.

> تحاول المقاومة لكن في النهاية، تصبح مهووساً بالهمومِ والتوتر والحيرة. تسعون بالمئة من أصدقائي يعانون من هذه الأمور، مما دفعنا بعيداً عن القضية الحقيقية. لجأنا إلى أعمال التمرد الجنسية والمخدرات والكحول. لم تستطع عقولنا تحمّل الوضع؛ عشنا لمدة ثلاثة أشهر تقريباً في حالة من الغيبوبة. عشنا في مجموعات صغيرة خاملة تدخّن الحشيش وتتفادى الخروج كي تتفادى نقاط التفتيش حيث تم إلقاء القبض على أصدقائنا ومعاملتهم بعنف. ابتعدنا عن الجميع ودخّنا الحشيش.[٤٢]

اختار الأفراد والعائلات والمجموعات الانسحاب والاختباء وطلب اللجوء في بلدان أخرى. إن قرار البقاء آمنين من الناحية الجسدية لم ينقذ رفاههم النفسي الاجتماعي ولا روابطهم العلائقية الشخصية. كما لو أن الوصول إلى مكان آمن حيث يمكنهم الاستغناء عن الخوف من الموت وضعهم في مواجهة مع كل ذكريات الشدائد التي مروا بها، وكما لو أن آثار تجاربهم – التي جمّدوها ليتمكنوا من البقاء – أصبح بإمكانها الآن أن تتآكل وأن تعبرّ عن نفسها. تمكّنت بعض النساء اللواتي تعرّضن للاغتصاب في الجمهورية العربية السورية من إطلاع أزواجهن في بعض الأحيان على الشدة التي ممرن بها. في العديد من الحالات، أخذ الأزواج على عاتقهم مسؤولية إنقاذهن وحمايتهنّ من خلال الهربِ من البلد والذهاب إلى مناطق أكثر أماناً في البلدان المحيطة. بيد أنه بعد الاستقرار في مناطق أكثر أماناً، بدأ العنف المنزلي في الظهور أحياناً، حتى بين أزواج لم يعرفوا هذا النوع من العنف من ذي قبل.[٤٣] يجب أيضاً الأخذ بالاعتبار العوامل المحيطة، كعدائية المجتمع المضيف والضغط الاقتصادي والتغيرّ في الأدوار داخل العائلات، حيث أن كل هذه العوامل تشكل مصادر ضيق إضافية يجب التعامل معها. وعلى غرار ذلك، واجهت العائلات السورية التي هربت من مناطق النزاع ووصلت إلى ملاجئ آمنة داخل الجمهورية العربية السورية صعوبات، بالإضافة إلى التجارب السلبية التي مرّت بها، في التأقلم مع ظروفها المعيشية ومع انعدام الفرص الاجتماعية ومع شحّ احتياجات البقاء المؤمنة، وأحياناً مع ممارسات إدارة الملاجئ غير المؤهلة أو القامعة تماماً. نتيجة لهذه الأمور، نشأت نزاعات داخلية داخل العائلات أو في ما بينها، إضافةً إلى نزاعات مع مديري الملاجئ والمجتمعات المضيفة.[٤٤]

استنادا إلى التحليل النوعي للمقابلات التي أجراها الطلاب، أشار هؤلاء إلى نموذج "موقف، مصلحة، حاجة إنسانية أساسية" في محاولة لفهم أفضل للمأزق الذي كانوا يلحظونه وللثغرات التي كان هذه الوضع

٤١ موسى، ٢٠١٤:١٥.
٤٢ عمران، ٢٠١٤:١٩.
٤٣ ابو عسلة، ٢٠١٥:١١.
٤٤ حسين، ٢٠١٤:١٠.

يخلقها. تعريف النموذج هو الأمور التي تقوم بها أطراف النزاع أو تقولها بشكل صريح بهدف ممارسة نفوذها على الأطراف الأخرى. تتحدد مصلحة الأطراف بالأسباب المعلنة بشكل واعٍ التي تبرر المواقف المتعارضة للأطراف وتقف وراءها. إن أعمق طبقة تشكّل جذور هذه المواقف والمصالح المعلنة في نزاع ما هي الاحتياجات الإنسانية الأساسية والتي يُعَرَّف عنها على أنها أكثر المتطلبات أهمية للحياة، والتي من دونها لا يمكن للكائنات البشرية أن تصمد جسدياً و/أو عقلياً.

إذا كانت المصالح تمثّل ما يريده الناس، على سبيل المثال، الانتقام من الأعداء، فإنّ الاحتياجات الإنسانية الأساسية تمثّل ما يحتاجون إليه بالفعل، على سبيل المثال، الرغبة في أن يقوم الجميع، من ضمنهم الأعداء، بتكريم حياة الأحباء الذين قُتلوا. من ضمن فئات الاحتياجات:

- الأمان، مع التشديد على القدرة على حماية الأرواح وعلى الظروف اللازمة للقيام بذلك؛
- الخدمات الأساسية، الذي يتحقق عبر تأمين الوصول إلى الطعام والماء والمأوى وغيرها من الموارد والظروف المادية للمحافظة على الحياة؛
- الهوية، والتي يُعبرّ عنها بأمور كالأديان واللغات والسرديات التاريخية؛ و
- الحرية من القمع السياسي والاحتلال العسكري والقيود الاجتماعية على حركة التنقل.[٤٥]

في ظل الظروف المزمنة للعنف البنيوي والثقافي، يعتاد المتضررون من العنف على الحرمان من احتياجاتهم لدرجة أنهم غالباً ما يصبحون غير مدركين لهذا الحرمان. بيد أنه يمكن للأفراد المتضررين أن يصفوا حرمانهم عبر طريقة اختبارهم له بشكل شخصي. يمكن تحديد الاحتياجات الإنسانية الأساسية للأطراف المتنازعة من خلال مراقبة أنماط سلوكهم في المواقف الحرجة التي تتعلّق بالحياة أو بالموت. من ضمن الأمثلة على هذه السلوكيات المتعلقة بالنزاع: الفرار من المنازل للبقاء على قيد الحياة، الانتحار بدافع اليأس، ونقل القيم واللغات إلى الأجيال القادمة، على الرغم من كل العوائق.[٤٦] سواء كانت هذه السلوكيات صحية أو غير صحية، يمكنها أن تتخّذ شكل استراتيجيات تكيّف نسقية تهدف إلى تخفيف المعاناة التي يفرضها هذا الوضع الخارج عن السيطرة.

١,٤. الجسور ـ الاستجابة في الحاضر

١,٤,١. بوادر الأمل

طبّق الطلاب عموماً خلال أعمالهم الميدانية واحداً من النهج التي تم تقديمها في برنامج الماجستير، ألا وهو نهج الحاضر-المستقبل-الماضي[٤٧] للمصالحة. وفقاً لهذا النهج:

٤٥ آراي، ٢٠١٤:٤٢.
٤٦ المرجع نفسه.
٤٧ المصدر نفسه.

[...] يتم تشجيع الأعداء الذين لديهم كره عميق تجاه بعضهم البعض على وضع خطط تعاون بهدف تلبية احتياجاتهم الفورية للتعايش المشترك. ومن ثم يُتوقّع منهم أن يعملوا معاً بشكل مستمر وأن يبنوا بشكل تدريجي علاقات تؤدي إلى مستقبل خالٍ من العنف. أخيراً، بعد القيام بهذه الخطوات، يتمّ تشجيعهم على التصالح مع أحقاد الماضي وعلى البناء على الشعور بالترابط الناشئ بينهم.[٤٨]

طبّق الطلاب استراتيجياتٍ وتدخلاتٍ نفسية اجتماعية عززت التعاون بين مختلف الأطراف على تلبية احتياجات التعايش المشترك الملحّة. على الرغم من الجراح التي يسببها النزاع في الجمهورية العربية السورية، والتي تتّخذ أشكالاً عديدة، شدد الطلاب على الجسور البشرية وعملوا على تدعيمها من خلال تدخلاتهم، محاولين بالتالي التغلب على الاستقطاب وتعزيز القدرة على الصمود والإقرار بالنمو الذي تفعّله الشدائد والبناء عليه.

أرادني المحيطون بي أن أنسى موضوع الحرب، لم أستطع وهذا الأمر أبعدني عنهم. ذهبتُ إلى "عاصمة الحنابلة [٤٩] في سورية"، مدينة دوما. أدعوها عاصمة الحنابلة في سورية لأنني حين ذهبت إليها للمرة الأولى، كنت أعرفها على أنها مدينة الأصوليين حيث الدين يحكم. سمعت روايات كثيرة عنهم وعن معاملتهم للنساء. أنا لا أصلي، أشرب الكحول [...] حين وصلت إلى هناك، كنت متوتراً. كنت دخيلاً؛ راقبوني، وقمتُ بالمثل. حين فُرض الحصار، مُنع الماء والطعام عنّا. أصبح لدينا مزيدٌ من الهموم المشتركة جعلتنا ننسى الأمور البديهيّة كالمظاهر والدّين، إلخ. أصبح لدينا هدف جديد في الحياة: العثور على ماء وطعام لمساعدة الآخرين. بدأت علاقة جديدة؛ تمكّنا من التعرّف إلى بعض وتحدّثنا بصراحة. منحوني قوة بفضل إيمانهم العميق، ومنحتهم قوة بفضل عدم مبالاتي. مساعدة الآخرين وحّدتنا [...][٥٠]

إن الاحتياجات الإنسانية الأساسية العادية، كالأمان والاحترام والتقدير،[٥١] تساعد الناس بحقّ على الاتحاد والتغلب على الاستقطاب والعدائية. وعلى الأرجح أنه بسبب هذه الملاحظة، وجد بعض الطلاب أنه يمكن لنهج الـ "حاضر- مستقبل - ماضي" لتسوية النزاعات أن يكون الأكثر فعالية في الجمهورية العربية السورية.

عقب هذه التجربة، لن أعتبر نفسي فناناً بعد اليوم. أنا الآن ناشطٌ في المجال الإنساني؛ من واجبي الأخلاقي أن أظهر للعالم الأمور التي شهدتُ عليها [...] واجب أخلاقي تجاه النازحين، وهذا هو الأمر الوحيد الذي يمكنني أن أقدّمه لهم كوسيلة لدعمهم. يجب أن أرفع الصوت.[٥٢]

من شأن العثور على هوية جديدة وعلى دور جديد عقب الشدائد والعجز أن يساعد الأفراد والمجموعات على إيجاد معنى وجودي جديد وهدف جديد على الرغم من كل الخسائر، ويُعتبر دون أدنى شك مصدراً

٤٨ آراي، ٢٠١٤:٤٢.

٤٩ المدرسة الحنبلية هي واحدة من مدارس المذاهب الإسلامية الفقهية السنية المتشددة الأربعة وتُعتبَر مدرسة تقليدية صارمة.

٥٠ عمران، ٢٠١٤:٣٤.

٥١ آراي، ٢٠١٤:١٣.

٥٢ عمران، ٢٠١٤:٣٦.

داخلياً يمكنه تعزيز استراتيجيات تأقلم صحيّة.

يمكن للتغلّب على الاستقطاب أن يبدأ أيضاً عبر دعم الناجين في استعادة دور وجوديٍّ فعّال. فيما يتلقّى اللاجئون في معظم المجتمعات المضيفة الدعم والغوث بطريقة سلبية، توجد أيضاً أمثلة عن تدخلات أكثر فعالية واستدامة: في جنوب لبنان، وبدعمٍ من منظمة غير حكومية محلية ومن صحافي ناشط في المجال الإنساني من المنطقة، شكّل اللاجئون السوريون لجنة أهلية للدعم وللتخفيف من حدة النزاعات. دور هذه اللجنة هو دعم الوافدين الجدد، خصوصاً الأكثر ضعفاً، والتدخّل حين تنشأ نزاعات بين اللاجئين وأفراد من المجتمع المضيف أو بين اللاجئين أنفسهم.[٥٣]

تختلف بوادر الأمل هذه من منطقة جغرافية إلى أخرى، لكنها تملك رغم ذلك قاسماً مشتركاً: الأمل في حاضر أفضل، في غدٍ أفضل، والأمل في السلام والأمن من أجل الأجيال القادمة.[٥٤] اجتمع طلاب الماجستير الذي نظّمته المنظمة الدولية للهجرة في لبنان على الأمل ذاته. اكتشاف سبل لإعادة بناء الـ "جسور" أو تدعيمها كان هدفهم الأساسي، خصوصاً كما ذكرنا سابقاً، بوجود إشكاليات يتردد صداها لديهم على المستويين المهني والشخصي.

١,٤,٢. "الأشجار والأحجار هي نفسها في كل مكان": دعم مشاركة الأطفال المهجرين واللاجئين في المجتمعات المضيفة

أربعة من خمسة أطفال سوريين في لبنان هم خارج المدارس ولا يتلقّون أي تعليم رسمي. إضافةً إلى ذلك، معظم الأطفال الذين تخطّوا الثامنة من العمر يقدّمون الدعم المالي لعائلاتهم من خلال أشكال خطيرة من العمل.[٥٥] في بعض الأحيان، تُفرض على هؤلاء الأطفال مسؤولية دعم عائلاتهم مالياً بسبب قيود أمنية، أو لأنّ البالغين غير المسجّلين يخشون أن يتمّ توقيفهم. إضافةً إلى تَبِعات التغيّر في الأدوار داخل عائلاتهم، الذي يجعل منهم المعيلين للعائلة، وإضافةً إلى التحديات التي يواجهونها في حياتهم العملية، يتعرّض هؤلاء الأطفال للتمييز والعدائية حين يشتركون في نشاطات نفسية اجتماعية إلى جانب أقرانهم من المجتمعات المضيفة. من خلال الفن والكتابة والدراما والمسرحيات، تمكّن الأطفال من المجتمعَين من التغلّب على الاستقطاب الذي كان يحكمهم، مما أدى إلى تنمية التعاطف بينهم وإلى ملاحظة أنهم يملكون أشياء مشتركة أكثر مما كانوا يتصوّرون. ركّزت العديد من التدخلات النفسية اجتماعية على شبكات الطفل إلى آخر[٥٦] وعلى استراتيجيات تسوية النزاعات من خلال الألعاب والدراما والفن، بهدف دعم الأطفال والشباب في إيجاد أرضيات مشتركة وفي بناء جسور تفاعلية فيما بينهم.

"في بلدي، لا يوجد أنا"[٥٧]. هكذا أكمل لاجئ سوري يافع جملة: "في بلدي، لا يوجد [...]" خلال حلقة كتابة

٥٣ قشور، ٢٠١٥:١٩.
٥٤ عبرّ ٩١٪ من المشاركين عن هذه الأمنية في استبيان بحثيّ أجرته إلهام إلياس موسى، طالبة ماجستير.
٥٥ قشور، ٢٠١٥:٧.
٥٦ إبراهيم، ٢٠١٤:٢٢.
٥٧ المرجع نفسه.

تمّ تنظيمها للشباب السوري واللبناني. في حلقات العمل هذه، قال الشباب أنهم بعد أن سمعوا بعضهم، تمكّنوا من رؤية المشاكل المطروحة من منظور مختلف؛ بنظرهم، لا تُعزى مشاكلهم اليومية إلى المجموعة الأخرى وحدها.

مثال آخر عن جلسات دعم نفسي اجتماعي وحوار، حيث قام أطفال نازحون وأطفال مضيفون ببناء جسور بشرية، جرى في السويداء، جنوبي الجمهورية العربية السورية. في الجلسة التي دُعي فيها الأطفال إلى إيجاد عناصر من الطبيعة (أحجار، أوراق شجر وغيرها) تذكّرهم ببلدهم ومشاركة سبب اختياراتهم لهذه الرموز مع المجموعة، ذكرياتهم عن منازلهم والمنازل التي خسروها، عن غرف نومهم، وحكايات عن ملاعبهم المفضّلة جعلتهم يدركون أنهم يملكون أشياء مشتركة أكثر مما كانوا يتصوّرون.[٥٨] كرر الميسّر البرنامج نفسه مع مجموعات من الأطفال في محافظات سورية مختلفة: حلب، دمشق، حمص وطرطوس.

كذلك الأمر في شمالي الجمهورية العربية السورية مع الأطفال الأكراد والعرب الذين هربوا من العراق، حيث كان من الصعب في البداية تنظيم ورشات عمل حول الدعم النفسي الاجتماعي والحوار بسبب العداء بين المجموعتين، ولأنه كان يجب على الميسّر أن يتكلّم اللغتين العربية والكردية كي يتمكّن الأطفال من التواجد داخل مجموعة واحدة. مع ذلك، وبعد فترة، عقب بضعة جلسات نفسية اجتماعية تمكن الأطفال فيها من التعبير بطريقة آمنة عن الخسائر التي مُنيوا بها وعن مخاوفهم وصراعاتهم الحالية من خلال الرسومات والألعاب المسرحية، بدأوا يستخدمون لغة الآخر لتسهيل التواصل.[٥٩]

أما الأساتذة والأهل الذين كانوا في بداية التدخل متشائمين من قدرة الأطفال على احتمال بعضهم البعض واللعب معاً داخل نفس المجموعة، فقد أفادوا بأن هذه التدخلات كانت فعالة.

معظم طلاب الماجستير الذين عملوا مع أطفال خلال أعمالهم الميدانية أدركوا أنه من الضروري العمل مع الأهل والأساتذة ـ المستقطبين بدورهم ـ لضمان تغيير مستدام لدى الأطفال.

١,٤,٣. "يجب ألا يقف شيء في طريقنا": دعم النساء من خلال التغيير الذي يطرأ على دورهن

يتمّ تنفيذ برامج ونشاطات نفسية اجتماعية تركّز على كسب الرزق في معظم المناطق التي تعيش فيها عائلات نازحة.

> إن التركيز على دعم النساء ليس تمييزاً مبنياً على النوع الاجتماعي لسوء الحظ، إنما هو ناتج عن الواقع السياقي. تصل النساء مع أطفالهنّ والرجال لا يرافقون عائلاتهم، لأنهم منخرطون في النزاع المسلّح، لأنّ مصيرهم مجهول، لأنهم حاولوا طلب اللجوء في بلدان مجاورة على أمل الاجتماع بعائلاتهم قريباً أو لأنهم كانوا خارج سورية قبل اندلاع الحرب ولم يتمكنوا من العودة لأسباب أمنية.[٦٠]

> أنا أم سورية؛ وفيما كنت أستضيف النساء النازحات اللواتي وصلن إلى اللاذقية وأقدّم لهن الدعم، لم أتمكّن من عدم وضع نفسي في مكانهنّ [...] إذا تمكّنا من دعم هؤلاء النساء ومن

٥٨ عبيد، ٢٠١٥:١٧.
٥٩ محمد، ٢٠١٥:١٩.
٦٠ الحاج حسن، ٢٠١٤:٦.

مساعدتهنّ على الشعور بأنهن لسن وحيدات في كفاحهنّ، نكون قد حظينا بفرصة لدعم ما تبقى من هذه العائلات بشكل أفضل... إن النساء، وعلى الرغم من التقاليد، هنّ الدعامة التي تقوم عليها الأسرة.[٦١]

كما في كل حالة طوارئ، تتغيّر أدوار النساء؛ تقليدياً، النساء مسؤولات عن تربية الأطفال في المنزل وعن الاهتمام بأهل البيت، يعشن في ظل زوج أو والد أو إبن مسؤول عن حمايتهن ومعيشتهن.[٦٢] عقب خسارة أو غياب الرجال في العائلة، تجد النساء أنفسهنّ أمام خيارين: إما الانهيار والغرق في الحزن، وإما تحدّي أحكام المجتمع العديمة الرحمة، وضغوطات عائلاتهن وعائلات أزواجهن، والدفاع عن أطفالهن عبر تغيير جذري في هويّاتهن وأدوارهن وحياتهنّ.[٦٣] على الرغم من أن النساء اللواتي فقدن "حاميهنّ وكاسب قوتهنّ" عانين من الضيق وفضّلن الانعزال بهدف حماية أنفسهن من المجتمع المصدر للأحكام،[٦٤] أظهرت مقابلاتٌ وتدخلاتٌ نفسية اجتماعية أخرى أن أقنعة الخضوع الكلّي التي كانت تضعها النساء في أجزاء محافظة من الجمهورية العربية السورية قد سقطت أيضاً.

أم محمد امرأة في الستين من عمرها؛ بعد موت زوجها، شهدت على اختفاء اثنين من أبنائها وعلى ولادة الطفل الأول لأحد أبنائها. أخذت مسؤولية كنّتيها وأطفالهما على عاتقها وأعادت افتتاح محل البقالة الذي يمتلكه ابنها، وهي الآن تديره بمفردها. بالإضافة إلى ذلك، لم تيأس من إيجاد ابنيها وهي تسافر باستمرار إلى دمشق، حيث تأمل بالحصول على معلومات عنهما.

نهاد، إثنين وأربعين عاماً، خسرت زوجها وقررت اصطحاب أطفالها الأربعة إلى خارج الجمهورية العربية السورية لحمايتهم. بيد أنها تعرّضت لطلق ناري خلال سفرها، مما اضطرها للعودة إلى منزل أهلها بسبب إصابتها البالغة. بفضل الدعم الذي حظيت به، تمكّنت من التغلب على مختلف الشدائد التي تعرّضت لها وقررت أن تصبح سائقة سيارة أجرة. لم تتخيّل يوماً أنها ستعمل، ناهيك عن العمل كسائقة سيارة أجرة؛ مع ذلك، تقول نهاد بكل فخر أن هذا هو الدرس العظيم الذي تودّ أن يتعلّمه أطفالها: "يجب ألا يقف شيء في الحياة في طريقنا".[٦٥]

إن بناء شبكات اجتماعية داعمة بين نساء خسرن أزواجهن أو نساء يعانين من النزوح وتبدّل الأدوار كان هدف مجموعات دعم نفسي اجتماعي نظّمها طلاب الماجستير. بفضل هذه المجموعات، تعلّمت النساء كيف تمكّنت نظيراتهنّ من تخطي المصاعب. ساعدهنّ التعبير عن حزنهنّ بطريقة آمنة على إدراك بأنهن لسن وحيدات، وبأن بعض مصادر ضيقهن يمكن إدارتها أو التحكّم بها. كذلك، ساعدهم التعبير عن حزنهنّ بطريقة آمنة على إدراك أن وضعهن الصعب هو أيضاً فرصة لمزيد من حرية الاختيار والتطوير الذاتي.[٦٦]

٦١ فاروسي، ٢٠١٥:٤.
٦٢ مرعي، ٢٠١٥:٦.
٦٣ سالمه، ٢٠١٤:٩.
٦٤ المرجع نفسه.
٦٥ الحاج حسن، ٢٠١٤:١٨.
٦٦ جوهر، ٢٠١٥:٢٢.

١,٥. توصيات حول التدخلات المستقبلية

ركّز طلاب الماجستير أطروحاتهم بشكل أساسي على دعم الأطفال والنساء والعائلات النازحة بشكل عام. إن تطوير قدرات العاملين في المجال الإنساني في المنطقة كي يتمكّنوا من دعم المجموعات المتضررة هو حاجة ماسة. يجب تشجيع الأفراد على العمل سوياً وإعادة بناء علاقاتهم تدريجياً نحو مستقبل خال من العنف، قبل أن يتمكّنوا أخيراً من التصالح مع جراحهم وأحقادهم الماضية. برامج دعم نفسي اجتماعي من شأنها مساعدة المجموعات المتضررة على تحويل وإعادة بناء الأدوار والهويات التي خسروها أو قاموا بتنميتها خلال الأزمة، وكنتيجة لها يمكن تجهيز الأرضية لإطلاق الحوار وبالتالي للقيام بتغيير مستدام. يجب دعم هذه المجموعات أيضاً وتشجيعها كي تمتلك زمام هذه العملية التحويلية وتصبح من مناصري هذا التغيير. في هذا السياق، كان برنامج الماجستير محاولة لإعداد مجموعة من المهنيين، الذين هم أيضاً جزءٌ من المجتمعات المتضررة، لإطلاق عملية التغيير. يمكن استخلاص بعض التوصيات من الأطروحات لبرمجة مستقبلية، كما ذكرنا سابقاً:

أ- نَهج الحاضر ـ المستقبل ـ الماضي: يركّز هذا النهج على احتياجات التعايش الملحّة للمجتمعات المتضررة طوال التدخلات، ومن ثم يشجّع تدريجياً على إعادة بناء جسور علائقية نحو مستقبل خالٍ من العنف. بعد هذه الخطوات، يمكن البدء بنشاطات تشجّع المجتمعات على التصالح مع أحقادها الماضية وعلى البناء على الشعور بالترابط الناشئ بينهم.

ب- النهج النسقي: فهم أثر الجراح من منظور نسقي على المستويات الفردية والعائلية والمجتمعية والتخطيط للتدخلات وفقاً لذلك.

ج- لا يمكن للعمل مع مجموعات محددة أن يكون فعّالاً ما لم يتمّ التخطيط لتدخلات مع السياق المحيط أيضاً. على سبيل المثال، لا يمكن للعمل على الحوار بين مجموعات من الأطفال من خلفيات مختلفة وإيجاد أرضيات مشتركة بينهم أن يكون له أثر مستدام، ما لم يتمّ إطلاق تدخلات مماثلة مع الأهل والأساتذة وغيرها من الشبكات التي تتفاعل مع هؤلاء الأطفال.

إضافةً إلى ذلك، يمكن إضافة بعض التوصيات الأخرى ضمن الإطار النسقي لبرنامج الماجستير، ليس من خلال النظر إلى العمل الميداني، بل إلى ممارسات فضلى أخرى تم تحديدها في المنطقة.

١,٥,١. العمل مع الرجال وغيرهم من الفئات المهمّشة

يتصاعد العنف المنزلي، وهو مشكلة قائمة منذ قبل الحرب، طيلة رحلة الخسائر والضيق والنزوح. إن أسباب العنف المنزلي متجذّرة في السياق الاجتماعي التربوي الأبوي بشكل عام (القانوني والاقتصادي والتعليمي والاجتماعي وغيرها) الذي عادةً ما يعطي الرجال امتيازات مبنية على النوع الاجتماعي. هذا السياق العام يولّد مفاهيم ضمنية حول الأدوار الاجتماعية تؤثّر على اختيار الشريك وتأسيس الأزواج ومن ثم العائلات،

حيث تكون القواعد الناشئة عنها محفورة في الصخر؛ على الرجل أن يعمل وأن يحمي شرف العائلة؛ على المرأة أن تربّي الأطفال وتطيع زوجها وتعتني بأفراد العائلة. تؤثر عدة عوامل على التوزيع التقليدي للأدوار الاجتماعية في زمن الحرب وبعده. إن خسارة هذه الأدوار والتغيّرات التي تطرأ على تشكيلات العائلة تؤدي إلى ظواهر عنيفة وظيفتها إعادة فرض ديناميكية السلطة والتوازن بين الأدوار الاجتماعية (يفقد الرجال عملهم فتضطر النساء للعمل، مما قد يؤدي بالرجال إلى فقدان السلطة وبالنتيجة ربمّا للعنف). مع صعود الحركات النسائية التقليدية في المنطقة، يمكن التسبب بضرر أكبر للأزواج والتشكيلات العائلية ما لم يتمّ أخذ جذور العنف المنزلي بالاعتبار عند التخطيط للتدخلات. يمكن لدعم العائلات المتضررة من الحرب أن يكسر دائرة العنف المتكررة عبر الأجيال. إن العائلات هي أساس القدرة على الصمود والهوية في المنطقة. يجب على العاملين في المجال الإنساني الذين يعملون على هذه الإشكالية أن يتحدّوا، قبل كل شيء، مواقفهم الخاصة المتعلّقة بالأنواع الاجتماعية ومن ثمّ أن يضعوا استراتيجيات لتدخلات من شأنها أن تعيد خلق توازن صحي داخل الأزواج والعائلات.

إضافةً إلى ذلك، شدّد تقييمٌ للاحتياجات التدريبة، جرى عام ٢٠١٦ مع اختصاصيين سوريين في مجال الصحة النفسية يعملون داخل الجمهورية العربية السورية[٦٧]، على الحاجة إلى برامج تطوير قدرات تهدف إلى تزويدهم باستراتيجيات صحة نفسية ودعم نفسي اجتماعي متخصصين ومركّزين لكل من الناجين وموفّري الرعاية/العائلات. حدد التقييم بضع فئات مثيرة للقلق:

أ - الأطفال المنخرطين في النزاعات المسلحة؛

ب - الناجون من أسوأ أشكال انتهاكات حقوق الإنسان (أطفال وبالغون)؛

ج - الأفراد الذين يعانون من بتر الأطراف والتشوه والإعاقات بسبب الحرب؛ و

د - المحاربون السابقون.

أخيراً، إن خدمات الصحة النفسية المتخصصة ضرورية في حالات الطوارئ، خصوصاً حين تتخطى الجراح مستوى المعاناة الإنسانية الطبيعية.[٦٨] بيد أنه لا يمكن إطلاق وتعزيز عملية تحويل الهويات والأدوار وإعادة بنائها ما لم يتمّ إعطاء معنى جماعياً جديداً للشِدَّة، وما لم يختبر الناجون إعادة مشاركة صحية في مجتمعاتهم، وما لم يحظوا بفرصة لتنمية هدف وجوديّ جديد – ما لم يصبحوا دعاةً للتغيير.

١,٥,٢. منظور تحويلي متعدد الثقافات

يمكن للأقنعة والواجهات التي تحمي الانتماء أن يكون لديها وظيفة الحفاظ على القيم الأصلية والهوية الأصلية. إن الأفكار التحليلية النفسية تشبّه الآلية النفسية لدى البشر بالمواقع الأثرية؛ طبقاتٌ من الأتربة والترسبات تحفظ الأنقاض إلى أن يتمّ استخراجها للكشف عن تاريخ الشعوب وهويّتهم. يمكن للقدرة على الصمود وللقيم ولآثار ذكريات أن تبقى مخبّأةً ومحفوظةً في اللاوعي – وأحياناً تحت أقنعة – إلى أن تتمّ

٦٧ أبعاد، ٢٠١٦.

٦٨ بابادوبولوس، ٢٠١١.

بلورتها من خلال العلاج أو إلى أن يصبح من الممكن الإفصاح عنها عقب تجارب حياتية قوية تعزز القدرة على التساؤل الوجودي وعلى التبصّر وعلى الوعي الذاتي.

الإرث الثقافي وصِلَتُه بالرفاه النفسي الاجتماعي والحوار

خلال سنوات الحرب السورية الستّ الماضية، تعرّضت عدة مواقع تراث ثقافي ومتاحف ومبانٍ تاريخية، من ضمنها مواقع التراث العالمي لليونيسكو الستة في الجمهورية العربية السورية، للضرر أو للدمار الكامل، ناهيك عن المواقع الأثرية في العراق.

عام ٢٠١٥، تمّ تنظيم دورة تدريبية على سبل المحافظة على الإرث الثقافي في الإمارات العربية المتّحدة ضمّت عالمي آثار ومدراء متاحف من المنطقة. خلال الدورة التدريبية، وصف المشاركون التحديات التي يواجهونها للحفاظ على الإرث الثقافي لبلدانهم، وكيف أنهم يخبّئون في منازلهم وأقبيتهم ما تمكّنوا من إنقاذه من المواقع والمتاحف، على الرغم من معرفتهم بأن أعمالهم هذه تعرّضهم وعائلاتهم لخطر الموت. إن وعيهم لفداحة هذه الخسائر والعجز الذي واجهونه عندما شاهدوا هذه الهجمات، أثّر فيهم مثل "عائلة فقدت طفلاً من أطفالها"، على حدّ قول عالم آثار سوري. إن صلةً بين الأثر النفسي الاجتماعي لهذه الخسائر على مستوى الهوية الجماعية جعل المهنيين يعون أهمية دورهم في ترميم الأنقاض وحمايتها. خلال هذه الدورة التدريبية، قررت مجموعةٌ التنسيق مع فاعلين في المجال النفسي الاجتماعي في وطنهم الأم والتخطيط لحلقات عمل يمكن خلالها القيام بإعادة إعمار رمزي للمواقع المدمَّرة. كانت خطّتهم تهدف إلى إطلاق حملة قائمة على المجتمع، تقضي بأن يقوم الأفراد بجمع صور للمواقع واستخدامها في حلقات عمل تهدف إلى توثيق التاريخ الشفوي والأذكار التي من شأن الصور أن تحفّزها. مع كلّ الشدائد التي تمرّ بها المجتمعات في أزمنة الحرب، قد يظنّ البعض أن هذه المبادرات ليست من الأولويات. بيد أنه يجب التوصية بهذه المبادرات وتشجيعها ودعمها في المنطقة، خاصةً حين نلاحظ أن الإرث الثقافي من شأنه أن يوحّد، بواسطة فخر الانتماء، المجتمعات التي فرّقها الاستقطاب.

تمّ تطبيق مثالٍ آخر عن العمل على أرشيف الذكريات والتاريخ الشفوي عقب الحرب السورية في مخيمات اللاجئين على الحدود الأردنية. شجّعت هذه المبادرة المتقدّمين في السن الذين رفضوا مغادرة خِيَمهم والمشاركة في النشاطات النفسية اجتماعية القائمة على المجتمعات المحلية، على تذكّر التاريخ الشفوي لِقُراهم الأصلية إضافةً إلى معالمها الأثرية والجغرافية. تمّ جمع مجموعات من الأطفال الذين ولدوا داخل مخيمات لجوء أو دور حماية والذين لم يحظوا يوماً باختبار "التجربة الحسّيّة"[٦٩] لمناطق انتمائهم، في خيم المتقدّمين في السن لاكتشاف الإرث الثقافي لجذورهم بشكل رمزي ومن خلال جلسات رواية القصص. في اللغة العربية، الترجمة الحرفية لسؤال "ما اسم عائلتك" هو "من أيّ بيت تأتي". يخبرنا هذا التعبير اللغوي

٦٩ بحسب بابادوبولوس (١٩٨٧)، تتألف الهوية من ثلاثة عناصر أساسية تتفاعل فيما بينها ومع السياق: (أ) العناصر الملموسة (على سبيل المثال البلد الأم، علاقات النسب، المهن والجينات)؛ (ب) العناصر غير الملموسة (القيم، الأيديولوجيات، المشاعر)؛ و(ت) التجربة الحسية للمكان الذي ندعوه وطن (المرئي، المسموع).

الكثير عن قيمة مفهومَي البيت[٧٠] والانتماء في ثقافة المنطقة ويجب أن يدفع بالأطراف الفاعلة في المجال النفسي اجتماعي إلى انتاج نسخ عن النشاطات التي من شأنها أن تساعد المجتمعات المتضررة على إعادة بناء "بيوتها" بشكل رمزي وبالتالي إعادة بناء هوياتهم الجماعية والفردية.

تشابيه ورموز وطقوس: أدوات متعددة الثقافات من أجل الذكرى والتحوّل

إن التشابيه والرموز والطقوس هي أدوات تُوصِل "ليس فقط الأفكار إنما المشاعر، ليس فقط الوقائع إنما وجهات النظر حول الوقائع، ليس فقط الأفكار إنما القيم. إن ترسيخ ما نتعلّمه في تجارب حسّية وتشابيه وطقوس وروايات يجمع المستمعين والرواة في دائرة التواصل الإنساني ذاتها."[٧١]

إن التعبير عن العواطف والمشاعر خلال التفاعل مع الآخر في الثقافة العربية هو أبعد ما يكون عن عملية صريحة وواضحة. "وكأنني أحمل جبلاً على كتفيّ" عبارةٌ تعني مغمورٌ، وتشير عبارة "أشعر أن هناك بلاطة على صدري" إلى القلق، وعبارة "حطّم قلبي" إلى الخزي وعبارة "إن يديّ مكبّلتان" إلى العجز. بصورة عامة، يتمّ التعبير عن العواطف والمشاعر بواسطة التشابيه، وكذلك بواسطة ظواهر نفسية جسدية مزمنة. خسرت أمٌ في جنوب لبنان في الخمسين من عمرها ابنها الذي ذهب ضحية لغم أرضي. لشهور مضت، لم تتمكّن من الحزن عليه لأنه من المفترض أن يكون شهيداً، والشهادة رمز فخر في المجتمع. تمّت إحالتها إلى خدمات الدعم النفسي لأنها كانت تعاني من نزيفٍ في الرحم لم يتمكّن الأطباء من ربطه بأي مشكلة فيزيولوجية. إن العمل على فهم التعبير المجازي لجسمها ساعدها على التعبير عن حزنها العميق طوال الجلسات؛ "رحمي يبكي دماً على ابني الحبيب الذي خسرته" كانت آخر رؤية عبّرت عنها قبل توقّف النزيف. من المهم أن نذكر أن دراسات رسم الجسم التي تُظهر الأحاسيس البدنية المرتبطة بكل عاطفة، ومكانها في الجسم، من شأنها أن تؤكّد على صحّة هذه التشابيه المتوارثة ثقافياً، وعلى معنى الأعراض النفسية الجسدية التي تظهر حين تفشل وسائل التواصل الأخرى في تأدية وظيفتها.

كما ذكرنا سابقاً في هذا الفصل، يمكن للتعبير الصريح عن العواطف والأفكار، خاصة تلك المتعلقة بمواضيع سياسية في المنطقة، أن يعرّض للخطر أمن المتدخّل والفرد/المجموعة التي هي بحاجة للدعم. أخبرتنا معالجة نفسية تعمل مع الناجين من عمليات التعذيب أن الناجين يحاولون، ضمنياً أو من خلال عملية الدعم، أن يحموها ويحموا المساحة الآمنة التي توفّرها لهم من الحقيقة، إذ أن التعبير عن تفاصيل رحلتهم سيعرّضها ويعرّضهم للخطر. هذا الأمر بحدّ ذاته يجب أن يبرّر أهمية تعزيز هذه الأدوات وتطوير استراتيجيات تدخّل إضافية تراعي السياق الثقافي وتحترم الخصوصيات السياقية للوضع الأمني، خاصةً وأنه من الواضح أن طريقة التفاعل هذه قد تدوم لسنوات طويلة بعد توقُّف الحرب التي أنتجتها.[٧٢]

ناحية أخرى متعددة الثقافات يجب أخذها بالاعتبار ودعمها وتطويرها، وهي العلاج الإثني؛ يمكن للعمل

٧٠ بابادوبولوس (١٩٨٧).
٧١ لو بارون، ٢٠٠٢، المذكورة في آراي، ٢٠١٤:٣٦.
٧٢ سلوزكي، ٢٠١٦.

عن قرب مع المعالجين التقليديين أن يساعد في تجّنب الممارسات التقليدية المؤذية وفي تعزيز الوعي في ما يتعلّق بالدعمِ النفسي الاجتماعي والصحة النفسية عند الحاجة. لدى المجتمعات ميلٌ ثقافي وجودي إلى البحث دائماً عن تفسير للمعاناة – النفسية أو الجسدية – في العناصر الخارجية المحيطة. فالمرض والصعوبات في الحياة العاطفية والفشل وغيرها، مردّها إلى قوى خارقة غامضة مثل العين الحسودة والأرواح الشريرة وغيرها. يمكن لطقوس الشفاء التقليدية أن تؤمن الحماية والعلاج. يلتمس اللاجئون السوريون وأفراد المجتمعات النازحة، القادمون من المناطق الريفية في الجمهورية العربية السورية، الراحة والرفاه من خلال هذه الطقوس التي يثقون بها، في معظم الأوقات، أكثر من ثقتهم في تدخلات الصحة النفسية المستوحاة من الغرب التي يتمّ الترويج لها في المنطقة.

إن وظيفة الطقوس هي تعزيز الهويات الجماعية وحس الانتماء. في كل ثقافة، هناك طقوس معيّنة ترافق التغيّرات الكبرى في الحياة، كطقوس الولادة والزواج والموت. مع الفوضى التي تعمّ المنطقة وفقدان السيطرة والعجز، يمكن للطقوس الفردية والعائلية والجماعية أن تساعد المجتمعات المتضررة على تحويل الشدائد التي مرّت بها وإعطائها معنىً وجودي، وعلى استعادة السيطرة على ما هو خارجٌ عن السيطرة. بما أن الحروب والنتائج المترتبة عليها قديمةٌ بقِدمَ الأديان في التاريخ البشري، هناك عدة طقوس شفاء خاصة بكل مذهب، خاصة في المنطقة، ترافق بشكل مباشر أو غير مباشر الناجين في حزنهم. على سبيل المثال، صلاة الغائب هي طقس ديني يرافق العائلات بشكل صريح في عملية الحزن، حين يكون جثمان الشخص المتوفّى مفقوداً.[٧٣] تُقام أيضاً في المنطقة طقوس إحياء ذكرى جماعية سنوية لشهداء دينيين أو سياسيين تاريخيين، وظيفتُها دعم العائلات أكثر فأكثر خلال عملية الحزن، إضافةً إلى تعزيز الانتماء إلى قضية أو مجموعة ما. يبدو أن الفلسفة العقائدية الطاغية على التعامل مع الخسارة البشرية تؤثر بشكل كبير على أهمية هذه الطقوس وعلى فعاليتها في تحقيق وظيفتها؛ فكلّما تمّ اعتبار خسارة الأحباء فخراً للمجتمع، كلّما ازدادت هذه الطقوس تبجيلاً.

من منطلق لا يتعلّق بالدين إنما لا يقلّ عنه شأناً، يتمّ تشجيع عائلات المفقودين قسراً في لبنان، من خلال الدعم النفسي الاجتماعي والعلاج بالفن، على إحياء ذكرى فقد أحبّائهم عبر طقوس إحياء ذكرى جماعية سنوية. عام ٢٠١٧، نظّمت العائلات، بدعم من منظمات عالمية ومحلية، حدثاً عاماً تحت عنوان "كراسي فارغة، عائلات تنتظر". جاء هذا المعرض تكريمًا لمعاناة عائلات المفقودين، وأيضاً لجهودهم الهادفة إلى إيجاد مكان لأحبّائهم الذين فقدوا خلال النزاعات المسلّحة في لبنان في الذاكرة الجماعية للحرب. كل كرسي كان نتيجة العمل الخلاق لعائلة من هذه العائلات، وهو يعكس الشخصية الفردية لكل مفقود، أو ذكراها في نفوس أفراد عائلته. هذه الكراسي جاءت نتيجةً لعدة جلسات دعم نفسي اجتماعي وعلاج بالفن، سمح للأهالي بالتعبير عن معاناتهم ومشاركتها مع آخرين يعيشون التجربة ذاتها، وتحويلها إلى عمل فني رمزي هادف. كان هذا العمل الجماعي أيضاً فرصةً للتغلّب على الاستقطاب، إذ أنه جمع أهالٍ من كل الخلفيات ولفت الأنظار إلى قضيّتهم المشتركة.[٧٤]

٧٣ لصلاة الغائب عند الشيعة ما يقابلها عند الأديان الأخرى. فهي تُدعى الجنازة في المذهب السنّي أو الجنّاز في المسيحية.

٧٤ ستوديو أرتيتشوك واللجنة الدولية للصليب الأحمر، ٢٠١٧.

١,٦. خلاصة

كما قال رينوس بابادوبولوس وناتالي لوسي خلال برنامج ماجستير في التنشيط النفسي الاجتماعي في المجتمعات التي مزّقتها الحروب والذي تمّ تنظيمه في لبنان عام ٢٠٠٧، "الضحية الرئيسية للصدمة هي التعقيد". من شأن المنظور النسقيّ أن يشرح تعقيد وحساسية التوصّل إلى حوار وتسوية للنزاع وبناء سلام والمحافظة عليها، وكيف أنه لا يمكن التخطيط لهذه الأهداف بشكل سابق لأوانه، وكما ولا يمكن تطبيقها دون الأخذ بالاعتبار التعقيد النسقي للأوضاع. بهدف تحضير الأرضية للحوار، يجب أن تكون وظيفة التدخلات النفسية الاجتماعية في المنطقة مرافقَة الأفراد، ضمن مجموعات وضمن مجتمعات، خلال العمليات الرمزية للحزن والتذكّر وتقبّل التناقضات، عوضاً عن فرض حلول لشفاء جراحهم. يمكن لنموذج الدائرة المعقّدة (CCM)[٧٥] أن يكون فعّالاً جداً في تحقيق هذه الأهداف، إذ أنه يمنح الأفراد ضمن المجموعات الفرصة لاحترام الاختلافات القائمة، ويعزز التنسيق والتعاون ضمن المشاركين في المجموعة، عوضاً عن التمثّل بحلول قائمة. يتحوّل أفراد المجموعة إلى ممثّلين ومشاهدين لقصصهم الخاصة وأوجه تنوّعهم، ويخلقون المعنى الخاص بهم، ويبنون جسوراً مع الآخرين بعيداً عن استقطاب التدخلات الإنسانية-العلاجية وعن الفخ الإنساني لمثلّث الضحية والمنقذ والجاني.[٧٦]

إلى جانب الأفرقاء الذين أخذوا موقف الـ"مع" أو الـ"ضد" أو "الصمت" في الجمهورية العربية السورية في الوقت الحاضر، ظهرت مجموعة جديدة، كما عند كل حالات الطوارئ في النزاعات المسلحة – الـ "العاملون في المجال الإنساني". إن أعضاء هذا الفريق، وعلى الرغم من أنهم يعانون تماماً كما يعاني المجتمع الذي ينتمون إليه، حظيوا، من خلال دعم برنامج الماجستير والمتدخّلين فيه – وهم أيضاً عاملون في المجال الإنساني من حول العالم، ومن ضمنهم مؤلفة هذا الفصل التي تعرب عن امتنانها لكونها جزءاً من هذا البرنامج[٧٧]- بفرصةٍ للخروج من "حصار" الحرب، والتأمل فيه، وبناء شبكة متنوعة من حيث الجغرافيا والاختصاصات، والعودة إلى "الوطن"، " مزوَّدين" بمفاهيم وأدواتٍ ونُهُجٍ لإعادة بناء جسور بين الماضي والحاضر والمستقبل، من تحت الأنقاض. هذا الفصل كان محاولةً لتقديم استعراض عام للعملية، مع إضافة محاور أخرى للتأمل والاعتبار، بناءً على تجربة شخصية في آثار الحرب الأهلية وفي العمل في المجال الإنساني. حين تسقط الأقنعة، تبرز فرصة للتغيير، للتبصّر، للتطوّر والنمو، وللتغلب على الاستقطاب التاريخي أيضاً. يمكن لـ "المتاريس التي يجب أن تصبح بلداناً"[٧٨] ننتمي إليها وندافع عنها في أزمنة الحرب أن تصبح محطات تاريخية من الدروس المستخلصة وأن تمنع بالتالي الآثار النووية من الانتقال من جيل إلى جيل. من منظور نسقي، كل الأشياء تحدث في تقاطع أنظمة متنوّعة هي في تفاعل دائم في ما بينها ومع بعضها البعض في سياق معيّن.[٧٩] في هذه التقاطعات، تقع الحروبُ، إنما أيضاً رحلةُ التغيير وتسوية النزاعات والسلام، وهي رحلةٌ طويلة سعى طلاب برنامج الماجستير بشكل واضح إلى تمكينها.

٧٥ سكينينا، ٢٠٠٤.
٧٦ بابادوبولوس، ٢٠١٤.
٧٧ المؤلفة هي إحدى خريجي برنامج الماجستير التنفيذي للمنظمة الدولية للهجرة في لبنان عام ٢٠٠٧.
٧٨ محمود درويش، "سقط القناع"، ١٩٨٢.
٧٩ القيّم، ٢٠١٤.

١,٧. لائحة بالمراجع

Arai, T.

2014 On the Intersection of Deep Culture and Deep Structure: Toward an Integrated Approach to Conflict Transformation. Study Guide. Lebanese University, Beirut.

Artichoke Studio and International Committee of the Red Cross

2017 Invitation to the public exhibition.

ABAAD

2016 Capacity Needs and Resources of Mental Health Practitioners in Syria: Rapid Participatory Assessment, April 2016 (n.p.). Available from www.abaadmena.org/documents/ebook.1478606836.pdf

Elkaïm, M.

2014 Si tu m'aimes, ne m'aimes pas: Approche systémique et psychotérapie. Points Essais, Paris.

Karpman, S.

1968 Fairy tales and script drama analysis. Transactional Analysis Bulletin, 7(26):39–43.

LeBaron, M.

2002 Bridging Troubled Waters: Conflict Resolution from the Heart. Jossey-Bass, San Francisco.

Papadopoulos, R.K.

1987 Adolescents and Homecoming. Guild of Pastoral Psychology, Kings Lynn.

2002 Refugees, home and trauma. In: Therapeutic Care for Refugees: No Place Like Home (R. Papadopoulos, ed.). Karnac, London and New York.

2011 A psychosocial framework for work with refugees. Available from http://southeastsafenet.eu/sites/default/files/3.pdf

2014 Psychosocial paradigms and consequences a systemic perspective on working with those affected by conflict. Presentation prepared for the Executive Professional Masters on Psychosocial Support and Dialogue in Syria and Lebanon. On file with the author.

Schininà, G.

2004 Far away, so close: Psychosocial and theatre activities with Serbian refugees. The Drama Review, 48(3):17–31.

2014 Module 5 prepared for the Executive Professional Masters on Psychosocial Support and Dialogue in Syria and Lebanon. On file with the author.

Sluzki, C.
2016 The Presence of the Absent: Therapy with Families and Their Ghosts. Routledge, New York and London.

١,٧,١. لائحة بالأطروحات

Abou Assali, T.
2015 Trauma, Resilience and Adversity-Activated Development. Executive Master thesis, Lebanese University, Beirut.

Al Abdullah, F.
2015 Reconstructing the Relations between Syrian Families who are Affected by the Crisis through Psychosocial Support Approaches. Executive Master thesis, Lebanese University, Beirut.

Al Nafra, W.
2015 Analysis of Conflict between Shelter Managers and Refugees. Executive Master thesis, Lebanese University, Beirut.

Farousi, R.
2015 Practical Implementation of Psychosocial Support and Dialogue to Support Affected Displaced Mothers. Executive Master thesis, Lebanese University, Beirut.

Haj Hasan, N.
2014 The Transformation and the Development of the Roles Played by the Syrian Women in the Shadow of the Current War. Executive Master thesis, Lebanese University, Beirut.

Hussein, L.
2014 Effectiveness of Multi-Layered Psychosocial Support in Enhancing the Quality of Life of Displaced Individuals in Syria. Executive Master thesis, Lebanese University, Beirut.

Ibrahim, I.F.
2014 The Efficiency of a Training Program based on the "Child-to-Child" Approach in Providing Some Psychosocial Concepts to Children. Executive Master thesis, Lebanese University, Beirut.

Jawhar, M.
2015 Distress and Violence among Refugee Women. Executive Master thesis, Lebanese University, Beirut.

Kchour, H.
2015 Overcoming Polarization between Refugees and Host Communities in Lebanon. Executive Master thesis, Lebanese University, Beirut.

Merae, R.K.
2015 Practical Study around Resilience of Displaced Women in Syria. Executive Master thesis, Lebanese University, Beirut.

Mohamed, A.
2015 Effectiveness of Workshop on Conflict Resolution and Peacebuilding among Refugee Children. Executive Master thesis, Lebanese University, Beirut.

Mousa, E.E.
2014 Identity Transformation of Syrians who are Living the Crisis and the Horizon of Possible Solutions. Executive Master thesis, Lebanese University, Beirut.

Obeid, N.A.
2015 Psychosocial Support to Children of War. Executive Master thesis, Lebanese University, Beirut.

Omran, L.
2014 A Study about the Change of the Social Relation and Identity in the Time of Conflict in Syria. Executive Master thesis, Lebanese University, Beirut.

Sahli, S.
2014 Psychosocial Support Aiming at Supporting Palestinian Families. Executive Master thesis, Lebanese University, Beirut.

Salmeh, S.
2014 The Impact of Adversity on Women Who Lost Their Husbands due to the Syrian War. Executive Master thesis, Lebanese University, Beirut.

الفصل الثاني:

الدعم النفسي الاجتماعي والحوار في لبنان والجمهورية العربية السورية:

دور التدخلات المبنية على الفن

أليساندرا روسي غيغليوني

ملخص

يتجذّر دور التدخلات المبنية على الفن ضمن برامج الدعم النفسي الاجتماعي في العلاقة العريقة بين الفن والصحة. خلال القرن الماضي، شددت إسهامات علم النفس والأنثروبولوجيا والتعليم على دور البعد الرمزي في تشكيل التجارب الإنسانية وعلى المساهمات التي من شأن الفن، وبالتحديد المسرح، أن يقدمها للصحة والرفاه الفرديين والجماعيين. في مجالي العلاج وتعزيز الصحة، تم وضع مجموعة من الممارسات المسرحية خلال العقود الماضية، من ضمنها تلك التي تندرج تحت تعريف المسرح الاجتماعي الذي يهدف إلى تحسين العلاقات مع التركيز على الاختلافات، والى تعزيز الصحة النفسية والرفاه الجسدي على المستويين الفردي والمجتمعي. يحلل هذا الفصل تلك الأعمال الميدانية التي قدمها طلاب برنامج شهادة الماجستير، الدعم النفسي الاجتماعي والحوار، التي استخدمت الفن كطريقة للتدخل إلى جانب مجموعات من الأطفال والنساء من بين اللاجئين السوريين والمجتمعات المضيفة في لبنان، وفقاً للنهج الاجتماعي المسرحي النظري والمنهجي العام. تضمّنت النشاطات استخدام تقنيات الفن الروائي والمرئي المستقاة من العلاج بالمسرح، ولعب الأدوار وحلّ المشاكل من مسرح المضطهدين، وألعاباً وتمارين علائقية من المسرح الاجتماعي.

الكلمات المحورية: فن، دعم نفسي اجتماعي، تعزيز الصحة، المسرح الاجتماعي، التواصل المبدع، التواصل الاجتماعي، تقييم الاحتياجات، إسقاط عاطفي، تقبّل التنوّع، حوار بين الثقافات، نهج قائم على المجتمع، الجمهورية العربية السورية، اللاجئين، الحرب، النزاع

٢,١. بين الفن والصحة: منشأ التدخل المبني على المسرح الاجتماعي في المجال النفسي الاجتماعي

تربط بين الفن والصحة علاقة عريقة ضاربة الجذور. في العصور القديمة، وحتى في يومنا هذا في بعض الثقافات المعاصرة، دلّ مصطلح salus في الوقت نفسه إلى الصحة والى الخلاص، وكانت الرعاية الصحية متداخلةً بطريقة تُعرف اليوم بالرعاية المتعددة التخصصات، تجمع بين الطب والروحانية أو الطقوس.[١] تحديداً في الثقافة الإغريقية القديمة، كان المسرح يُعتبر أداة رعاية صحية فعالة بسبب بُعده الطقسي والشعائري القوي، ومن ضمن المؤمنين به الطبيب أبقراط الذي كان يصف مشاهدة المسرحيات التراجيدية والكوميدية على جزيرة كوس لمرضاه. في الواقع، كان المسرح طقساً للرعاية الصحية للمجتمع، ومساحةً للتنفيس عن الأوجاع والنزاعات الجماعية التي يعاني منها المجتمع، وفي الوقت نفسه، الـ"أغورا" أو موضع اللقاء حيث كان بالإمكان الحوار حول مختلف الأفكار والقيم دون أي خطر. بدأ التخصص اللاحق للفنون الفردية ـ فن الطب وفن المسرح ـ خلال عصر النهضة وهو جزء من عملية ترسيم الحدود بين مختلف أنواع المعرفة، التي حققت إنجازات جوهرية في رفاه البشر، كما وفي التطور العلمي والثقافي للحضارات الإنسانية.

بيد أنه في يومنا هذا، تدفع الاحتياجات الناشئة لرعاية صحية جماعية ـ في الحياة الطبيعية كما في حالات الطوارئ ـ باستمرار باتجاه نهج تدخّل متعدد التخصصات، وأحياناً مشترك بين التخصصات[٢]، مع تقريب بين الرعاية الصحية والثقافة والفن.[٣]

في بداية القرن العشرين، كانت عدة تخصصات ـ من الطب إلى مجال علم النفس الناشئ حديثاً، ومن علم الاجتماع إلى الأنثروبولوجيا ـ قد بدأت بإظهار اهتمام متزايد بـ"العامل البشري" (الثقافي والاجتماعي) في الرعاية الصحية. من ناحية أخرى، عزز فنانون ورجال ونساء ثقافة مشاركةً أخلاقية وشمولية جديدة ومباشرة في رفاه الأفراد والمجموعات والمجتمعات.

بفضل دراسات وتأملات علم النفس والأنثروبولوجيا، أصبح دور البعد الرمزي في تشكيل التجارب الإنسانية أكثر وضوحاً: يختبر البشر الواقع بصورة مباشرة؛ يتواصلون مع أنفسهم ومع الآخرين؛ يعبرّون عن مشاعرهم ويفكرون ويتواصلون بواسطة رموز، وهذه الرموز هي بشكل أساسي ذات طبيعة ثقافية. إن نشأة العلاج بالفن و، بالإشارة إلى المسرح، صياغة السيكودراما التي أسسها مورينو[٤]، ومن ثم العلاج بالمسرح[٥]، تجد جذورها في البعد الرمزي الذي يقدّمه الفن خلال عملية معافاة البشر.[٦]

إن التحوّل في الانتباه ليس منفصلاً عن الفهم الجديد للبعد الثقافي والرمزي للإنسان في مجال النظرية

١ روسي غيغليوني، ٢٠١١.
٢ باغلياريني، ٢٠١٧: ١٠١-١١٥.
٣ كليفت وكاميك،٢٠١٥: ٣-٩.
٤ مورينو، ١٩٤٦ و١٩٨٠
٥ جينينغز، ١٩٩٢ و١٩٩٧.
٦ في ما يتعلّق بقوة الرموز والإيمان على الصحة، أنظر أيضاً دراسات حديثة حول تأثير البلاسيبو (بينيديتي، ٢٠١٢).

التعليمية، بدءاً بالنهج التربوي المبتكر الذي وضعته ماريا مونتيسوري والقائم على وجود الطفل في الصميم.[٧] بين الخمسينات والستينات من القرن الحالي، وعلى إثر نظريات فيجوتسكي[٨] ـ الذي كان أول من تعرّف على أهمية اللعب في التعلّم المعرفي ـ وبفضل دراسات بياجيه[٩] المتعلقة بدور اللعب في نمو الطفل، بدأ الدور النفس تربوي للعب في نمو الطفل وتأسيسه بالحصول على الاهتمام اللازم.[١٠] في الولايات المتحدة وإيطاليا وأوروبا، تنتشر الممارسات التربوية التي تضع اللعب ونموذجاً جسدياً من النمو المبني على الحركة والحرية، في صميم تعليم ورفاه الطفولة. تبرهن الأبحاث الفلسفية حول اللعب كَسِمة رئيسية في كل حضارة، بدءاً بـ"هويزينغا"،[١١] كيف أن روح اللعب هي أحد أكبر الأدلة على التطور المجتمعي لحضارةٍ ما، كما وأنها أساسية في النمو الأخلاقي والتطور الفكري للأفراد داخل مجتمع ما. يتمّ النظر إلى اللعب بكل تعقيداته: فهو يربط بين "فكرة الحدود والحرية والاختراع" في تركيبات دائمة التغيّر يحكمها اللّامُبرِّر والمتعة. بهذه الطريقة، يخدم اللعب كتدريب "على الحياة" من خلال تخطّي العوائق واستحضار "السيطرة على الذات"، و"الجرأة على المخاطرة" و"الحذر في الحسابات" – وهي كلها عوامل تربوية أساسية.[١٢] تملك لعبة "واحة الفرح" ولعبة "رمز العالم"[١٣] قيمة صحية من حيث قدرتهما على تنمية السلوك الذي هو خلّاق وقابل للتكييف في الوقت نفسه.[١٤] إن المسرح، ببعديه الرمزي والدرامي،[١٥] ميسرّ ممتاز للتعلّم في مرحلة الطفولة، إذ أن الأطفال في مساحة الـ"كأنّ" يجدون طريقة لتنمية التفكير المجرّد وفي الوقت عينه إعادة بلورة التجارب، حتى المؤلمة منها.[١٦] إن المسرح لعبٌ بسبب طبيعته الجماعية، ولهذا السبب، هو قادرٌ على تفعيل عناصر عاطفية ومعرفية في آنٍ واحد، إضافةً إلى عناصر اجتماعية، بطريقة قويّة،[١٧] مما يجعله وسيلة فعالة لتعزيز مهارات حياتية معيّنة[١٨] تشكّل أساساً لمسارٍ تعليمي صحيح لأفرادٍ ومجموعات من الأقران من البالغين والأطفال. تتنوّع هذه المهارات من التعاطفية إلى العلائقية، ومن حلّ المشاكل إلى التواصل.

تلقّى التقارب بين الصحة والثقافة، وبين فنّ الطب وفنّ المسرح، مساهمات جديدة من قِبَل أحدث

---

٧ ستاندنغ، ١٩٩٨.

٨ فيجوتسكي، ١٩٧٢.

٩ بياجيه، ١٩٧٢.

١٠ وينيكوت، ١٩٧٤؛ برونر، جولي وسيلفا، ١٩٨١.

١١ هويزينغا، ١٩٤٦.

١٢ كايوا، ١٩٨١ و٢٠٠١.

١٣ فينك، ١٩٦٩ و١٩٩١.

١٤ ("إن اللعب هو أهم آلية للتكيّف. إن المساحة الفارغة بين حياتنا ومحيطنا هي تلك التي تسمح بالإختراع والمغامرة والمجازفة. إنها مساحة الممكن: بما أنها فارغة، يمكن ملؤها بعدة أشياء متنوعة. إنها مساحة الخيارات؛ ما من شيء يحتاج للتكييف حتى الكمال (وإلا أصبح ممتلئاً)، لذلك، نحن نقرر كيف نملؤه. وهذه هي المساحة التي نجد أنفسنا داخلها: اختلافنا وإبداعنا والرحلة الوجودية التي جعلت منا أشخاصاً مختلفين عن كل الباقين.") (بينسيفنغا، ١٩٩٥:٧٠،١). ترجمته من الإيطالية إلى الإنكليزية مؤلفة هذا الفصل.

١٥ إينّوسينتي ماليني وجينتيلي، ٢٠١٦.

١٦ برناردي وكومينيتي، ١٩٩٨؛ كولومبو وإينّوسينتي ماليني، ٢٠١٧.

١٧ غراي، ٢٠١٥.

١٨ منظمة الصحة العالمية، ١٩٩٣.

التحولات النموذجية التي حدثت في مجالات الصحة، مع التشكيك التقدّمي في النموذج الطبي البيولوجي لصالح النموذج البيولوجي النفسي الاجتماعي، الذي يضع الإنسان في إطار شبكة من العلاقات البيولوجية والنفسية والاجتماعية التي تؤثر على الصحة بشكل منفصل وأيضاً من خلال تفاعلات متبادلة معقدة. كانت منظمة الصحة العالمية قد أكّدت سابقاً، عام ١٩٤٦، في مقدّمتها لدستور منظمة الصحة العالمية أنّ "الصحة هي حالة من اكتمال السلامة بدنياً وعقلياً واجتماعياً، لا مجرد انعدام المرض أو العجز". مع إصدار شرعة أوتاوا[١٩] عام ١٩٨٦، تمّ التصديق بوضوح أكبر على فكرة أن الصحة هي حالة ديناميكية تحددها مجموعة من العوامل. إضافةً إلى العوامل التي لا يمكن تغييرها – البيولوجية والوراثية – هناك العديد من العوامل الأخرى التي تؤثّر في الصحة[٢٠] والتي يمكن تغييرها والعمل عليها عن طريق الوقاية، بواسطة تعزيز الصحة، وعن طريق العلاج. في الحقيقة، يمكن للمسرح أن يعمل على مستويين: (أ) على المستوى الفردي، من خلال تعزيز المعرفة والقدرة على الرعاية الصحية؛ و(ب) على المستوى الاجتماعي البيئي، من خلال تأييد خلق فرص للرعاية الصحية مبنية على نهج المنطلق من القاعدة، يولّدها المجتمع نفسه، وتكون مدمجة في التقاليد المحلية.[٢١] إن العلاقات التي تربط الثقافةَ كما المسرح بالصحة واضحة أيضاً من خلال التفاعلات بين الموارد الصحية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

يملك رأس المال الاجتماعي[٢٢] - أي كل الموارد الاجتماعية المتوفرة لشخص أو لمجتمعٍ ما – تلازماً إيجابياً مع كلٍّ من رفاه الشخص أو المجتمع ومتوسّط عمر الفرد.[٢٣] هناك أيضاً أدلة على التلازم بين رأس المال الثقافي،[٢٤] وبالتحديد المشاركة في نشاطات ثقافية، وبين الرفاه الشخصي ومتوسّط العمر. إن الرفاه الشخصي بحدّ ذاته وسيطٌ لحالة صحية جيدة.[٢٥] بالتحديد، حين يساهم المشاركون بالدراسة في النشاطات الثقافية بشكل فعّال، أي حين يكونون من المنظّمين أو من المحفّزين، عوضاً عن أن يكتفوا بالمشاهدة، تكون النواتج الصحية أفضل نسبياً.[٢٦]

تسمح آخر الاكتشافات في مجال علم الأعصاب، وبالإشارة تحديداً إلى دور خلايا الأعصاب المرآة[٢٧] في تعلّم وخلق التوافق، بفهم ما يحدث لشخصٍ ما حين يشارك في تجارب ثقافية، عروضاتٍ ونشاطات إبداعية، أو في نشاطات جسدية موجّهة نحو إدراك الذات مثل الوعي التام.[٢٨]

اليوم، أصبحت العلاقة في ما بين الفنون الإبداعية والصحة والرفاه[٢٩]، وخصوصاً بشكل العلاجات عن

١٩ منظمة الصحة العالمية، ١٩٨٦.
٢٠ أنطونوفسكي، ١٩٩٦.
٢١ الاتحاد الدولي لتعزيز الصحة والتعليم والكونسورتيوم الكندي للأبحاث حول تعزيز الصحة، ٢٠٠٧.
٢٢ بوتنام، ٢٠٠٤.
٢٣ هيبا وماكي، ٢٠٠٣.
٢٤ ثروسبي، ١٩٩٩.
٢٥ بيغرن، كونلان وجوهانسون، ١٩٩٦.
٢٦ جوهانسون، كونلان وبيغرن،٢٠٠١.
٢٧ غاليسي، ٢٠١٠ و٢٠١٣.
٢٨ سيغل، ٢٠٠٧.
٢٩ كليفت وكاميك، ٢٠١٥.

طريق الفن، مُعترَفاً بها في مجال الصحة العامة. بيد أن نماذج أخرى غير مرتبطة بالعلاج، وتركّز على التنشئة الاجتماعية وعلى بناء العلاقات، ومن ضمنها المسرح والغناء، تثبت بشكل متزايد بأنها فعالة في تعزيز الرفاه في حالات الأزمات – سواء كانت هذه الأزمات علاجيةً أو إنسانية – وفي تعزيز الصحة. "إنّ الإمكانية العلاجية للمشاركة في نشاطات فنية وإبداعية مرتبطة بالمفهوم الشامل للمشاركة الفعالة."[٣٠] قيمةٌ إضافية للنشاطات الإبداعية والثقافية في مجال الصحة العامة تتمثّل في تعزيز تكافؤ حصول ومشاركة[٣١] كل المواطنين، وبالتحديد أولئك الذين يعيشون في ظروف هامشية أو في فقرٍ أو الذين يملكون مستوى منخفض من الإلمام بالقراءة والكتابة. في الواقع، غالباً ما تستخدم النشاطات الإبداعية لغةً غير لفظية و، في الكثير من الحالات، تستفيد من الإرث الثقافي وسبل تواصل محددة – من الغناء إلى رواية القصص ومن الرقص إلى الموسيقى – مما يؤدي إلى تشجيع المشاركة من خلال جعل هوية المشاركين ومواردهم الثقافية محور النشاطات، عوضاً عن مؤهلاتهم العلميّة. في سياق التفاوت المتنامي[٣٢] في العالم وعلاقته بالصحة،[٣٣] تجذب أهمية العوامل الثقافية والفنية في تعزيز الصحة ومواجهة التفاوت اهتماما متزايداً، وهي موضوع عدة دراسات. إن أوجه التضافر بين الصحة والتعليم والتخصصات الفنية ليست أحادية الاتجاه.

كان للحربين العالميتين في النصف الأول من القرن العشرين، وبالتالي للاحتجاجات السياسية-الثقافية في ستينات وسبعينات القرن العشرين في الولايات المتحدة وأوروبا، أثرٌ على الفنانين وعلى إحساسهم بممارسة الفن. في بداية القرن العشرين، تخلّى عددٌ من البيداغوجيين المتخصّصين في مجال المسرح[٣٤] عن النموذج التجاري للمسرح وقاموا بأبحاث أندراغوجية[٣٥]، فقدّموا لعملية المسرح الإبداعي ممثّلين كانوا مصادر للأبحاث حول ما هو إنساني والصفات الأخلاقية للممثّل. إن الحاجة إلى أشخاص يرقون إلى مستوى الاحتياجات التي تفرضها عليهم أزمنتهم – في أزمنة الأزمات وأزمنة الحرب – واضحة بصورة خاصة في أعمال جاك كوبو،[٣٦] الذي كان أول من اختبر نموذجاً أولياً عن المسرح المجتمعي والمسرح المتعدد الثقافات مع فرقة كابياوس، عبر إحضار مجموعة من الممثلين الشبان للعمل في المناطق الريفية وبناء مسرح كان مرتبطاً بالمجتمع المحلي القائم.[٣٧]

٣٠ آلن وآلن، ٢٠١٥؛ روسي غيغليوني، ٢٠١٤.

٣١ المعهد الوطني للإحصاءات، ٢٠١٤؛ ديكمان، هيملستاين وولهاندلر، ٢٠١٧.

٣٢ ألفاريدو وغيره، ٢٠١٨.

٣٣ كوستا وغيره، ٢٠٠٣.

٣٤ كروشياني، ١٩٨٥.

٣٥ يشير مفهوم الأندراغوجيا إلى تعليم البالغين. تم استخدام كلمة أندراغوجيا (من الأصل اليوناني: تعليم البالغين، وهو عكس بيداغوجيا التي تعني تعليم الصغار) للمرة الأولى من قبل المربيّ الألماني ألكسندر نابّ عام ١٨٨٣؛ من ثمّ قام مالكولم نوولز بتطوير مفهوم الأندراغوجيا كنظرية حول تعليم البالغين. أنظر دراسات مالكولم نوولز (نوولز، ١٩٨٠).

٣٦ أليفيرتي، ١٩٨٨؛ كروشياني، ١٩٧١.

٣٧ "(ما من شيء صحي أكثر من هذا العمل المشترك، هذا المجهود الجماعي والمجهول يأخذنا من جديد إلى فكرة الأخوّة، إلى روح التضامن التي خرجت منها أهم روائع الماضي الفنية"). ترجمته من الإيطالية إلى الإنكليزية مؤلفة هذا الفصل.

في خمسينات القرن العشرين، وبأثرٍ أعظم في ستينات وسبعينات القرن نفسه، نشأت حركة مسرحية في الولايات المتحدة، ومن ثم في أوروبا، مؤلّفة من فنّانين ومفكّرين وبيداغوجيين اختاروا ترك المسارح – الخشبات الفعلية ونماذج الإنتاج التجارية – وانخرطوا مع المجتمعات المحلية في عمليات تبادل وتغيير اجتماعية وسياسية. خلال هذه العملية، بدأ الفنانون المسرحيون بالتفاعل مع مجتمعات محلية جديدة. في إيطاليا، على سبيل المثال، تمثّلت المشاركة الجديدة للمسرح عبر مجتمعات الطب النفسي، في لحظة كانت إصلاحات النظام في سياسات الصحة النفسية تأتي فيها بإلغاء عملية علاج المرضى النفسيين في مصحّات، والتي تجسّدت في إيطاليا في عملية إصلاح باساغليا.[٣٨] مجتمعات محلية أخرى حذت الحذو ذاته، من ضمنها المساجين، والأشخاص ذوو الإعاقة، والأشخاص المعرضين للتمييز على أساس العرق أو الميول الجنسية، وأطفال الشوارع والنساء المعنّفات.[٣٩] إضافةً إلى النماذج العلاجية التي تتبع مقاربة سيكودراماتيكية أو مقاربة العلاج بالدراما، جذبت أشكالٌ أخرى من الأعمال المسرحية المجتمعات المحلية، مثل التنشيط المسرحي في فرنسا وإيطاليا، والمسرح القائم على المجتمعات المحلية في البلدان الأنجلوسكسونية، ذات أهداف اجتماعية أكثر من كونها علاجية. في أوساط الطب النفسي، وكما يروي سخينيا: "إنّ التنشيط المسرحي/ المسرح القائم على المجتمعات المحلية، وبفضل قدرته على إنشاء علاقات، وعلى ضمّ مجموعات مهمّشة، وعلى العمل على التمثيل الذاتي الإبداعي لمجموعة ما بهدف التواصل الاجتماعي، كان يُعتبر وسيلة ناجعة لتمكين المرضى النفسيين ولمساعدتهم على محو وصمة العار التي كانت تطبعهم".[٤٠]

ضمن هدف التغيير الاجتماعي السياسي نفسه هذا، تمّ تأسيس أحد أنجح أساليب المسرح القائم على المشاركة – وهو يُستخدم حالياً في التثقيف الصحي،[٤١] والصحة النفسية، والدعم النفسي الاجتماعي وبناء السلام – في أميركا اللاتينية على يد أوغوستو بوال: مسرح المضطهدين.[٤٢] مسرح المضطهدين هذا الذي تم تصميمه كأداة لإجراءات اجتماعية ثقافية تُتّخذ رداً على مواقف معيّنة من الاضطهاد السياسي – كتلك الواضحة في البرازيل وأميركا الجنوبية – خلال سبعينات وثمانينات القرن العشرين- وضعه بوال بنفسه كمجموعة من الإجراءات الإبداعية تسمح للمجموعات وللمجتمعات المحلية بطرح تساؤلات حول الوهم الاجتماعي وديناميات القوة في مجتمعهم، مما يعزز عمليات التغيير من خلال تقديم وتمثيل مواقف حقيقية للنزاع والاضطهاد تولّدها الاختلافات في القوة في الأدوار الاجتماعية، بهدف التوصل إلى تسوية داخل المساحة الآمنة للعمل المسرحي.[٤٣] خلال تلك السنوات، تواصل المسرح مع ثقافات أخرى. في أوروبا والولايات المتحدة، دخل الفنانون إلى مناطق لاحضرية، والى مناطق ريفية وجبلية، باحثين عن حوار جديد مع المجتمعات المحلية الزراعية، مع طقوسهم وتقاليدهم، مانحين الحياة لتجارب مبتكرة في الدراماتورجية الاحتفالية وفي إعادة إحياء الطقوس التقليدية. في تقاليد المسرح الأفريقي والآسيوي،

٣٨ باساغليا، ٢٠٠٠.

٣٩ برناردي وكومينيتي، ١٩٩٨؛ سكينينا، ٢٠٠٤أ.

٤٠ سكينينا، ٢٠٠٤أ:٢١.

٤١ ماتريكوتي، ٢٠١٠.

٤٢ بوال، ١٩٩٦، ٢٠٠٢ و٢٠١١.

٤٣ في مسرح المنبر، يشارك الجمهور بشكل مباشر في المشهد لاقتراح فرضيات حلول للنزاع المطروح، مما يعزز القدرة على الخروج بحلول إبداعية وعلى تحمّل مسؤوليات شخصية في العمل الاجتماعي.

بدأ فنانون تجريبيون أوروبيون بالبحث عن نوع من "البُعد ما قبل الثقافي والمتعدد الثقافات"[٤٤]: تمّت دراسة لغات وأنواع تعبيرية تقليدية وتقنيات تدريب، وحدثت عمليات تبادل بواسطة رواية القصص[٤٥]، وتم استكشاف أساطير وطقوس مسرح بلدان أخرى.

كان البحث عن مكان رمزي حيث يمكن للحضارات أن تلتقي، ووعي عدم إمكانية فصم الجسد عن العقل، من أهمّ جوانب الإنتاجات المسرحية في تلك السنوات. تمّت دراسة فكرة بيتر بروك حول المسرح كثقافة ثالثة[٤٦]، هي ثقافة العلاقات، بشكل أكثر تعمّقاً وبطريقة مختلفة من قِبَل كلٍّ من جيرزي غروتوفسكي[٤٧] وأوجينيو باربا تباعاً. بالتحديد، قاما بتطوير فكرة المسرح ليس كإنتاج فنّي يضمّ ممثلين محترفين، إنما كتلاقٍ فنّي بين مجتمع الممثلين ومجتمعات أخرى من خلال ما يُعرف بنظام المقايضة بين المجتمعات[٤٨]. تشدد هذه التجارب كثيراً على عملية بناء الإنتاج عبر تدريب الممثلين وتنظيم حلقات عمل لهم. هذا التدريب النفسي الجسدي الذي يخضع له الممثلون والتدريب العلائقي داخل مجموعة من الممثلين يشكّل ثروة هامة لتدخلات المسرح مع الأشخاص المستضعفين أو أولئك الذين يواجهون صعوبات: في الواقع، تم تطوير مجموعة من التقنيات التي تضم الأبعاد الجسدية والعاطفية والمعرفية في هذه التدريبات وهي الآن مستخدمة بشكل واسع النطاق في التدخلات النفسية الاجتماعية من خلال المسرح والدراما.

نشأ عن هذه التجارب الرائدة والمتعددة الأشكال شكلٌ جديد من المسرح الاجتماعي، يقوم على التمثيل في السياق الاجتماعي الأوسع، مع مشاركين ليسوا ممثلين أو فنانين محترفين. لا يملك هذا النوع من المسرح هدفاً علاجياً، لكنّه يعمل على تعزيز الصحة داخل المجتمعات المحلية وعلى تقديم دعم نفسي اجتماعي من خلال مبادئ وممارسات عمل فعّالة في إطار متعدد الثقافات. إن نموذج المسرح الاجتماعي الذي يشكّل نموذجاً لاحقاً يُعزى إلى المقترح التعليمي للماجستير التنفيذي المهني في الدعم النفسي الاجتماعي والحوار، يستمدّ جذوره من هذه الحركات المسرحية العائدة إلى القرن العشرين، حيث اختلطت التجربة الثقافية والفنية مع توترات التغيير الاجتماعي.

٤٤ باربا وسافاريسي، ١٩٨٦؛ روفيني، ١٩٨٦.

٤٥ هايلبورن، ١٩٧٧؛ بروك، ١٩٨٨.

٤٦ بروك، ١٩٨٨:١٨٩.

٤٧ (يثير الممثل اهتمامي لأنه كائن بشري. ينطوي هذا الأمر قبل كل شيء على أمرين: الأول، هو لقائي مع شخص آخر، التواصل، الشعور بتفاهم متبادل والإضطراب الذي يسببه الانفتاح على شخص آخر، من خلال محاولتنا الفهم. بالمختصر، التغلّب على عزلتنا. الثاني، هو المجهود الذي نبذله لفهم أنفسنا من خلال سلوك شخص آخر، وإعادة اكتشاف نفسنا فيه."). ترجمته من الإيطالية إلى الإنكليزية مؤلفة هذا الفصل. غروتوفسكي، ٢٠٠٦:١٥٠.

٤٨ باربا، ١٩٩٣. يقول أوجينيو باربا: "إن المسرح [...] هو فنٌّ وحرفةُ تحويل ما ننظر إليه إلى شيء يعنينا. مادّته الأولية هي العلاقة [...]إن صورة المسرح التي توجّهني ليست تلك القائلة بأنه عمل يجمع العالم، بل بأنه دائرة تتم فيها اللقاءات وعمليات المقايضة. يلتقي العديد من الأشخاص حوله في عملية تربطهم وتسمح لهم بالنقاش، باكتشاف منطقة أو وقت يتم فيه تبادل أشياء ما." (باربا، ٢٠٠١، إقتبسها سكينينا، ٢٠٠٤ب:٣٢)

٢,٢. المسرح الاجتماعي: بين الفن والصحة والتنوع

٢,٢,١. المنشأ والخلفية النظرية

> أنّ الحدود الجديدة للمسرح هي دراماتورجية الثقافة المجتمعية والعلاقات الإنسانية خاصةً حيث توجد مصاعب وحالات مأساوية. هذا هو المسرح الاجتماعي: بناء أشخاص ومجتمعات محلية من خلال نشاطات مسرحية."[49]

هناك عدة طرق لممارسة المسرح في المجال الاجتماعي. إن المسرح الاجتماعي هو نوع محدد ويتمّ التعريف عنه على أنه مسرح يرتكز على مشاركة المواطنين الفعالة في كل مراحل العملية المسرحية الإبداعية. يمكن التعريف عنه على النحو الآتي:

> "نهج مسرحي ذات منهجيات محددة يقوم خلاله مهنيّون وخبراء في المسرح وأشخاص متخصصون في تعزيز رفاه الآخرين، بالعمل مع مجموعات ومجتمعات من المواطنين – في أغلب الأحيان من الفئات المحرومة – ومعاً يقومون بتحقيق مسارات أعمال مسرحية واستعراضات ومشاريع ذات قيمة من الناحية الثقافية والمدنية والفنية ومن ناحية الرفاه النفسي الإجتماعي."[50]

إنّ المسرح الاجتماعي[٥١]، الذي تأسس في أواخر تسعينات القرن العشرين، يستمدّ جذوره من حركاتٍ ومقاربات مسرحيةٍ سابقة – من التنشيط المسرحي إلى الدراماتورجية الاحتفالية، من المسرح المجتمعي إلى المسرح الجماعي، ومن المسرح السياسي إلى السيكودراما والعلاج بالمسرح.[٥٢]

هو يتواجد على مفترق طرق المسرح المحترف، الذي يهدف إلى تقديم إنتاج جماليّ، والمسرح التطبيقي،[٥٣] الذي يسعى إلى التغيير الاجتماعي والشخصي، والعلاج بالمسرح الذي يضع العلاج هدفاً له. كما يقول سكينينا: "إن الفارق الرئيسي بين المسرح الاجتماعي ومعظم التقنيات المسرحية العلاجية هو أن المسرح الاجتماعي لا يسعى وراء التنفيس بل إلى التماس (التعددية). إنّ هدفه النهائي هو تمكين الاختلافات وتحقيق التضامن، وليس تطهيرها أو تطبيعها".[٥٤]

يسعى المسرح الاجتماعي إلى رفاه الأفراد والمجموعات ضمن إطار غير علاجي يعزز على الرغم من ذلك الصحة والرفاه.[٥٥] هو يتعاون مع الأفراد والمجتمعات المحلية، طالباً منهم احترام خبراتهم وماضيهم، مستشعراً نقاط ضعفهم واحتياجاتهم، إنّما متنبّهاً إلى مواردهم القائمة وتنمية إمكانياتهم الكامنة. تجري

٤٩ (برناردي، ٢٠٠٤:١٣) ترجمته من الإيطالية إلى الإنكليزية مؤلفة هذا الفصل.
٥٠ روسي غيغليوني وبونتي دي بينو، ٢٠١٤:٢٤. ترجمته من الإيطالية إلى الإنكليزية مؤلفة هذا الفصل.
٥١ بيرناردي، ٢٠٠٤؛ بونتريمولي، ٢٠٠٥.
٥٢ زانلونغي، ٢٠٠٧.
٥٣ نيكولسن، ٢٠٠٥؛ تومسون، ٢٠٠٩.
٥٤ سكينينا، ٢٠٠٤أ:٢٤.
٥٥ روسي غيغليوني، ٢٠١١.

البحوث المتعلّقة بالصحة من خلال الحوار مع المشاركين، الأمر الذي يتطوّر لا كما تفعل العلاقة خلال العلاج، إنما أكثر كما تفعل عملية بناء القدرات. إنّ الناحية النظرية هي، بالمعنى العريض، أندراغوجية،[٥٦] أي أنها تهدف إلى تنمية الإنسان وبناء قدراته. على المستوى المنهجي، تهدف هذه التدخلات إلى تفعيل موارد الأفراد والعلاقات داخل المجموعة الواحدة، مشجّعة الإمكانيات الكامنة على الخروج، حتى المخبأة منها أو المترسّبة، والى خلق ظروف ملائمة للتعلّم وللتغيير،[٥٧] لأن المشاركين يقومون تدريجياً بتطوير قدرات على التكيّف وعلى حل المشاكل، بالإضافة إلى تطوير قدرات علائقية. تستمدّ وظيفة المسرح المتمثّلة بـ "تعزيز صحة الإنسان ورفاهه" جذورها من قدرتها على تمكين المشاركين من التغيير وعلى تعزيز قدرتهم على تولّي زمام حياتهم. من خلال إضفاء الطابع الاجتماعي على التنوّع، يعمل المسرح الاجتماعي على النظام العلائقي للمجموعة وللمجتمع المحلي، مما يعزز القدرة على تقبُّل الاختلافات الملازمة للمجموعة نفسها وللمجتمع نفسه وعلى الإقرار بها، وبالتالي[٥٨] يعزز الرفاه والصحة.

للمسرح الاجتماعي هدفين: الهدف الاجتماعي والهدف الثقافي. يسعى المسرح الاجتماعي كذلك وراء البُعد الجمالي والتغيير الاجتماعي ويدرك أهمّيتهما. يُطلَب من المشاركين أن يحرصوا على نوعية[٥٩] أشكال المسرح التي يستخدمونها للتعبير، مع مراعاة حدود إمكانيات المشاركين وهويّتهم الثقافية. حيث أن هذا البحث عن النوعية ينتج فهماً أكبر وأعمق للذات وللتجربة،[٦٠] لذلك يقوم أيضاً ببناء مستوىً أعمق من التواصل بين مختلف الهويات، وبالتالي يساهم في عملية الرفاه والتجدد عند الفرد والمجتمع المحلي.

إن التحديات التنفيذية التي تواجهها سياقات تدخّل محددة متعددة الثقافات – سياقات حالات الطوارئ التي تتضمن نازحين ولاجئين أو تلك التي تحدث في ضواحي المدن وتقع فيها نزاعات حادّة بين الثقافات وداخلها – دفعت بالمسرح الاجتماعي إلى الأخذ بالاعتبار ليس فقط النشاطات الجماعية إنما أيضاً إشراك المجتمع المحلي على نطاق أوسع. لذلك تمّ تصميم قوالب وأدوات تهدف إلى تنمية مجتمع من السكان متعدد الثقافات وجامع.[٦١]

٢,٢,٢. بنية التدخل المبني على المسرح الاجتماعي مع المجموعات والمجتمعات

من خلال البحوث النظرية والبحوث العملية ومساهمات العديد من المؤلفين،[٦٢] تم تحديد إجراءات

٥٦ على المسرح وفي تنمية الموارد البشرية من حيث التعليم عند البالغين (أندراغوجيا)، يأتي قدر كبير من التأملات من المخرج المسرحي بيتر بروك وأبحاثه حول تعاليم غوردجف (بروك، ١٩٩٤ و٢٠٠١).

٥٧ بروشاسكا، نوركروس وديكليمينتي، ١٩٩٤.

٥٨ "يملك المسرح القدرة على استخراج تلك العناصر التي توحّد البشر. كما وأن لديه الإمكانية لإبراز الإختلافات بين البشر وللقيام بمدّ جسورٍ بينها" (سكينينا، ٢٠٠٢:٥٣).

٥٩ حول مفهوم النوعية المسرحية، أنظر بروك، ١٩٨٨.

٦٠ روسي غيغليوني، ٢٠١٥.

٦١ روسي غيغليوني، ٢٠١٣، ٢٠١٤أ و٢٠١٤ب.

٦٢ عدد لا يُستهان به من المساهمات مصدره الفرق العاملة في الجامعة الكاثوليكية في ميلانو وجامعة تورين.

ومبادئ توجيهية تنفيذية[٦٣] لعملية المسرح الاجتماعي، في بادئ الأمر مع التركيز بشكل خاص على نموذج حلقات عمل مسرحي موجّهة إلى الأعضاء المحرومين والضعفاء، ومن ثم على نماذج تدخل موجّهة نحو المجتمع المحلي ككلّ.

بحسب نموذج المسرح الاجتماعي، يتبع التدخل المبني على المسرح مع مجموعة بعض المراحل.[٦٤] المرحلة الأولى هي بناء المجموعة وهي تتضمن الأمور التالية: (أ) مرحلة التقييم لتحديد احتياجات المجموعة ومواردها الإبداعية، مباشرةً وأيضاً من خلال إجراء مقابلات مع الأطراف المعنية؛ (ب) نهج الاتصال والمشاركة، الأهداف والبرنامج مع الميسّر؛ (ت) العقد مع المجموعة والذي يهدف إلى اطلاعها المشاركين على القواعد والتوقعات والأهداف؛ (ث) إنشاء المجموعة والذي يتبع عدة خطوات: (i) يتعرّف المشاركون على بعضهم؛ (ii) ينمّي المشاركون والميسّرون الصلات والثقة؛ و(iii) يكتسب المشاركون لغةً إبداعيةً مشتركة إنما تسمح لكل واحد منهم أن يحافظ على أسلوبه الخاص في التعبير وعلى هويّته الخاصة. إن إنشاء المجموعة هو التركيز الأولي ولا ينتهي عند المرحلة الأولى من النشاط بل يمتدّ على امتداد عملية التدخّل. تتطلّب المرحلة الثانية تعبيراً وتواصلاً داخلياً ضمن المجموعة، الأمر الذي يتمّ تحقيقه عادةً من خلال استكشاف موضوع مشترك بين المشاركين من حيث التجارب التي مروا بها، بطريقة مبدعة. تتطلّب المرحلة الثالثة تواصلاً خارج المجموعة وتتضمّن الأمور التالية: (أ) بناء العرض (أو غيره من أشكال التعويض للمجتمع)؛ (ب) حشد الجمهور وإشراكه؛ و(ت) تقديم العرض. المرحلة الأخيرة هي التقييم، وهي مؤلفة من العناصر التالية: (أ) ملاحظات المجموعة مع تقييمات محددة محتملة؛ (ب) تعليقات المشاهدين؛ و(ت) إعادة تصميم متابعة محتملة للنشاط مع المجموعة والأطراف المعنية.

تتّبع الجلسات الفردية لحلقات العمل المسرحي تنظيماً شبيهاً بذلك الذي تشجّعه بعض مدارس العلاج بالدراما حين يكون هناك اتصال وعقد وتحمية ونشاط أساسي وتهدئة وملاحظات. يتمّ تنظيم النشاط بشكل مترابط بين مختلف المراحل – يبني كل مدخل مُقترَح في كل مرحلة على التجارب التعبيرية والتواصلية السابقة ليصل إلى التجارب التعبيرية والتواصلية اللاحقة. إضافةً إلى ذلك، ومن خلال حوار مستمر مع المجموعة، يمكن لمدرّب حلقة العمل أن يعدّل محتوى النشاطات المخطط لها وتوقيتها والنهج المتّبع خلالها إذا طلب المشاركون هذا الشيء عند لحظة معيّنة من العملية.[٦٥] إن تقنيات المسرح المستخدمة مشتقّة من عدة مجالات مسرحية ويمكن أن تتضمن المسرح الحركي والتمثيل الصامت، تدريب الممثلين، الرقص، الغناء، رواية القصص وصنع الأشياء. يمكن للعملية الإبداعية مع المجموعة أن تستفيد من مساهمة أفراد المجتمع من خلال مهارات إبداعية أو اجتماعية ثقافية معيّنة. يتمّ العرض النهائي في سياق مجتمعيّ مهمّ من حيث المكان والزمان، ويمكن أن يتضمّن تبادلاً ثقافياً وطقساً مجتمعياً. بعد العرض، تبدأ مرحلة التقييم والتصميم الجديد: تتمّ مناقشة متابعة النشاط ونوع النشاط مع المجموعة وممثلي المجتمع المحلي والزبون أو غيرهم من الأطراف المهتمة.

يتضمّن نموذجُ التدخّل الموجّه إلى المجتمع ككل العملَ مع عدد من المجموعات المنتمية إلى المجتمع المحلي وفقاً للمراحل المذكورة أعلاه. في بداية التدخل، يتطلّب هذا النموذج نشاط رسم خرائط وإقامة

٦٣ روسي غيغليوني وباغلياريني، ٢٠٠٧.

٦٤ المرجع نفسه.

٦٥ إينّوسينتي ماليني، ٢٠٠٧.

شبكات بهدف إشراك أكبر عدد ممكن من الجهات الاجتماعية الفاعلة. يجب إيلاء اهتمام خاص إلى التنوع الثقافي، والتعاون في ما بين المجموعات وتأدية الطقوس في المكان العام.[٦٦]

٢,٣. المفاهيم الأساسية للمسرح الاجتماعي والدعم النفسي الاجتماعي

لطالما واصل الباحثون في المسرح الاجتماعي خلال عمليات وضع النظريات وضبط الممارسات الجيدة والمبادئ التوجيهية، ومنذ البدء، حواراً متعدد التخصصات ومستمراً مع علماء الأنثروبولوجيا واختصاصيين نفسيين – من اختصاصيين في علم النفس المعرفي إلى اختصاصيين في علم النفس التنموي والمجتمعي – وعلماء اجتماع ومعالجين عن طريق الفن ومربّين رسميين وغير رسميين و، في الآونة الأخيرة، خبراء في العلوم الإنسانية الطبية وعلم الأعصاب – تحديداً علم الأسس العصبية المتصلة بتأمل عمل فني ما أو صنعه (neuro-aesthetics).

بعض المفاهيم الأساسية للمسرح الاجتماعي مهمة بصفة خاصة لفهم القيمة النظرية والتنفيذية لنموذج التدخل هذا في سياق الدعم النفسي الاجتماعي.

٢,٣,١. الجسد: بين الوعي والوحدة العضوية والرفاه

> من خلال القيام بحركات، تبدأ بفهم شيء لا يمكن تفسيره بطريقة منطقية. إنه نوع من الفهم الذي لا تجده في الكتب أو عبر المناقشة: فقط عبر الجسد. لعلّه فَهم ما أنت عليه كإنسان بسيط.[٦٧]

إن المسرح، كالرقص وغيره من الفنون الاستعراضية، يطرح الإنسان كعنصر حيّ وجوهري من عناصر العمل. يقوم الشخص في العمل – كلمة دراما في اللغة اليوناني تعني عملاً إنسانياً فعلياً – بالكشف عن نفسه بشكل مباشر أمام أشخاصٍ آخرين يقومون بالمقابل بردّ فعل مباشر. هذا هو صميم المسرح. بين ستينات وثمانينات القرن العشرين، حوّلت البحوث حول المسرح التركيز من جسد الممثل على خشبة المسرح إلى الجسد الجماعي لمجموعة من الممثلين – فرق المسرح – الذين يتدرّبون معاً على الاستعراض.[٦٨]

---

٦٦ كنموذج للتدخل المجتمعي المبني على المسرح، أنظر المنهجية التي طوّرها المركز الاجتماعي للمسرح المجتمعي في جامعة تورين والتي تمّ اتّباعها في كلٍّ من مشاريع تنمية الجماهير في أوروبا وبرنامج الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي في منطقة المتوسط وفي أفريقيا.

٦٧ يوشي أويدا ممثل عمل مع بيتر بروك لسنوات عديدة، ويجمع اختصاصه ببراعة في ما بين المعارف الغربية والمعارف الشرقية للمسرح حول البشر (أويدا ومارشال، ١٩٧٧:٤٦).

٦٨ "أول شيء يجب على الممثل تعلّمه هو جغرافية الجسد. [...] إن تعلّم جغرافية الجسد لا يقتصر على القيام بتمارين أو اكتساب أنماط حركة جديدة ومثيرة. يتطلّب هذا الأمر توعيةً نشيطةً. أنظر إلى طريقة وقوفك بالعادة. كل منطقة صغيرة جداً من التوتر أو عدم التوازن تؤثر ليس فقط على سهولة انتقالك وعلى مظهرك الخارجي، بل أيضاً على طريقة شعورك. كل تفصيل صغير في الجسد يقابله واقع داخلي مختلف" (المرجع نفسه، ١٤)

يتألّف هذا التدريب من مجموعةٍ من التقنيات التعبيرية والجسدية، قام بضبطها بشكل دقيق جيرزي غروتوفسكي وأوجينيو باربا. خلال عملية مسرح اجتماعي، يتمّ استخدام هذه التقنيات في المراحل الأولية من العمل مع المجموعة. هذه التمارين التي تشكّل عملية التدريب تمّ تصوُّرها في الأصل لتدعيم إبداع الممثل وتعزيز "نوعية حضور استثنائية"، ولتحريره من عاداته وروتينه الشخصي، وتعزيز استخدام تعابير تمثيلية متعددة الثقافات عبر البحث عن أساليب تعبير من ثقافات مختلفة واختبارها. كما وتحفّز هذه التمارين الإدراك الذاتي وإدراك الجسد، مما يدعو إلى توحيد البعدين الجسدي والذهني، وتنمّي إدراكاً لإمكانيات الجسد التواصلية. إنّ القدرة على تمثيل حركات عضوية معبرّة واعية ومتعمّدة تساهم في تعزيز الصحة بعدة طرق: على سبيل المثال، هي تساعد على تعلّم استثمار الطاقة الجسدية وفقاً للسياق وللمهمة المطلوبة، وبالتالي تمنع هدر الموارد غير الضروري. تساهم أيضاً في بناء صورة ذاتية إيجابية وتسهّل بناء العلاقات. في المسرح الاجتماعي، يكوّن التدريب التعبيري المراحل الأولى من حلقات العمل المسرحي، مما يسهّل الاتصال بين أفراد المجموعة والوعي الذاتي والرفاه العاطفي والعلائقي. تُظهر الدراسات حول النمو المعرفي لدى الأطفال[٦٩] أن إدارة حركة الجسم بشكل جيّد هي جزء لا يتجزّأ من التحكم الذاتي بالعواطف وتسمح بالعمل على العلاقة بين الكتل العاطفية والكتل الهيكلية العضلية[٧٠]. إن الأشخاص الذين يتعلّمون التحرّك "بشكلٍ جيد" من خلال المسرح والرقص، وفقاً لإمكانيات كلٍّ منهما، والذين يلامسون حدود قدراتهم ويتفوّقون عليها[٧١]، يُظهرون عادةً مزاجاً أفضل، ويملكون توجهاً أفضل في المكان والزمان ويتواصلون بشكل أفضل.[٧٢] عناصُر أخرى من العمل الجسدي الذي يتمّ بذله خلال حلقات العمل المسرحي هي تقدير البُعد المادي للصوت – من التنفس الواعي إلى إصدار الأصوات – وعناصر في التدريب تعزز علاقية عضوية بين التواصل الجسدي واللفظي.

يكشف الجسد في المسرح عن عدة أنواع من الذكاء، من ضمنها الذكاء العلائقي والذكاء العاطفي. يعيد العمل الجسدي في المسرح الاجتماعي وضع الإنسان في كلّيته العقلية والجسدية والقلبية. في الحقيقة، غالباً ما يسترعي إدراك الجسد إلماماً بالعواطف، الذي هو بدوره أساسٌ لتنمية التعاطف وركيزةٌ للمهارات الاجتماعية.

كما تبيّن من دراسات حديثة حول خلايا الأعصاب المرآة،[٧٣] إن التناغم والتعلّم العاطفي هما ناتجين ثانويين للتفاعل بين الأجسام البشرية؛ عند مشاهدة التعبير الجسدي عن العواطف في جسد شخص آخر، سيختبر المشاهد على المستوى العصبي الحركة التي يقوم بها الممثل، كما لو أنّه هو من قام بها. يحدث هذا الأمر بشكل أكبر خلال مرحلة التدريب في حلقة عمل مسرحي اجتماعي، حيث تتضمن هذه المرحلة عادةً القيام بتمثيل صامت وغيره من التفاعلات الجسدية غير المنفصلة عن التجارب العاطفية. إن التمارين التي تؤدّى بصورة جماعية – في دائرة أو أزواجاً - تنطوي على ثقة وتبادل عاطفي وعلاقة بين القرب والبُعد،

٦٩ برونر، جولي وسيلفا، ١٩٨١.

٧٠ أنظر البحوث حول العوارض الجسدية وتحديداً الدراسات التي أجراها موشيه فيلدينكرايس (فيلدينكرايس، ١٩٩١ و٢٠١١).

٧١ فرناندیز – أرغويلّيس وزملاؤه، ٢٠١٥؛ ميروم وزملاؤه، ٢٠١٦.

٧٢ مؤسسة الصحة النفسية، ٢٠١١؛ نيومان، كورتس وستيفينز، ٢٠٠٣.

٧٣ ريزولاتي وسينيغاغليا، ٢٠٠٦؛ غاليسي، ٢٠١٠ و٢٠١٣.

وتساهم في عملية بناء صلاتٍ بين المشاركين، التي هي مساهمة المسرح الاجتماعي في تعزيز صحة الأفراد والمجتمعات المحلية في كل مكان، وخاصةً في حالات الطوارئ والحرب.

٢,٣,٢. الكورس: تنوع وثقة في العلاقات بين المجموعات

"إنّ المسرح أساسي لأنه يعتمد فقط على ما يملكه كل إنسان أينما كان وفي أي لحظة وفي كل مجتمع وفي كل طبقة إجتماعية: وهذا الأمر هو ذاته والآخرين. [...] بالتالي، إن الحاجة إلى مجموعة لم تولد من العبث، بل من الضرورة. توصّلنا إلى خلاصةٍ مفادها أنه كلما بقيت المجموعة مع بعضها لوقتٍ أطول، كلما أصبح العمل أغنى. ومن هنا، توصّلنا إلى خلاصة أخرى بسيطة أيضاً: داخل مجموعة واحدة، كلما كان الأفراد مختلفون عن بعضهم البعض، كلما تضاعفت إمكانيات التبادل."[74]

إنّ المسرح جماعيٌّ بطبيعته وهو تعبير ثقافي لا يمكنه أن يوجد دون الحضور المشترك لشخصين على الأقل في نفس المكان ونفس الزمان. إنّ مفهوم الكورس هو في أساس المسرح، وهو يشير إلى الطبيعة الجماعية والاجتماعية الجوهرية للمسرح.[٧٥] تصوّر التراجيديا اليونانية الأصيلة حواراً دائماً بين شخصين – الكورس وبطل المسرحية، الذين لا يشكّل زوجاً، بل في الواقع كياناً فريداً وجماعياً وتعددياً. إن تعددية الأجساد على المسرح هي أيضاً تعددية وجهات النظر. يلاحظ مخرج الأفلام العظيم بيتر بروك كيف أن هذا التوجّه نحو التعددية يتجسّد في أعظم دراستين للتأليف والإخراج الدراميين المسرحيين في العالم الغربي - المسرح اليوناني القديم ومسرح شيكسبير: في هذه المسرحيات، تُقَدَّم التعددية، وأحياناً حتى وجهات النظر المتضاربة، للمشاهد دون أي حكم من قبل المؤلف. إن وظيفة المسرح هي بالتحديد تقديم رؤية وجهات نظر متعددة للمشاهد وتصوير نتائج الأعمال التي تكوّنها وجهات النظر هذه.

من منظور المسرح الاجتماعي، تشكّل قدرة المسرح على "بناء كورس"، على مدّ جسور بين الاختلافات الثقافية والاجتماعية والفردية[٧٦] - أكبر إمكانات المسرح للعمل الاجتماعي. بناءً على ذلك، كما يلاحظ سكينينا، يبرهن المسرح عن فعاليته العالية في حالات الطوارئ والنزاعات: "لا تكمن قيمة المسرح في قدرته على إبراز ما يوحّد البشر، بل في الإمكانية التي يملكها لإبراز اختلافاتهم ومدّ جسور بينها. أظنّ أنه يجب على المسرح أن يعمل على الحدود والجوانب- وليس في المركز- ما يُعرف بـ "الإنسانية".[٧٧]

إن المسرح الاجتماعي هو مسرح جماعي، بمعنى أن هدفه الأول هو تشكيل مجموعة يسمح مستوى الثقة داخلها بتقبّل التنوّعات والتعبير عنها بحرية. إن خلق مساحةٍ آمنة هي أول خطوة يجب على مدرّب المسرح الاجتماعي تحقيقها بهدف السماح لمختلف الأفراد ببناء مجموعة سليمة تسمح بحصول نموّ شخصي

٧٤ (بروك، ١٩٩٠:١٧٠). ترجمته من الإيطالية إلى الإنكليزية مؤلفة هذا الفصل.

٧٥ أبولونيو، ١٩٩٣؛ دالّا بالما، ٢٠٠١أ و٢٠٠١ب.

٧٦ بيرناردي، ١٩٩٦.

٧٧ سكينينا، ٢٠٠٤أ:١٧.

واجتماعي.[٧٨] إن تبادل القواعد والتوقعات والأهداف، إضافةً إلى مقاربة غير مُطلقة للأحكام، يعرّف عن مساحة المسرح الاجتماعي كمكان يكون فيه المشاركون حَمَلة حقوق وواجبات اجتماعية مشتركة. يتحقّق إنشاء المجموعة خلال حلقة العمل بديناميكية بين البحث عن هوية والبحث عن اختلاف، وهو يتميّز بتفاعل متواصل بين عناصر مختلفة وأحياناً متناقضة: القرب والبعد، التنوّع والتشابه، الأمان والخطر. الهدف هو دمج هذه العناصر المعقّدة. خلال هذه المرحلة، التي تتوافق مع المرحلة الأولية من حلقة العمل، يتمّ تقديم المحفّزات تدريجياً على مستويين: من ناحية أولى، يتمّ تعميم الاختلافات، ومن ناحية أخرى، يتمّ بناء مهارات حياتية علائقية،[٧٩] كالتعاطف والثقة، بين المشاركين. تستمر عملية إنشاء المجموعة طيلة فترة حلقة العمل وحتى موعد العرض: يُطلب من المشاركين بشكل مستمر التعبير علناً عن اختلافاتهم الشخصية، من ضمنها الاختلافات المادية والشخصية المبنية على الهوية، وأيضاً تلك الاختلافات المرتبطة بالأدوار الاجتماعية والهويات الثقافية. إن تعميم الاختلافات، من خلال نموذج الدائرة المعقّدة،[٨٠] مهمٌ جداً خلال المرحلة الأولية، حين تكون مقاومة الآخر المختلف أكبر، خصوصاً في السياقات التي تكون فيها الاختلافات الثقافية والاجتماعية وغيرها متفاقمة بسبب حرب دائرة أو نزاع قائم.

إنّ نموذج الدائرة المعقّدة هو في الواقع إطار منهجي، وهو يهدف إلى خلق دائرة قوية من العلاقات داخل مجموعةٍ من المشاركين وبين مجموعات في المجتمع المحلّي. تكمن قوّة هذا النموذج في أنه يسمح للأفراد بالتعبير عن تنوّعهم ويشجّعهم على استكشاف أعمق لذاتهم بينما يقومون في الوقت نفسه ببناء علاقات خطية مع الآخرين داخل المجموعة. يتغيّر المشاركون ويغيّرهم الآخرون الموجودون في هذه العلاقة الخطّية، مع الحفاظ على فرديّتهم. كما كتب سكينينا: "تصبح المجموعة المكان حيث كل مَن في داخلها يحترم التنوّع ويعترف بالعلاقات الشخصية أو الجماعية. تتطوّر العملية من خلال تعددية المشاكل ومن خلال مشاركة موارد كل فرد."[٨١] إن الهدف النهائي لهذا النهج هو استخدام التبادلات والعلاقات التي تتطوّر داخل المجموعة لتغيير المفاهيم المتعلّقة بمشكلة ما عبر إضفاء أصوات متعددة.[٨٢] كانت هذه إحدى المبادئ الأساسية لحركة المسرح الاجتماعي التي ينتمي إليها نموذج الدائرة المعقّدة.[٨٣] كما يشرح بيتر بروك بوضوح، إن المسرح أداة قوية بشكل خاص بسبب "قدرة المسرح على خلق جسور بين ما هو منقسم بالعادة داخل وبين الأفراد والمجتمعات، بين العالم الصغير والعالم الكبير، وأخيراً بين المرئي وغير المرئي".[٨٤] يشدد سكينينا على مدى أهمية هذا الأمر في البلدان التي مزّقتها الحرب، مثل الجمهورية العربية السورية ولبنان، حيث يجب تفكيك خطاب المجموعة والسماح للاختلافات الفردية بالظهور قبل البدء بإعادة إعمار مجموعة تسع الاختلافات وقادرة على انتقاد طقوس الحرب. هذا، بحسب قوله، شرط أساسي لوضع الأسس لعملية مشتركة الثقافات ومشتركة الإثنيات طويلة الأمد.[٨٥] هذا الأمر مرتبط بقوة نموذج

٧٨ بيون، ١٩٧١.
٧٩ المنظمة العالمية للصحة، ١٩٩٣.
٨٠ سكينينا، ٢٠٠٢:١٥.
٨١ سكينينا، ٢٠٠٤ب.
٨٢ المرجع نفسه.
٨٣ سكينينا، ٢٠٠٢.
٨٤ سكينينا، ٢٠٠٤أ.
٨٥ سكينينا، ٢٠٠٢:٦٣.

الدائرة المعقّدة في تفكيك أو "تخطّي" "مثلث الاستغلال" الذي يُبقي على مواقع الزاويا للضحايا والمرتكبين والمنقذين في حالة استقطاب. يسمح العدد الكبير للعلاقات لهذا المثلث بالتفكك عبر بناء دائرة. تقول توتشي، "المثلث هرم، وهو رمز التسلسل واللامساواة والقمع. تمثّل زواياه بشكل واضح استحالة الحوار [...] بطريقة متعارضة تماماً، الدائرة هي رمز المساواة؛ مكانٌ تحدث فيه العلاقات بين الأقران، مكان للتغيير وللحوار."[٨٦] هذا النموذج يسمح أيضاً بتجنّب النُهُج التنازلية حيث يتصّرف العاملون في المجال الإنساني كمنقذين ويهبط المشاركون إلى دور الضحية، وتكون هوية المرتكب واضحة. على العكس، تشجّع الدائرةُ المشاركةَ والتفاعل بين الأقران.[٨٧]

ترعى عملية المسرح بأكملها تنمية الروابط وبناء رأس مال اجتماعي، لكنّ هذا الأمر يصبح هدفاً أوّلياً ومحدداً في المشاريع التي تستهدف المجتمعات.[٨٨] إن الروابط التي ينمّيها المسرح، والتي تمرّ إنشاؤها بداعي الضرورة والواجب، هي روابط ضعيفة،[٨٩] ولهذا السبب، هي مهمة جداً. إن الروابط الضعيفة تصل الأشخاص دون اعتبار للأصل المعروف المحدد أو حتى للأصل الثقافي للرابط. تصف أدلة علمية في البحوث الاجتماعية ترابطاً إيجابياً بين الروابط الضعيفة ونمو رأس المال الاجتماعي. إنّ الأفراد والمجموعات الذين يعتمدون على كمّ كبير من الروابط الاجتماعية يتمتّعون على الأرجح بصحة جيدة. المجتمعات المحلية التي تملك قدراً كبيراً من العلاقات الضعيفة تتمتّع بصحة أفضل وهي أكثر انفتاحاً، إذ أن الأشخاص يقيمون علاقات على أساس عدة اهتمامات عَرَضيّة.[٩٠]

٢,٣,٣. مسرحية وطقوس

> إن اللعب هو [...] مساحة الممكن [...] وهذه هي المساحة التي نجد أنفسنا داخلها: اختلافنا وإبداعنا والرحلة الوجودية التي جعلت منا أشخاصاً مختلفين عن كل الباقين [91]

يملك المسرح بُعدين؛ هو في الوقت نفسه لعبٌ وطقس. بحسب فيكتور تورنر، تمرّ تأسيس المسرح حين اختفت الوظيفة الداعمة للاستقرار والمحافظة للطقوس، الهادفة إلى تثبيت القيم القائمة، فيما بدأت المجتمعات تستكشف قيم وسلوكيات أخرى بصورة حرة عبر أعمالٍ مسرحية.[٩٢] داخل المساحة المحمية والخيالية للمسرح، يمكن ضمان أمان وحرية تعبير – "غير حقيقيين" لكن أصيلين – مما يسمح باكتشاف قيم أخرى واختبارها ومناقشتها ومقارنتها، وبالتالي فتح مساحة للابتكار والتغيير. إن المسرح ليس طقساً إجبارياً كما وأنه غير مُلزِم، لكن كغيره من الطقوس، هو شكل فعال من أشكال التفاعل، يولّد هويات جديدة

٨٦ توتشي، ٢٠١٣.
٨٧ المنظمة الدولية للهجرة، ٢٠١٥.
٨٨ باغلياراينو، ٢٠١١.
٨٩ غرانوفيتير، ١٧٣؛ أميريو، ٢٠٠٠.
٩٠ الإتحاد الدولي لتعزيز الصحة والتعليم والكونسورتيوم الكندي للأبحاث حول تعزيز الصحة، ٢٠٠٧؛ هيبا وماكي، ٢٠٠٣؛ بوتنام، ٢٠٠٤.
٩١ بينسيفينغا، ٧١-٧٠:١٩٩٥.
٩٢ تورنر، ١٩٨٦.

ويعزز سلوكيات جديدة. إن العرض النهائي في عملية المسرح الاجتماعي هو في الوقت نفسه إجراءٌ يجمع المجتمع المحلي واحتفال بالمجتمع المحلي وتفعيل له.

يسمح الطقس المسرحي للأشخاص الموجودين على خشبة المسرح بأن يعلنوا عن وجودهم على الملأ، ويدعو المجتمع المحلي إلى الالتفاف حول قيم وأفكار مطروحة، ويفعّل اتصالات اجتماعية بشأن المواضيع المطروحة تستند إلى العواطف المشتركة[٩٣] والى الإبداع. إن زمان العرض ومكانه ليسا عاملين ثانويين، حيث أنهما يؤثران على إعداد الطقس وعلى المعنى الذي يُعطى له. إن إضفاء الطابع الطقسي على هيكلية حلقة العمل، من خلال المراحل وعمليات الافتتاح والإغلاق، يساعد على بناء هوية المجموعة، مما يخلق مساحةً آمنة ويصون الحدود.

إذا كان الطقس هو البنية الهيكلية للمسرح، فاللعب هو الهواء الذي يتنشّقه المسرح. إن عامل المرح ضروري لكل الفنون الإبداعية وللمسرح. إن اللعب في المسرح ممتع، ولديه قواعد، ويحدث في مكان وزمان محددين، وهو خالٍ من التقييمات والتوجيهات. نحن نلعب كي نتسلّى، إنما أثناء اللعب نتعلّم الكثير. في اللعب والمسرح، هناك مكوّن النموّ والتعلّم المعرفي الذي يفيد الكبار والصغار على حدٍّ سواء. إن اللعب مهم لرفاه الكبار[٩٤] حيث أنه لا يخضع لمنطق الكلفة والمنافع المسيطر والذي على أساسه يتمّ تقييم حياة الشخص المهنية والشخصية في يومنا هذا. بالتالي، فإنّه يسمح للشخص بصرف الإطار المعتاد للتفكير وبفتح عقله على البدائل المُتاحة، وبالنظر في تجارب جديدة وخوضها دون خوف، وبتخفيف الضغط النفسي المرتبط بفعالية الأداء، وبإعادة تشغيل مهاراته العاطفية والمنطقية. إن تمثيل الـ "كما لو" عند أداء دور مسرحي هو طريقة قوية لتحرير المخيّلة والإبداع والموارد الجسدية والعقلية، ولاستكشاف الصلة بين المخيّلة والتغيير، بما أنه يسمح بتخيّل واختبار مواقف متنوّعة وسلوكيات بديلة عن الواقع. بهذه الطريقة، من خلال أداء الأدوار المسرحية، يتبع المشاركون مراحل التغيير التي يصفها بروتشاسكا[٩٥] بأنها تأمّلية واتّجاهية، دون أن يتعرّضوا لأي خطر حقيقي.

٢,٣,٤. أدوار وحكايات

> على الأرجح أنها ليست مجرّد صدفة تاريخية أن يكون المعنى الأول لكلمة إنسان هو قناع. لا بل إنه إقرار بواقع أن جميع الأشخاص في كل مكان وكل زمان، بطريقة واعية أو غير واعية، يلعبون دوراً [...] هذه الأدوار هي المكان الذي نتعرّف فيه على بعض؛ هذه الأدوار هي المكان الذي نتعرّف فيه على أنفسنا.[٩٦]

في صلب أداء الأدوار المسرحية توجد لعبة هويات وأدوار. يعرض المسرح على خشبته ديناميكية الأداء الاجتماعي الذي درسه غوفمان:[٩٧] يحمل كل فرد هوية شخصية وعدة أدوار اجتماعية (على سبيل المثال

٩٣ حول المسرح كـ "عدوى"، أنظر أرترو، ١٩٦٨.
٩٤ كولومبو وإينّوسينتي مالياني، ٢٠١٧.
٩٥ بروتشاسكا وديكليمينتي، ١٩٨٢؛ بروتشاسكا ونوركروس وديكليمينتي، ١٩٩٤.
٩٦ بارك، ١٩٥٠:٢٤٩، مقتبس في غوفمان، ١٩٥٦:١١.
٩٧ غوفمان، ١٩٥٦.

أهلٌ أو عاملٌ أو مواطن) تحدد سلوكه، بعدة طرق، من ضمنها في ما يتعلّق بالتوقعات والقواعد المشتركة. على مرّ العصور، أنتج المسرح أعمالاً تقوم فيها الشخصيات بتطوير مساراتها الشخصية الجماعية الخاصة عبر الانصياع لأدوار السلطة والأدوار الاجتماعية والسياسية التي تُسند إليهم تلقائياً في المجتمعات التي يعيشون فيها، أو عبر مخالفتها. بصورةٍ أعمّ، في المسرح، الدور والقناع والشخصية هي كلّها طرق لاستكشاف العلاقة بين الهوية الفردية والصورة العامة والتوقعات الشخصية للفرد، وكيف تتفاعل هذه الهوية الفردية والصورة العامة والتوقعات الشخصية مع التوقعات التي يفرضها عليه المجتمع. من خلال الـ "كما لو" في المسرح، يمكن للشخص أن يتخلّى عن دوره المعتاد وأن يأخذ دوراً آخراً ويجرّبه. يمكن أيضاً للشخص أن يعيش تجربة أحداث حياته الخاصة من جديد، وأن يرى انعكاس مشاعره وصفاته الخاصة في الأدوار التي يؤديها الممثلون على خشبة المسرح. إن استكشاف أعمال جديدة محتملة في المسرح يمهّد الطريق أمام رؤية إمكانيات للتغيير في الحياة الواقعية. إن لعب الأدوار – سواء عبر وضع قناع أو تقمّص شخصية – يسمح لكل من المؤدي ومن المشاهدين بأن يقرّوا بأن السلوك ليس فقط نتيجة اختيار فردي، بل أيضاً نتيجة طلبات وتوجيهات وشروط اجتماعية وثقافية.

في هذا السياق، يمكن للعب الأدوار أن يكون أداةً قوية لإرساء تقبُّل وتفاهم متبادلين في حالات النزاع، حيث أنّه يُقدَّم إلى الأشخاص إمكانية أن يتبنوا وجهة نظر غير اعتيادية ويضعوا أنفسهم في مكان شخص آخر بطريقة واقعية جداً عبر التمثيل في حالات معيّنة. نتيجة للاندماج في الحياة الواقعية لشخص آخر، يمكن اكتشاف أوجه تشابه أو على الأقل يمكن التوصّل إلى إقرار بالدوافع الكامنة وراء سلوكيات مختلفة. إلى جانب الأدوار، يعمل المسرح الاجتماعي كثيراً على القصص ورواية القصص. إن العنصرين في الواقع مرتبطين، لأنّ القصص عبارةٌ عن تفاعلات بين شخصيات وأدوار مختلفة. يمكن للعب الأدوار أن يتمّ بالرجوع إلى مواقف من الحياة الواقعية أو إلى قصص تنتمي إلى السياق الثقافي. قد يكون من الأفضل استخدام القصص حين يكون الرجوع المباشر إلى الحياة الواقعية مؤلماً جداً، أو قادراً على تأجيج النزاع. في المسرح الاجتماعي، تشكّل القصص أدواتٍ قيّمة من عدة نواحٍ. تركّز عدة دراسات على كيفية مساهمة رواية القصص في تعزيز الرفاه[٩٨] وعلى الأهمية الخاصة للسير الذاتيّة في الرعاية الصحية.[٩٩] تقوم القصص بالشفاء لأنها تجمع شتات حياة يُنظر إليها على أنها مفككة، وفي بعض الأحيان، خالية من المعنى على نحو مؤلم،[١٠٠] وذلك بطريقة متناسقة تسهّل المصالحة وتكون منطقية. في المسرح، رواية القصص عملية شفوية لا مكتوبة، يمكنها أن تكون جسدية وليس شفوية، وتتمّ أمام جمهور. هذا البُعد العلائقي الخاص لرواية القصص في المسرح هو الناحية الأهم في سياقات يهدف فيها الشخص إلى بناء مجموعات وإلى تسوية خلافات قائمة، تكون في معظم الأحيان مثيرة للنزاع. إن السماح للقصص الفردية بالبروز من السرد المهيمن الذي تمليه المجموعة التي ينتمي إليها الفرد والمجتمع المحلي، مهمة في تلك الأوضاع، مثل أوضاع الحرب مثلاً، حيث يهدّد البعدُ الجماعي بأن يطغى على التعبير الفردي؛ أو حيث السرد المؤسساتي يهيمن ويُخرس سرديات فردية كثيرة في حال لم تتوافق مع القيم الجماعية.[١٠١]

٩٨ برونر، ٢٠٠٢؛ وايت وإبستاين، ١٩٩٠؛ سكولتانز، ٢٠٠٤.

٩٩ ديميتريو، ١٩٩٥. أنظر الأهمية الكبيرة التي تُعطى للقصص ولتأليف القصص وروايتها في العلاج بالمسرح. عن دور قصص المرضى في الطب السردي، أنظر شارون، ٢٠٠٦.

١٠٠ بايتسون، ١٩٩٢.

١٠١ ليندمان نيلسون، ٢٠٠١.

٢,٤. المسرح والدعم النفسي الاجتماعي في إطار الماجستير التنفيذي المهني في لبنان التابع للمنظمة الدولية للهجرة في لبنان

برز استخدام الفنون الإبداعية، ومن ضمنها المسرح، في تدخّلات الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي[١٠٢] والتدخلات التعليمية وغيرها من التدخلات المتعلّقة بالمجال الإنساني منذ نهاية تسعينات القرن العشرين،[١٠٣] حين تحوّل النهج المتّبع للتعاطي مع الاحتياجات العاطفية للأفراد الذين يمرّون بأزمات من التركيز على الصدمة إلى نهج أكثر شمولية وأقلّ وصماً، ومن نهج مرتكز على الطب النفسي إلى نهج مبني بدرجة أكبر على الدعم المجتمعي والاجتماعي.[١٠٤] في يومنا هذا، تحدد المبادئ التوجيهية للجنة الدائمة المشتركة بين الوكالات (IASC) الإطار لتقديم الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي في حالات الطوارئ. يشير تعريف "الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي" في هذه الوثيقة إلى أي شكل من أشكال الدعم المحلي أو الدولي الهادفة إلى حماية الرفاه النفسي الاجتماعي أو تدعيمه، و/ أو إلى تدارك الاضطرابات النفسية ومعالجتها.

تشير صفة "نفسي اجتماعي" بالتحديد إلى الترابط بين العمليتين النفسية والاجتماعية والى حقيقية أن كل واحدة منهما تتفاعل بشكل مستمر مع الأخرى وتؤثّر عليها. يتضمّن البُعد النفسي عمليات تُشرك العقل والأفكار والعواطف والمشاعر والذكريات والمعتقدات والسلوكيات، بينما يشمل المكوّن الاجتماعي العلاقات والعائلة والشبكات الاجتماعية والقيم الاجتماعية والممارسات الثقافية. تتناول الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي احتياجات الأفراد والعائلات والمجتمعات المحلية، كما وأنا تعمل على تدعيم الشبكات الاجتماعية وتساعد الأشخاص على تعلّم حماية أنفسهم وغيرهم من عبء الضغط النفسي. كذلك تساعد الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي الأشخاص على الانخراط في عملية المعافاة وتحسين ثقتهم بالنفس من خلال مساعدة الآخرين على التصالح مع خسائرهم وإعادة بناء حياتهم. حين يشارك الأشخاص في هذه النشاطات، يقومون وقتها فصاعداً بخطوتهم الأولى نحو المساهمة الفعالة في معافاتهم الخاصة.

في تصميم برنامج الماجستير، تمّ تقديم نموذج الدعم النفسي الاجتماعي استناداً إلى نظرية رينوس بابادوبولوس،[١٠٥] والى الصياغة المفاهيمية التي وضعتها المنظمة الدولية للهجرة،[١٠٦] مع التركيز على النواحي التالية: (أ) قراءة أنثروبولوجية للأحداث المعطّلة والنزاع؛ (ب) التشكيك في مثلّث الضحية – المرتكب – المنقذ؛ و(ت) فهم نسقي لنتائج الأحداث المعطلة مع التركيز ليس فقط على المعاناة بل أيضاً على القدرة على الصمود وعلى الموارد الفردية والجماعية والثقافية. إن الترابط بين العنف المنظم داخل المجتمع

١٠٢ اللجنة الدائمة المشتركة بين الوكالات (IASC)، ٢٠٠٧؛ باتل وزملاؤه، ٢٠١٤.
١٠٣ المنظمة الدولية للهجرة، ٢٠٠٠.
١٠٤ اللجنة الدائمة المشتركة بين الوكالات (IASC)، ٢٠٠٧.
١٠٥ بابادوبولوس، ٢٠٠٢.
١٠٦ المنظمة الدولية للهجرة، (بدون تاريخ)

والعنف المرتبط بشكل مباشر بالحرب[١٠٧] وموضوع العلاقة بين الدعم النفسي الاجتماعي وبناء السلام[١٠٨] هما الإطار العام للتدخلات المبدعة التي تمّ تحليلها في هذه الوثيقة.

في سياق التدخلات المبنية على الفن، تمّ تدريس النُهُج المسرحية التالية في برنامج الماجستير: (أ) العلاج بالمسرح، وخصوصاً نموذج التجسيد والإسقاط والدور (EPR) الذي وضعته سو جينينغز؛[١٠٩] (ب) مسرح المضطهدين الذي أنشأه أوغوستو بوال؛[١١٠] و(ت) نموذج الدائرة المعقّدة (CCM)[١١١] الذي وضعه غوغلييلمو سكينينا، إضافةً إلى أدواتٍ عملية أخرى مستمدّة من تطبيق فن الدمى على الدعم النفسي الاجتماعي وغيره من نماذج العلاج بالمسرح. على الرغم من أنها تقنيات ونظريات مختلفة، إلا أنها تنسجم جميعها مع نموذج تدخل مسرحي يستمد جذوره من الإطار والمنهجية النظريّين للمسرح الاجتماعي الذي تمّ التطرّق إليه في الفقرات السابقة.[١١٢] إن نهج العلاج بالمسرح الذي وضعته سو جينينغز يركّز على الطبيعة التفاعلية للدراما والمسرح،[١١٣] وعلى أهمية الأثر العلاجي للوقوف على خشبة المسرح وعلى القدرة المحددة للمسرح على تغيير طريقة رؤيتنا وفهمنا للحياة، وبالتالي على طبيعة المسرح الرمزية والمجازية.

> إن فن المسرح يمكّننا من إيجاد مكاننا في عالم رمزي يتمّ تمثيله، كجزءٍ من قصة ستقدّم لنا عدة خيارات وحلول؛ سوف تحوّل. الأمر يشبه النظر من خلال مشكال ورجّ قطع الأوراق الملوّنة داخله لتكوين أشكال وأنماط جديدة دون أن يفقد شكله الأساسي. [...] يجب أن نتذكر أن التجربة المسرحية تمكننا من تجاوز أنفسنا لخوض تجارب أظن أنها ميتافيزيقية؛ واقع الحال هو أن المسرح لا يُخرجنا فقط من تجاربنا اليومية الشخصية، بل أيضاً يحوّل طريقة إدراكنا وتجميعنا لآرائنا حول الحياة بحدّ ذاتها.١١٤

> تقضي مهمة المعالج بواسطة المسرح بأن يمكّن الأشخاص، على قدر المستطاع، من إعادة حالة التوازن إلى حالتهم الداخلية.١١٥

يرتكز العلاج بالمسرح على مفاهيم رئيسية. من وجهة نظر العلاج بواسطة المسرح، فإن التعامل مع العلاقات والنزاعات والمواضيع والنتائج التي تمسّ بالتجارب الحياتية الشخصية لشخص ما يكون أكثر فعالية من خلال المسرح، إذ أن المسرح يسمح بالإبتعاد عن تلك التجارب والأحداث والانفعالات.

---

١٠٧ آراي، ٢٠١٤.

١٠٨ غالتونغ، ٢٠٠٠.

١٠٩ جينينغز، ٢٠٠٩.

١١٠ بوال، ١٩٩٦، ٢٠٠٢ و٢٠١١.

١١١ للمزيد عن نموذج الدائرة المعقّدة، أنظر الفقرة ٣,٢ والمراجع.

١١٢ بيرناردي، دراغوني وسكينينا، ٢٠٠٢.

١١٣ "إن الدراما والمسرح، وبالتالي العلاج بالمسرح، هي بحدّ ذاتها عمليات تفاعلية تتضمن أشخاصاً آخرين، لذلك من الضروري أن نتأمل في تاريخنا ليس فقط كأفراد بل كأفراد بالنسبة إلى أشخاص آخرين، بمعنىً آخر، المجتمع" (جينينغز، ٢٠٠٩:٢٢).

١١٤ المرجع نفسه، ١١-١٢.

١١٥ المرجع نفسه، ١٢٥.

إذا "أبعدنا التجربة عن حياتنا بواسطة المسرح"، لا نكون نرى محاكاة لنزاعنا فقط. إن القيمة الحقيقية لهذه الخطوة تتمثّل في تعزيز قدرة الشخص على التمييز بين الواقع اليومي والواقع الدرامي وعلى الاقتراب أو الابتعاد من كلٍّ منهما كما يجب. إن فهم العبور بين الواقع اليومي والواقع الدرامي وإدارته هو المهارة الخاصة للمعالج بواسطة المسرح الذي "لا يقوم فقط باستخدام تقنيات الدراما بل يحتاج أيضاً إلى مجموعة واسعة من المهارات والعمليات التي تمّت ممارستها وصقلها".[١١٦] إن إعادة صياغة تجارب الحياة بواسطة المسرح هي المبدأ الذي يقود تدخلاً علاجياً بواسطة المسرح: تهدف إذن النشاطات المبدعة إلى مساعدة الأفراد داخل المجموعة على عيش هذه التجربة وإعادة القراءة المركبة لحياتهم الخاصة. إن التدخل العلاجي بواسطة المسرح، كما الطقوس،[١١٧] يتألف من جلسات، وكل جلسة لديها تركيبة داخلية مقسّمة إلى أجزاء: الاتصال، العقد، عملية التحمية، النشاط الرئيسي، التهدئة والملاحظات. يقود نموذج التجسيد والإسقاط والدور (EPR) الذي وضعته سو جينينغز[١١٨] تقدّم أو مسار كل جلسة ومجموع الجلسات. تقول جينينغز أن التطور الدرامي للبشر يتمرّ على ثلاث مراحل: (أ) التجسيد (أي اللعب بواسطة الجسد، مواءمة الحركة وغيرها)؛ (ب) الإسقاط (أي التعبير الخارجي كالرسم واللعب بالألعاب)؛ و(ت) الدور (أي انتحال الشخصيات). كي تكون الجلسات مفيدة، يجب على الجلسات أن تتقدّم وفقاً لهذا التسلسل أيضاً. بيد أن الاهتمام المولى إلى كل من هذه الأجزاء قد يختلف مع تقدُّم المجموعة في الجلسات. خلال برنامج الماجستير، أُعطي الطلاب أمثلةً عن ألعاب[١١٩] وإحالات نهج جينينغز.[١٢٠]

إن مسرح المضطهدين الذي أسسه بوال والذي أشرنا إليه في الفصل الثاني، هو نهج واضح للتدخّل مع كلٍّ من المجموعات والمجتمعات. في حلقات العمل المسرحي، ومن خلال عمليات التحمية التعبيرية والعلائقية والنشاطات التفاعلية المبدعة، يُطلب إلى المشاركين الذين هم ليسوا ممثلين محترفين، أن يُفصحوا عن اختلافاتهم الخاصة – المعتقدات والآراء والتقاليد الثقافية – حول مواضيع سياسية واجتماعية تهمّهم جميعاً، وأن يواجهوا بعضهم البعض بآرائهم المختلفة. إن التشكيك بالمواقف ولعب الأدوار في مسرح المضطهدين موجَّهَين نحو حل المشاكل المتعلقة بالمظالم الاجتماعية المرتبطة بهويات وأدوار السلطة. في منتدى المسرح، بوجه خاص، ، تمثّل المجموعة قصصاً ومواقفاً تعبرّ عن النزاعات الاجتماعية، ويُدعى الجمهور للمداخلة والحلول مكان شخصية أو أكثر على خشبة المسرح، كما ولاقتراح حلول بديلة، ليس من خلال الكلمات إنما عبر التفاعل مباشرة على خشبة المسرح. من هذا المنظور، لا ينتج عن المسرح تنفيس عمّا بالداخل بل تعدديةٌ تعزّز القدرات الفردية والجماعية على إيجاد حلول خلّاقة وتحمّل مسؤولية العمل الاجتماعي.

١١٦ المرجع نفسه، ١٣٤.

١١٧ "إن جلسات العلاج بواسطة المسرح هي جلسات طقسية بشكلها وبنيتها، وعادة ما تبدأ وتنتهي بعبارات طقسية مألوفة؛ يعمل هذا الأمر كمستوعب لعمليات الإستكشاف والمجازفة داخل الجلسة التي يقابل داخلها المشاركون مواداً غير مألوفة أو مجهولة." (المرجع نفسه، ١٢٦)

١١٨ جينينغز، ١٩٩٢.

١١٩ من ضمنها تمرين شجرة الحياة وقصة الطفل الغير مرئي اللذين استخدمهما الطلاب بشكل مكثّف في أعمالهم الميدانية.

١٢٠ المنظمة الدولية للهجرة، ٢٠١٥.

٢,٥. تحديات الإطار: بين الثقافة وحالات الطوارئ

يجب على كل التدخلات المبنية على الفن، ومن ضمنها التدخلات بواسطة المسرح، أن تأخذ بالاعتبار السياق الثقافي المعيّن الذي تجري داخله. إنّ أي تدخل مبني على الفن هو في الواقع بحد ذاته محدَّدٌ ثقافياً ويعزز بشكل ضمني نموذجاً ثقافياً للمراجع، أحياناً بطرق لا يلاحظها مستخدموه – الميسرين والمشاركين على حد سواء. إن الطرق التي تتعاطى فيها التدخلات المبنية على الفن مع المواضيع، مثل اللغة الشفوية أو لغة الجسد، مفهوم المخيّلة وفكرة القواعد والمشاركة، هي طرق خاصة بكل ثقافة ويمكن أن يكون لها آثار مختلفة في سياقات ثقافية مختلفة.

إن السياقين الثقافيين اللبناني والسوري مختلفين عن بعضهما، وقد قام الطلاب بتصوير كلٍّ منهما ومناقشتهما بطريقة واضحة في تقارير أعمالهم الميدانية. ركّز الطلاب على النواحي التالية: (أ) تجربة لبنان المتعددة الثقافات؛ (ب) التغيرّات التي طرأت على العائلات السورية التقليدية وعلى أدوار الأنواع الاجتماعية بسبب الحرب في سوريا والاتصالات المتعددة الثقافات؛ (ت) التحدّيات التي يواجهها أفراد ينتمون إلى مجتمعات ثقافية تقليدية في استخدام الجسد بطريقة خلاقة؛ و(ث) النموذج التربوي الذي تنطوي عليه التدخلات المبنية على الفن.

يملك لبنان تجربة متعددة الثقافات طويلة الأمد، إذ أنّه يحتضن أكثر من عشرين مجموعة أثنية ودينية، من ضمنها المسيحيين الموارنة والشيعة والسنة والمسلمين الدروز. منذ سنة ١٩٤٨ عقب الحرب مع الإسرائيليين، أصبح لبنان مقصداً للاجئين الهاربين من الأراضي الفلسطينية. ومع الأزمة السورية، انتقل أكثر من مليون سورياً إلى لبنان منذ بداية الحرب. يُعتبر هذا العدد ضخماً نظراً إلى عدد سكان البلد والذي يبلغ أربعة ملايين ونصف مليون مواطن لبناني، وهو يؤثّر على التوازن الهش في لبنان، وهو توازن متعدد الثقافات ومتعدد الديانات معروف ومعقّد. إضافةً إلى ذلك، كان المضيفون اللبنانيون يعانون أصلاً من آثار الضغوط الاجتماعية والاقتصادية على نوعية حياتهم، الناتجة عن الأزمة الاقتصادية العالمية الأخيرة. بدأ الاستقطاب بين المجتمع اللبناني المضيف واللاجئين السوريين بالظهور، وهو على تزايد في الحياة اليومية، خصوصاً بين الأطفال، وذلك بسبب ما يبدو أنه تنافس على الموارد وبسبب التاريخ القريب للعلاقات بين البلدين.

إن الحاجة لتفهّم ثقافي وتقبّل للتنوّع مهم على عدة مستويات مختلفة، من ضمنها مع الأطفال والشباب. إن غياب الفرص والأماكن حيث يمكن للبنانيين وللسوريين اللقاء والتفاعل يزيد من صعوبة التغلّب على الأحكام المسبقة من الجانبين ويؤثّر على الحوار. كان لوجود الجيش السوري الطويل الأمد في لبنان خلال الحرب اللبنانية الأهلية أثرٌ عميق على معظم السكان، الذين وضعوا السوريين في موقع المرتكب. هذا الوضع لم ينتهِ مع انسحاب الجيش السوري من لبنان عام ٢٠٠٥، وقد جعل من إدماج السوريين في المجتمع اللبناني أكثر صعوبةً، حيث أنه من الصعب بالنسبة إلى عدد كبير من السكان تصوّر السوريين في وضع الضحية عوضاً عن المرتكب، وهو الدور الذي نُسب إليهم لسنوات طويلة. فضلاً عن ذلك، يرى البعض أن هناك تفاوت في القوة بين المنظمات الإنسانية والحكومة اللبنانية، مما يجعل من اللاجئين معتمدين غير طوعيين على مساعدتهم، الأمر الذي يسبب إحباطاً اجتماعيا عند كل من اللاجئين والمضيفين. يعاني

اللاجئون لتلبية احتياجاتهم الأساسية؛ في الكثير من الأحيان، يعتمدون على المنظمات الإنسانية ويكون وضعهم القانوني غير واضح. بالنسبة إلى بعض الطلاب، تُعتبر هذه الأمور أشكالاً من العنف المنظم التي هي في أساس المحنة التي يمرّ بها العديد من السوريين، مما يحدّ من قدرتهم على أن يكونوا مستقلّين ومكتفين ذاتياً. تحاول المنظمات غير الحكومية أن تحدّ من التمييز الممارس ضد اللاجئين عبر تطبيق برامج ونشاطات تعزز الترابط الاجتماعي. من هذا المنظور، تقوم التدخلات المبنية على الفن – وبالتحديد، نُهُج المسرح الاجتماعي مع نموذج الدائرة المعقّدة – بمعالجة هذه المسألة بعدة طرق من خلال تشجيع المشاركة الفعالة في التجارب الاجتماعية وتعزيز التمكين الفردي وخلق مواقف غير عادية وحَدية حيث يشعر الأشخاص أنه بإمكانهم اللقاء والتعبير والبحث عن حلول ممكنة لمشاكلهم المشتركة بواسطة وسائل خلاقة.

إن اللقاء بين ثقافات مختلفة في سياق نزوح اللاجئين من الحرب السورية يتعلّق أيضاً بالاختلافات بين نماذج العائلات، وبالتحديد، دور المرأة في العائلة. في لبنان، على سبيل المثال، تأتي العديد من النساء السوريات اللاجئات من ثقافات عائلية متنوّعة تتّصف جميعها بنموذج أبوي قويّ، يجمع ما بين الحماية ومحدودية الحريات الشخصية للنساء في العائلة. من جهة أخرى، تأتي نساء سوريات لاجئات أخريات من عائلات تقدّمية جداً لطالما منحت النساء دوراً نظيراً.

إضافةً إلى ذلك، يقوّض النزوح الأدوار العائلية والاجتماعية التقليدية. غالباً، في حالات النزوح، تتولى النساء مهاماً وأدواراً لطالما نُسبت تقليدياً إلى رجال العائلة، من ضمنها كسب الرزق، إما بسبب غياب الرجال، وإما بسبب الصعوبة التي يواجهها الرجال في إيجاد عمل، وإما بسبب خطورة مغادرة المنزل. الكثير من اللاجئات من الجمهورية العربية السورية بدأن بالعمل وبالخروج بمفردهن وبإدارة الرعاية الاجتماعية والصحية الخاصة بهنّ وبأولادهن وبإتقان العلاقات مع الأنظمة الإنسانية المحلية والدولية، وأصبحن من خلال كل هذه الأمور أكثر استقلاليةً. إن الفرص التي تقدّمها المواقف العديدة المختلفة تجاه المرأة ودورها القائمة في الثقافة اللبنانية وداخل مجتمع اللجوء، وضع النساء أمام مجموعة من الاحتمالات التي تحدّت أفكارهنّ وأفكار مجتمعهن عن دور المرأة وإمكانياتها. يمكن للنشاطات المبنية على الفن والتي نفّذها الطلاب أن تبني على الإمكانيات التي يخلقها هذا التنوّع. في الواقع، يمكن لهذه النشاطات أن تسمح للنساء السوريات بالتعبير بطريقة خلاقة عن مشاعرهن وعن المحن التي يمررن بها، وبتعميمها مع نظيراتهن. إضافةً إلى ذلك، يمكن لحلقات العمل المسرحي الاجتماعي والخلاق أن يعزز التبادلات واللقاءات بين نساء سوريات ولبنانيات، مما يسمح لهنّ بتعلّم مهارات ومؤهلات جديدة من خلال تبادل أفضل الممارسات ومهارات حل المشاكل.

قدّم الاستخدام المبدع للجسد تحدّياً آخر. تشدد نماذج المسرح وأدواته التي تمّ تعليمها في برنامج الماجستير كثيراً على ممارسات التنشيط والتعبير والتواصل غير الشفوي الجسدية. خلال هذه النشاطات، يقوم الجسد بتمارين وحركات ورقصات موجّهة صوب إدراك الذات واستكشاف القدرات التعبيرية للجسد وبناء الثقة من خلال تلامس الأجساد. بشكل عام، خلال هذه العمليات وحلقات العمل، يظهر الجسد عارياً، بمعنى أنه يتحرر بواسطة التنكّر الاجتماعي والأدوار اليومية والأزياء. إن استكشاف الإمكانيات التعبيرية الأصلية للجسد في هذا الإطار هي طريقة لبلوغ المصداقية الشخصية والعلائقية. بيد أنه يمكن لثقافة الجسد هذه ولممارسة استخدام الجسد في معظم المسرح الاجتماعي، أن تتعارض مع القيمة

المعطاة للجسد في بعض الثقافات التقليدية. انطبق هذا الأمر، وفقاً لتقارير البريحي ودويّب وجلّو وخليل ومعاوي، على المنظور الثقافي للعديد من اللاجئين المعنيين، وقد كانوا بمعظمهم مسلمين من مناطق ريفية في الجمهورية العربية السورية. أفاد الطلاب عن صعوبات في مسك الأيدي بين الذكور والإناث من الأطفال، وعن مواقف حمائية من الإخوة حيال الأخوات – إذ لم يسمح الإخوة للمدرب بلمس أخواتهن – أو عن مقاومة المراهقات للتدريب والتمارين الجسدية، باستثناء الرقصات التقليدية.

قام طلاب الماجستير عبر عدة طرق باستكشاف الحاجة إلى مواءمة نموذج التدخل مع ثقافة المشاركين في ما يتعلّق باستخدام الجسد: منح مساحة أكبر للرسم ولصناعة الأغراض وللغناء، والأهم، استخدام لعب الأدوار والمحاكاة، وارتجال المواقف والشخصيات. بهذه الطريقة، يكون الجسد هو المحور، إنما يكون "مرتدياً الملابس المناسبة" للدور الذي يؤديه المشارك، مما يصونه من أن يعتبر غير محتشم أو منتهك. تقوم الأجساد بالتحرك، إنما في سياق قصة خيالية أو زائفة تبرر استخدام الأجساد بشكل يتعارض مع الأعراف كجزء من الشخصية. بالتالي، يكتسب لعب الأدوار قيمتين. تكمن القيمة الأولى في إمكانية استكشاف موقف إشكالي وتجربة حلول وتعميم عدة وجهات نظر حول الموضوع. أما القيمة الثانية، فتكمن في حقيقة أن لعب الأدوار يجعل من الممكن استخدام الجسد حتى في سياقات يُمنع فيها إظهاره أو استخدامه بطريقة مبدعة، بطريقة تسمح للمشاركين بتحسين نظرتهم وإدراكهم للذات – من خلال الجسد – وباستكشاف المكونات غير الشفوية الأساسية للتواصل بين الأشخاص.

في الثقافات التي تكون فيها الكلمات أدوات تواصل ملائمة أكثر من الجسد، يكون النهج المتبع في حلقات العمل الإبداعي أكثر منه تعليمياً. بدا ذلك جلياً في بعض الأعمال الميدانية التي قام بها الطلاب، خصوصاً مع الأطفال، حيث لجأوا إلى بُنىً تعليمية. إن المطالبة بالانضباط من حيث ضبط النفس الجسدي واللفظي، واستخدام أوضاع تكون في معظم الأحيان جامدة ولا تسمح بالحركة- الجلوس والكلام أو الجلوس والرسم- تعود إلى نموذج تعليمي تقليدي قامت علم التربية أو البيداغوجيا بالتشكيك فيه في القرن العشرين، عبر نظريات وممارسات تعليمية وتربوية مبتكرة مستمدّة من الغرب ومن أميركا اللاتينية.[١٢١] بالطريقة نفسها، اعتمدت العديد من هذه النهج التربوية الجديدة الطرق غير الشفوية للفنون بإسم قدرة على التعبير أقلّ ارتباطاً بمعرفة القراءة والكتابة عند المشارك. مع هذه النماذج، تصبح جليةً إمكانيةُ وصول عدد أكبر من المشاركين إلى هذا النوع من الفن بفضل عدم ارتباطه بالمستوى الاجتماعي التعليمي، إضافةً إلى إقرار عام بالشخص وتعزيز لدوره الفعال في بناء معنىٍ مشترك. إن القدرات البيداغوجية التي أثبتها الطلاب في مختلف الأعمال الميدانية – والمرتبطة بشكل خاص بالنماذج التي تعزز ملكية الأطفال، مثل نهج من طفل إلى آخر[١٢٢] وغيره من الأساليب القائمة على المشاركة – تُظهر مجالاً للبحوث يجب التحرك داخله ضمن الثقافة المرجع. إن المجال الذي فتحته الأزمة يسمح بتطوير ممارسات تربوية جديدة تناقض عدم المساواة الاجتماعية والصحية عند جميع الأطفال.

١٢١ كاتارسي، ٢٠١٦.

١٢٢ إبراهيم، ٢٠١٤.

٢,٦. التدخلات المبنية على المسرح مع لاجئين سوريين ومضيف لبناني: المجموعات المستهدفة وهيكلية الأعمال الميدانية

عادةً، تتضمن أطروحات طلاب الماجستير المتعلقة بالتدخل بواسطة المسرح جزءاً نظرياً في البداية، يقوم بعرض السياق المحدد للمداخلة ويناقش الإطار المفاهيمي الذي يشير إليه كل عمل ميداني. عادةً، يكون وصف الأعمال لميدانية أكثر إيجازاً. في الواقع، إن الوقت القصير المتوفر للعمل الميداني وعدم استقرار الوضع الأمني – الذي في بعض الأحيان منع وصول المستفيدين إلى أماكن إقامة النشاطات – سمح بتطبيق مجزّأ فقط للتدخلات المقررة. في بعض الأحيان، عرضت الأطروحات العمل الميداني المقرر دون طرح تطبيقه الفعلي.

إن الأطروحة بكاملها، وخصوصاً العمل الميداني، منظمة وفقاً لنوع المستفيدين الذين يستهدفهم التدخل بواسطة المسرح.

بالتالي، فإنّ التحليل الذي سوف يلي سوف يتناول بالتحديد مواضيع التدخل بواسطة المسرح مع الأطفال والنساء، بما أن الأعمال الميدانية كانت تتعلّق بشكل أساسي بهاتين الفئتين من المستفيدين.

كما ينبغي أن يكون الحال في كل عملية تعلّم ، استجابت الأعمال الميدانية لنهج قائم على التجربة والخطأ تمّ إنجازه دائماً مع قدرة كبيرة على القراءة النقدية. هذه القراءة النقدية للأجزاء الإيجابية إضافةً إلى محدودية التدخل سمحت باستخلاص عدد من الاقتراحات والنصائح.

٢,٦,١. العمل مع الأطفال: تعزيز القدرة على الصمود وتحويل النزاع

في الحديقة المواجهة للمبنى الذي أسكن فيه، في حيّ العبّاسيين في العاصمة السورية، دمشق، يمكنك أن تسمع الأصوات العالية لزمرة من الأطفال. هذه الأصوات تعلو وتحاكي أصوات طلقات النار التي تُطلق كل يوم من بندقيات وأسلحة رشاشة في ساحات النزاع المسلح في مناطق واسعة من الأراضي السورية. تختبئ مجموعة من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ١٠ و١٤ عاماً وراء مقاعد الحديقة وأشجارها، فيما تقوم مجموعة أخرى من الأطفال الذين يحملون بنادق ورشاشات بلاستيكية من صنع الصين أو قطع من الخشب تبدو كرشاشات الكلاشينكوف الروسية الصنع، بالوقوف في وجهها.

لقد بدأت المعركة.

فجأة، تبدأ المواجهة. تُصدر أفواههم الصغيرة أصوات رشقات متتالية تشبه الرشقات النارية. لاحقاً، تزداد هذه الأصوات حدّةً. أصبحت المواجهة بين الأطفال أقرب، مواجهة وجهاً لوحه.

أحدهم يرمي رمّانةً يدوية على أعدائه. هذه الرمانة هي طابةٌ صنعها من خلال رصّ عددٍ من الأوراق. في هذه الأثناء، سُمع صوت بعيد لكن ضخم، صوت مدفعية حقيقية وقذائف حقيقية. توقّف كل الأولاد عن اللعب. ثمّ ارتسمت ابتسامات بريئة على وجوههم وأكملوا اشتباكهم لتسلية أنفسهم. بعد رؤية هذا المشهد المتكرر، ذهبتُ إلى الحديقة لأحدّث الأطفال عن لعبتهم.[١٢٣]

أكثر من نصف الأعمال الميدانية لبرنامج الماجستير التي تمّ تحليلها بهدف هذا الفصل كانت تستهدف أطفالاً ومراهقين. يصف الطلاب بتفصيل كبير أوضاع الأطفال اللاجئين والنازحين داخلياً ويشددون على الطبيعة الحاسمة للتدخّل في الوقت المناسب في هذه السنّ.[١٢٤] إن عامل السنّ بالنسبة إلى الأطفال، مرتبطاً بالوضع المأساوي للحرب وبحالة النزوح، من شأنه أن يسرّع عملية النضوج من جهة – تحمّل المسؤوليات داخل العائلة، العمل وتقليد البالغين[١٢٥]- ومن جهة أخرى، أن يؤثّر على الكفاءات الاجتماعية في مرحلة من مراحل الحياة تكون فيها علاقات الفرد المتبادلة ضمن مجموعة ما مهمة من الناحية التطوّرية.[١٢٦]

إن وضع الأطفال السوريين موثّقة من قبل الطلاب مع التركيز على عنف الحرب، والعنف الثقافي، والعنف الأسري وعنف النزوح.

بالأخص، حلل الطلاب العنف الأسري (الجسدي والنفسي) الموجّه ضد الأطفال. على الرغم من أن العنف الأسري موجودٌ من قبل الحرب في الجمهورية العربية السورية،[١٢٧] إلا أنه أصبح أسوأ مع النزوح. يعاني الأطفال تماماً مثل البالغين من خسارة منزلهم[١٢٨] ومن انتزاعهم من سياق الحياة العائلية. إضافةً إلى ذلك، يخضعون للضغوطات والتغييرات الجذرية التي تحدث داخل العائلة النازحة والتي غالباً ما تتجلّى في نقص في الاهتمام العائلي – كلا الوالدين يعملان، ما من أقارب يدعمون العائلة – أو نقص في الرعاية الاجتماعية، مثل غياب المراكز التعليمية والنشاطات الاجتماعية/التعليمية. في حالات أخرى، يتعرّضون للاستغلال والعنف الأسريين، غالباً بسبب التغيرات في الأدوار والمسؤوليات – على سبيل المثال حاجة المرأة للعمل

١٢٣ وسوف، ٢٠١٤.

١٢٤ "إنها السنة الرابعة على بداية النزاع في سوريا وخروج السوريين إلى البلدان المجاورة. بالنسبة إلى الوضع العام، ولّد هذا النزاع مشاكل نفسية اجتماعية على كل المستويات، خاصةً وفي الأغلب لدى اللاجئين السوريين وبالدرجة الأولى الشباب في المجتمع المضيف (في هذه الحالة، لبنان)؛ الأغلبية لا يحصلون على فرص للتعليم، وقد واجهوا ضغوطات اجتماعية ساحقة، وقد عانوا من بطالة محتملة أثّرت على إنتاجيتهم. أقرّ بعض المراهقين بشعورهم بالعزلة وعدم الأمان، وبأنهم يتعرّضون للاستغلال في العمل. الأشخاص الذين اختبروا مصاعباً وجوديةً عظيمة – الهجران والعنف والحرب والمأساة والموت – غالباً ما يطبعهم هذا الجرح لوقت طويل من الزمن أو حتى طيلة حياتهم." (معاوي، ٢٠١٤).

١٢٥ وسوف، ٢٠١٤.

١٢٦ "إنهم أطفال تتراوح أعمارهم بين ١١ و١٣ عاماً. تم اختيار هذه الفئة العمرية لأنها تشكّل مرحلة مهمة للتعليم، وهناك نزاعات عديدة بين الأطفال فيما بينهم ومع الآخرين؛ كذلك، إنه الوقت الأمثل لمساعدة الأطفال على تغيير وتعديل أسلوب حياتهم وعلى امتلاك مهارات وأدوات وآليات لتطوير إمكانياتهم وقدراتهم؛ إضافةً إلى ذلك، يشعرون أنهم بحاجةٍ إلى الانتماء إلى مجموعة تشعر أنهم يريدون مناقشة أفكارهم ومشاكلهم." (مكرزل، ٢٠١٤)

١٢٧ يونس أحمد رهاب، خصائص العائلة الريفية وعلاقتها بالعنف الوالدي الموجّه ضد الطفل، مُقتبسة في البريحي، ٢٠١٥

١٢٨ بابادوبولوس، ٢٠٠٢.

– مما يؤدي إلى توترات وأحياناً إلى العنف أيضاً.[١٢٩] إن العنف الأسري ومختلف أنواع الاستغلال التي يتعرّض لها الأطفال تترك أثراً كبيراً عليهم، إن من حيث التطوّر السلوكي وإن من حيث مستوى العدائية لديهم. داخل المجتمع المضيف، قد يتعرّض الأطفال للاستهزاء وللاعتداء الجسدي والنفسي من قبل أقرانهم في المجتمع المضيف.[١٣٠] إن القيود المفروضة على حرية التنقل، عدم إمكانية الوصول إلى أماكن مخصصة للعب (كالمنتزهات والمراكز التعليمية) والمخاطر التي ينطوي عليها العبور في المناطق الحضرية، كلها أسباب أخرى من أسباب المعاناة. إن الحياة داخل ملاجئ جماعية صعبة جداً – بسبب انعدام الخصوصية والشعور بالعجز – والسلوك العدائي أمر شائع ضد الأطفال والعائلات.[١٣١]

استهدفت الأعمال الميدانية أطفالاً من الذكور والإناث وبشكل أساسي مراهقين ومراهقات تتراوح أعمارهم بين ١١ و١٣ عاماً. معظم المشاركين في هذه الأعمال كانوا لاجئين سوريين يعيشون داخل ملاجئ، تم التعرف إليهم في مراكز تعليمية أو من خلال منظمات إنسانية في لبنان والجمهورية العربية السورية. في بعض الحالات، كان كل من الأطفال السوريين واللبنانيين منخرطين في نشاطات تهدف إلى تحويل النزاع.[١٣٢] كانت معظم التدخلات تهدف إلى الدعم النفسي الاجتماعي، مع التركيز على تقييم الاحتياجات وتعزيز المهارات والقدرة على الصمود[١٣٣] ودعم التواصل الخالي من العنف. في إحدى الحالات، ركّزت المداخلة بشكل خاص على العنف الأسري[١٣٤] والاستغلال.[١٣٥] كل الأطروحات تقريباً تشير إلى نظريات التدخل العامة المبنية على الفن التي تمّ تقديمها في برنامج شهادة الماجستير، مع إشارةٍ خاصة إلى النماذج الثلاثة المبنية على الفن: نموذج التجسيد والإسقاط والدور (EPR) الذي وضعته سو جينينغز (والمتعلّق بتدرّج كامل عملية التدخّل)، ونموذج العلاج بالمسرح (المتعلّق بتدرّج الداخلي لكل جلسة) ونموذج الدائرة المعقّدة (CCM) (كنموذج متقاطع يشجّع تعزيز التنوّع وتقبّل التنوّع). قدّم الطلاب أيضاً إشاراتٍ إلى نظريات بناء السلام[١٣٦] وممارسات تحويل النزاع ونماذج تثقيفية بديلة، مثل نموذج من طفل إلى آخر.[١٣٧]

---

١٢٩ الديراني، ٢٠١٥.

١٣٠ مجموعات تركيز أدارها المعالج النفسي في مركز كاريتاس للمهاجرين مع ١٨٠ لبنانياً في كل المناطق في أيلول ٢٠١٤ قدّمت تقريراً بها مورين محفوظ التي ذكرت في أطروحتها: "الكثير من الأمهات يمنعن أطفالهن من الخروج للعب لأنهن يخشين أن يتعرّضوا للضرب من قبل الأطفال في الحي. إن التوتر ملموس على كل المستويات وفي كل الأماكن، حتى في المدارس وبين الأطفال. يتعرض الكثير من الطلاب السوريين للتمييز ضدهم ولسلوك سيئ من قبل الأساتذة الذين يقولون لهم كلاماً سيئاً أو يسيئون معاملتهم أو حتى يتجاهلونهم. 'لا تفسر لي المعلمة أي شيء حين أطرح عليها سؤالاً'. يواجه الطلاب السوريون مشاكل أيضاً مع زملائهم في الصف، الذين – في الكثير من الأماكن – يسيئون معاملتهم، وضربونهم ويتنمّرون عليهم؛ 'يقول لنا الطلاب اللبنانيون كلمات سيئة، هذا هو السوري، السوري "الأندبوري" – كلمة سيئة في اللغة العربية – كذلك يضربوننا أو ينتظروننا خارج المدرسة كي يضربونا أيضاً'." (محفوظ، ٢٠١٥)

١٣١ تقدّم أطروحة غيلّو عرضاً مفصلاً لحياة المراهقين داخل الملاجئ ولأجوائها العدائية التي تشكّل تحدياً للتدخلات بعدة طرق.

١٣٢ محفوظ، ٢٠١٥.

١٣٣ معاوي، مع الإشارة بشكل خاص إلى نظرية سيرولنيك (سيرولنيك ومالاغوتي، ٢٠٠٥)

١٣٤ البريحي، ٢٠١٥.

١٣٥ الديراني، ٢٠١٥.

١٣٦ توتشي، ٢٠١٣.

١٣٧ إبراهيم، ٢٠١٤.

بشكل أساسي، تتبع الأعمال الميدانية مع أطفال التصميم التالي: (أ) تقييم الاحتياجات (والذي يتمّ مع مقدّمي الرعاية/الوالدين أو مع مقدّمي الخدمات التربوية/النفسية، حيثما ينطبق ذلك)؛ (ب) التدخّل الأساسي مع مجموعة مستهدفة منظّم على شكل جلسات أسبوعية (بمعدّل ثماني جلسات)؛ و(ت) التقييم النهائي وإحالات ممكنة إلى مقدّمي رعاية آخرين. يبدأ التدخل الأساسي بجزئي الاتصال والعقد في البداية، ومن ثم نشاطات اللعب التي تتدرج من الألعاب الجسدية إلى الرسم ورواية القصص وصنع الحِرَف اليدوية ولعب الأدوار والاستعراض. تنتهي معظم التدخلات بعرض نهائي يقدّمه الأطفال بحضور والديهم وأحياناً بحضور أعضاء آخرين من المجتمع المحلي أو مقدّمي الرعاية. ينسجم التصميم بكامله – خصوصاً البنية العامة للتدخّل – مع نموذج المسرح الاجتماعي.

تجدون في ما يلي وصفاً لأمثلةٍ عن الأعمال الميدانية؛ تصف هذه الأمثلة مجموعةً من بنى ونُهُج التدخل بواسطة المسرح الاجتماعي مع الأطفال.

تناول العمل الميداني الذي قام به البريحي الأطفال (بين ٨ و١٢ عاماً) واستخدم الرسم ومسرح الدمى ومسرح الصورة. أستهدف الأطفال الذين يتعرّضون للعنف الأسري داخل العائلات النازحة وأعلن عن الأهداف التالية: (أ) الكشف عن العنف الأسري؛ (ب) تقييم الحالات؛ و(ت) تمكين الحوار داخل العائلة. استهدف التدخّل الذي امتدّ على أربعة أيام مجموعة من العائلات النازحة في محافظة اللاذقية. بعد الانتهاء من العمل الميداني، قام المؤلف بمراجعة نقدية، مسلّطاً الضوء على بعض الأخطاء والصعوبات والثغرات. استفاد المؤلف من هذه المراجعة النقدية فقام بوضع خطة جديدة للمستقبل تستهدف كلاً من الأطفال والآباء، إلا أنه لم يتمّ تطبيقها.

تمت مناقشة العمل الميداني بأكمله في الأطروحة: تم الإقرار بالنتائج الإيجابية المتعلّقة بالدعم النفسي والتدفّق العاطفي، ومدّ جسور التواصل، وبناء الثقة بين الولاد وخلق جوّ من التعبير والترفيه. ثبّت العمل الميداني تقييمات سابقة لأخصائيين في قلب الأحداث عن العنف الذي يعاني منه معظم الأطفال. قام الطلاب بتحسينات على شكل التدخل مع إشارة خاصة إلى بناء المجموعات بين الأطفال وأثره على العلاقة العنيفة بين الوالدين والأطفال.

استهدف العمل الميداني للديراني الفئات نفسها – الشباب الناجين من الاستغلال – إنما من منظورٍ مختلف، حيث أنه ركّز على "تمكين الناجين من الاستغلال عبر تحويل منظورهم لدورهم من الضحية إلى الناجي/الفاعل، من خلال إدراكهم لقدرتهم وإمكانيتهم على تحويل الجراح الماضية إلى فرصة للتغيير والنمو، وبالتالي خلق المستقبل الذي يتمنّونه".[١٣٨] تمّ تقسيم حلقة العمل المؤلفة من ١٣ جلسة إلى مرحلتين. في المرحلة الأولى، تم تيسير الجلسات لمجموعتين: صبيان وبنات. ركّزت الجلسة الثانية والجلسة التاسعة على إقامة مساحة آمنة، وبناء المجموعات، وتمارين التمثيل، ومهارات التوعية والتركيز، والتحضير لعرض قصير. في المرحلة الثانية، تم عقد ثلاث جلسات مختلطة بين الصبيان والبنات بهدف التحضير للاستعراض. تم تقديم العرض للمرة الأولى بحضور المقيمين في المركز الشبان والعاملين فيه؛ تم تقديمه أيضاً لزائرين من البنك الدولي. أشار النهج إلى نموذج الدائرة المعقدة ونموذج التجسيد والإسقاط والدور (EPR)، وتم استخدام تقنيات مسرح الصورة من مسرح المضطهدين وتمارين العلاج بالمسرح للدخول في الدور وللتقييم.

١٣٨ الديراني، ٢٠١٥.

كان العمل الميداني للحاج حسن قريباً من نهج الديراني، وقد ضمّ إثني عشر طفلاً سورياً (تتراوح أعمارهم بين ٩ و١٢ سنة) داخل مركز تربوي. هدفت حلقة العمل المؤلفة من ثماني جلسات إلى "إيجاد مساحةٍ آمنة للأطفال النازحين للتعبير عن مشاعرهم واحتياجاتهم ولتنمية إمكانياتهم". كما في الأعمال الميدانية الأخرى، تم تنظيم كل جلسة وفقاً لنماذج العلاج بالمسرح والدائرة المعقدة والتجسيد والإسقاط والدور (EPR)، وتمّ التوسّع فيها وفقاً لخمس خطوات تدريجية: التواصل/العقد، التحمية، النشاط الرئيسي، التهدئة/الملاحظات والختام. ركّزت الجلسة السابعة على تحسين الثقة بالنفس والتفكير الإيجابي لدى الأطفال، فيما قام المشاركون خلال الجلسة الأخيرة بنشاط لعب أدوار متعلّق بقصة.

ركّزت أطروحة محفوظ حول "تحويل النزاعات مع أطفال سوريين ولبنانيين باستخدام التجسيد والإسقاط والدور (EPR)" على التمييز بين الأطفال وتمّ التوسع فيها وفقاً للبنية التالية: مرحلة تقييم في البداية (اختبار سابق مع استمارات للأهل وأسئلة للأطفال) وتدخّل مدّته ستة أيام، إضافةً إلى يومين للبروفات والاستعراض النهائي بحضور الأهل. ضمّ العمل الميداني إثني عشر طفلاً (تتراوح أعمارهم بين ١٠ و١٣ سنة) نصف لبنانيين (أربعة صبيان وفتاتين) ونصف سوريين (أربعة صبيان وفتاتين). تمحور التدخّل حول نموذج التجسيد والإسقاط والدور (EPR) الذي وضعته سو جينينغز: يومين من التركيز على التجسدي، ويومين على الإسقاط ويومين على لعب الأدوار. تدرّجت جلستا لعب الأدوار من تمارين لعب بسيطة، مثل قول جُمَلٍ تحمل مشاعر متنوّعة، إلى مشاهد لعب أدوار. خلال هذه النشاطات، تم خلط المجموعتين اللبنانية والسورية ومثّل الأطفال معاً عدة أدوار وقصص. في النهاية، كتب الميسّر والأطفال قصةً واحدة مع عدة شخصيات؛ ومن ثم صنع الأطفال دمية لكل شخصية، وقاموا بتمثيل القصة باستخدام الدمى بحضور أهلهم في المركز الاجتماعي. بعد العرض، تم عقد جلسة نهائية مع الأطفال تهدف إلى تبادل التحيات والمشاعر الأخيرة والى القيام باختبار لاحق للدورة (تقييم بواسطة استمارات).

داخل ملجأ صغي في دمشق، قام جلّو بوضع جلسات حلقة عمل ضمّت إثني عشر طفلاً من الإناث والذكور (تتروح أعمارهم بين ١١ و١٤ سنة). ركّز النشاط على عدائية الأطفال خلال محاولة تحويلها إلى موقف اجتماعي إيجابي. شكّلت حلقة العمل تحدياً كبيراً بسبب مقاومة الأطفال للنشاطات المتعلّقة بالمسرح وبسبب عدائية المجموعة تجاه إحدى المشاركات.

ركّز العمل الميداني الذي قام به مُعاوي والذي كان موجّهاً إلى لاجئين سوريين (تتروح أعمارهم بين ١١ و١٦ سنة) على تعزيز قدرتهم على الصمود بواسطة تمارين تهدف إلى التوعية على التعبير عن النفس وعلى المهارات، من ضمنها التجسيد والإسقاط والدور (EPR) وتمارين محددة من التدريب على المسرح الاجتماعي (تمارين تنفّس وتمارين الدخول في الدور والخروج منه).

من منظور تسوية النزاعات بين الأطفال (الذين تتروح أعمارهم بين ١١ و١٣ سنة)، أشار اقتراح مكرزل للعمل الميداني إلى تعليم الحوار ونظريات التعلّم، مع تركيز خاص على منهج فرير التربوي. تمّ التخطيط للنشاط بدقّة كي يُقسَمَ إلى ثلاثة أجزاء، واستهدف بناء المجموعات والتوعية على حقوق الطفل وتطوير مهارات الأطفال المتعلّقة بتسوية النزاعات. تم استخدام تقنيات التجسيد والإسقاط والدور (EPR) في الاقتراح، إضافةً إلى نقاشات وحوار داخل المجموعات.

٢,٦,٢. العمل الميداني مع الفتيات: العمل على مسائل متعلقة بالنوع الاجتماعي وعلى الاستقطاب

كان أحد الأعمال الميدانية الذي ضمّ ثلاث عشرة فتاة داخل مركز للاجئين مثيراً جداً للاهتمام.[١٣٩] نظّم خليل العمل الميداني على شكل خمس جلسات، مدّة كل جلسة ساعتين. ركّزت الجلسة الأولى على ألعاب تهدف إلى بناء الثقة والمجموعة وعلى العلاقة بين الفتيات باستخدام التجسيد. في هذه الجلسة، تمرّ نصّ العقد والقيام بتقييمٍ سابق مبتكر. هدفت الجلسة الثانية، من خلال مجموعةٍ من التمارين، إلى بناء المجموعة والى القيام بتمارين تعبير عن النفس وتواصل وتحمية. ركّزت الجلسة الثالثة على التجسيد والقليل من الإسقاط. عملت الجلسة الرابعة على تقديم والتضامن والتعبير عن المشاكل باستخدام الصور والإسقاط والقليل من لعب الأدوار. ارتكزت الجلسة الخامسة على لعب الأدوار والعمل على التضامن وحل المشاكل.

تميّزت الفتيات، اللواتي تتروح أعمارهن بين ١٤ و١٧ سنة، بالانتفال المبكر إلى سن البلوغ؛ نصف الفتيات كنّ متزوّجات، إثنتان منهنّ مطلّقتان، وفقط ستّ فتيات كنّ ما يزلن يذهبن إلى المدرسة. اجتمعت الفتيات على الحاجة إلى نقض العنف المبني على النوع الاجتماعي والى تنمية القدرة على استخدام مهارات حل المشاكل، واختلفن بسبب خلفيّاتهن الإثنية المختلفة – عربية وكردية – التي بسبب الاستقطاب الذي تخضع له، منعت تشكيل شبكات دعم بين الفتيات. هدف التدخل المبني على الفن إلى تلبية هذه الاحتياجات الأولية.[١٤٠] في الواقع، أدّى اقتراح نشاطات غير اعتيادية إلى استقطاب جديد ومن نوع آخر بين الفتيات بوجهٍ عام.

بشكل عام، كانت الجلسة جيّدة، لكنّ النشاط كان جديداً وغير اعتيادي بالنسبة إلى الفتيات. كان يمكن للجلسة أن تكون أفضل لو أن الباحث قلل من عدد النشاطات وأضاف بعض التسلية إليها، الأمر الذي من شأنه أن يكسر الحواجز ويسهّل الانخراط التدريجي. كان من الواضح أن الفتيات انقسمن إلى مجموعتين، ليس على أساس الاختلافات الإثنية أو الثقافية، بل أكثر على أساس الأهداف المتوقّعة من الجلسة (التوعية مقابل التسلية، إلخ.) وعلى أساس رفض أي سلوك خارج عن المألوف (ضحك مبالغ فيه). لم يكن هناك من رفضٍ أو انقسام على أساس الفرق في السنّ.[١٤١]

إضافةً إلى ذلك، ساعدت أشكال التعبير التقليدية، مثل الرقص التقليدي، كثيراً على تخطّي الاستقطاب،

---

١٣٩ "كان العمل داخل هذا المركز مثيراً جداً للاهتمام، بسبب عدد المشاكل التي كانت تواجهها هذه الفتيات وأنواعها. الأمر البارز كان وجود خمس فتيات تزوّجن بسنّ مبكر، اثنتين منهنّ مطلّقتين واثنين أخريتين زوجيهما تحت سن الثامنة عشر، وقد كان من الصعب جداً العمل عن قربٍ مع هؤلاء الفتيات بسبب العادات والتقاليد الاجتماعية التي تحكمهنّ، مما دفع بالبحث في اتجاه مختلف تماماً. سيتمرّ توضيح التغيير الذي طرأ على مسار هذا البحث حين أتناول موضوع المجموعة المستهدفة، وهذا الأمر أدى إلى تناول عدد من الأسئلة المتعلّقة بمدى ضعف فئة الفتيات المراهقات أمام الواقع الذي يعشنه داخل المركز، والضعف أمام الاستقطاب والتحيّزات والأحكام المسبقة التي تلعب دوراً أساسياً في بناء العلاقات الإنسانية" (خليل، ٢٠١٥).

١٤٠ "إنما من خلال العمل المعمّق داخل الملجأ، لاحظ الباحث وجود استقطاب وتحيز وأحكام مسبقة لعبت دوراً هاماً في العلاقات بين المقيمات، مما بدوره لعب دوراً أساسياً في علاقات الفتيات مع بعضهن وفي تفاقم مشاكلهن. بالتالي، بدأ الباحث بتغيير مسار عملة مع الفتيات، بدءاً من التحديات التي يواجهنها، من خلال خلق مساحة آمنة والعمل على بناء الثقة في ما بينهنّ، ومن ثم العمل على حلّ مشاكلهنّ من خلال مسرح الصورة" (المرجع نفسه).

١٤١ المرجع نفسه.

حيث أنها أعادت اقتراح نموذج تفاعلات جامع مألوف لدى الأكثرية.[١٤٢] سمحت الألعاب العلائقية للفتيات باستكشاف موضوع القيادة وساعدتهنّ على الاختلاط.[١٤٣] يمكن لعمليات الاستقطاب المرتبطة بالعنف المنظّم أن تتكشّف في أي لحظة. بالفعل، حين تمرّ نقل قسم من المشاركات إلى مجموعة أخرى، كان لهذه العملية وقع سلبي جديد على العلاقات داخل المجموعة.[١٤٤] إن تمثيل هذه الحالة وغيرها من الحالات من خلال الجسد ومن ثم مناقشتها لاحقاً، من خلال مسرح الصورة مثلاً، سمح ببناء المجموعة بشكل تدريجي وببناء اعتراف متبادل بين كل المشاركات.

٢,٦,٣. العمل الميداني مع النساء: دعم التواصل بين النساء والحوار المتعدد الثقافات

وصف الطلاب عدة أسباب لاختيارهم النساء هدفاً لأعمالهم الميدانية، من ضمنها الخسائر التي مُنين بها، وحقيقة أن طريقة تعامل المرأة مع الخسارة تؤثر عليها وعلى كل العائلة أيضاً. بحسب الطلاب، من شأن نواحٍ للاعتبار الثقافية والاجتماعية أن تزيد من ألم المرأة:

> قد تكون نظرة المجتمع إلى هذه النساء، بغض النظر عن قصصهن المختلفة، أحد أهم المشاكل التي لاحظناها خلال هذه الجلسة. إن المجتمع ككل، أو ربما مجتمعنا الشرقي عموماً والسوري خصوصاً، ينظر إلى المرأة التي فقدت معيلاً أو عزيزاً على أنها شخص لم يعد يملك معيلاً أو حامياً، أي امرأة يمكن لأي شخص أن يحصل عليها. هذا الأمر يضع على المرأة ضغطاً أكبر من الحزن الذي تشعر به في الأساس. [...]١٤٥

عند النزوح، تعاني النساء من تغيير كبير يصيب حياتهن اليومية: أدوار جديدة ومهارات جديدة تُفرض عليهنّ؛ غالباً ما يُتركن وحيدات – وقد يكون هذا وضعٌ جديد جداً في ثقافة أبوية كالثقافة الريفية السورية – ويُرغمن على العمل في وظائف تفرض عليهنّ التعاطي في أماكن عامة مع أشخاص من خارج محيطهنّ القريب. ظروف الحياة الجديدة هذه تؤثّر عليهنّ عاطفياً وخصوصاً اجتماعيا: سوف يُرغمن على بدء حياة اجتماعية جديدة قد يصادفن خلالها مشاعر سلبية وغموض.

---

١٤٢ "هذا الجوّ المشحون تبدد حين بدأت الجلسة، خاصةً بعد القيام بنشاط الرقص بطلب من الفتيات، مما كسر الكثير من الحواجز، خاصة مع الفتاة التي رفضت الدخول في بدء الجلسة والتي عبرّت في الجلسة الأولى خلال الاختبار السابق للجلسة حول الثقة، أنها لا تثق بأي من الفتيات وأنها تشعر بأنها منبوذة من قبلهنّ. هنا، قامت الفتيات بتشجيعها لأنها كانت موهوبة، وعزّزن من ثقتها بنفسها حين طلبن منها أن تعلّمهن الرقص على طريقتها" (المرجع نفسه).

١٤٣ "عبرّت معظم الفتيات عن عدم قدرتهنّ على السيطرة على حياتهنّ من خلال تمرين التنويم المغنطيسي الكولومبي الذي سمح لهنّ باختبار الشعور بالسيطرة والقوة، وكان هذا أحد المواضيع الذي قرّب في ما بينهنّ" (المرجع نفسه).

١٤٤ "في نهاية هذه الجلسة، بعثت الفتيات برسائل متناقضة، إذ بدون حزينات لأن إحداهنّ قد تغادر الملجأ كجزء من حركات التنقّل الروتينية، وفي الوقت نفسه، بدت بعض المواقف التي برزت خلال الجلسة متناقضة مع التضامن الذي أظهرته الفتيات في البداية. هنا، ربما تكشف البنية العميقة عن نفسها مشيرةً إلى نمطٍ متجذّر من العلاقات لا يعيه الأشخاص المتضررون، على الرغم من أثره الواسع النطاق والمستدام على السلوك الاجتماعي" (المرجع نفسه).

١٤٥ المرجع نفسه.

هدفت الأعمال الميدانية المبنية على الفن إلى "تحويل المشكلة المعقدة للتغيّر الذي يطرأ على هوية المرأة إلى عامل إيجابي من شأنه حتى أن يساهم في تسوية نزاع في مجتمع محلي محدد".[١٤٦] يمكن للمجموعات المؤلفة من نساء أن تصبح عوامل تغيير فاعلة داخل مجتمعاتها المحلية عبر إيجاد نقاط تلاقٍ وتقارب؛ بالتالي، يمكن لهؤلاء النساء أن يحوّلن نزاعاً قائماً أو أن يخففن من وطأة نزاع مستقبلي.

من جهةٍ أخرى، كما تقول فندي في أطروحتها:

> قد يكون التدخل لمساعدة شخص على فهم التغيّرات التي تطرأ على شخصيّته أو شخصيّتها طريقةً لدعم هذا الشخص عبر تعزيز قدراته كي يكون عضواً فعالاً داخل مجتمعه. إضافةً إلى ذلك، سيساعد التدخل هذا الفرد على إدراك أن هذا التغيّر طبيعي وأنه قد يكون أمراً إيجابياً من حيث تفاعل هذه الهوية الجديدة مع الآخرين، [...] إن الفرد هو أكثر شخص مؤهّل لإدراك حجم المعاناة لأنه هو من مرّ بها.١٤٧

إن العمل على التعرّف على نقاط القوة الفردية على المستويين العاطفي والمعرفي من خلال التدخلات المبنية على الفن مهمٌّ في مجتمع حيث حتى تجربة الخسارة لها معانٍ اجتماعية محددة.

> إن المجتمع هو أهم عامل بالنسبة للمرأة التي مُنيت بخسارةٍ ما، إذ أن المجتمع هو من يحدد ما إذا كانت المرأة تستحقّ هذا التقدير وما إذا كان يحقّ لها بأن تُظهر حزنها. إن التفرقة الاجتماعية بين النساء اللواتي مُنين بخسارة، والمتعلّقة بأسباب سياسية، قد تشعل نزاعاً من نوعٍ آخر، نزاعاً ينبغي اجتنابه ووضع حدٍّ له في المهد.

> لذلك، فإن التغيّر الذي يطرأ على الهوية بسبب الخسارة هو سيف ذو حدّين: هي إما خسارة يقدّرها المجتمع وتؤدي إلى التعاطف الذي من شأنه أن يؤثر بشكل إيجابي على الهوية الجديدة للمرأة، فيجعلها أحياناً فاعلةً أكثر داخل مجتمعها، وإما خسارة لا يقدّرها المجتمع، بل يعتبرها لوماً أو خطيئة تغدق كرهاً ووصمةً على الهوية الجديدة.١٤٨

ثلاثة أعمال ميدانية تستهدف المرأة مثيرة للاهتمام من حيث نقاط تركيزها المختلفة: (أ) تقييم التغيير الذي أحدثته خسائر الحرب على الهوية والعمل عليه؛[١٤٩] (ب) استخدام نشاطات الدعم النفسي الاجتماعي المبنية على نموذج الدائرة المعقدة لإعادة حسّ بالرفاه إلى النساء السوريات؛[١٥٠] و(ت) تعزيز الحوار والترابط الاجتماعي بين النساء اللبنانيات والسوريات داخل مركز موارد.[١٥١]

تألف العمل الميداني الذي قامت به فندي من حلقة عمل مؤلفة من ستّ جلسات، وضمّت تسع نساء

---

١٤٦ فندي، ٢٠١٥.
١٤٧ المرجع نفسه.
١٤٨ المرجع نفسه.
١٤٩ فندي، ٢٠١٥.
١٥٠ خوري، ٢٠١٥.
١٥١ حسين، ٢٠١٥.

(تتراوح أعمارهن بين ١٨ و٥٠ سنة)، مُنين بخسارة شخص عزيز ومهم في حياتهنّ. هدفت حلقة العمل إلى تمكين النساء من التعبير عن مشاعرهنّ وإدراك التغيّر الذي طرأ على هويتهنّ وتعزيز نقاط قوّتهم الشخصية والدعم المتبادل. لعب التفاعل الكلامي والكتابة في حلقات العمل هذه دوراً أقوى من الدور الذي لعباه في حلقات العمل مع الأطفال. خلال المرحلة الأولى (من الجلسة الأولى وحتى الجلسة الثالثة)، انصب الاهتمام على إخراج المشاعر والتجارب. ركّزت الجلسة الثانية على رواية قصص عن أحباء فقدنهم وعن أنفسهنّ في الوقت الحالي، مما شجّع على قيام تفاعلات كلامية أكثر داخل المجموعة. تمّ تخصيص الجلسة الثالثة لرواية القصص، مع التركيز على شخصيات من الروايات الشهيرة والتقليدية المتّصلة بحياة هؤلاء النساء في الحاضر.

بعد هذه الجلسات، قامت فندي بتغيير خطة حلقة العمل – الانتقال من رواية قصص عن الخسارة إلى تقييم التجارب الإيجابية في الحاضر – من خلال التركيز على المهارات التي كانت النساء يستخدمنها في حياتهن اليومية: من هذا المنظور، تم القيام بتمرين شجرة الحياة.[١٥٢] خلال الجلسات اللاحقة، روت النساء قصصاً عن النواحي الإيجابية لحياتهنّ؛ اقترح الميسّر تمارين استرخاء لدعمهنّ. أخيراً، في المرحلة الأخيرة، انتقلت حلقة العمل إلى رواية قصص عن المهارات والأحلام بواسطة الجسد، وقامت المشاركات بتبادل الأفكار والاقتراحات لتحقيق الرغبات الشخصية. في الجلسة الأخيرة، ناقشت المشاركات سبل مساهمتهنّ في حل النزاعات داخل مجتمعاتهن المحلية وقمن أخيراً بكتابة رسائل إلى أشخاص من المجتمع المحلي. في النشاط الختامي، ركّزت كل مشتركة على بطاقة الهويّة الخاصة بها والتي تذكر المهارات الكثيرة التي تملكها في الحاضر.

كان الهدف من العمل الميداني الذي قام به خوري التأثير على الرفاه: ضمّت حلقات العمل ثماني نساء في العشرينات والثلاثينات من عمرهنّ من مستوطنة الحيّ الغربي غير الرسمية في بيروت، لبنان. ركّزت الجلسات الأسبوعية الثلاث عشرة على تعزيز الحس بالأمان والأمن لدى السيدات، إذ أن تلك كانت الحاجة الأكثر إلحاحاً بالنسبة إليهنّ. تألف المشروع من إثنتي عشر جلسة مدّة كل جلسة ساعة ونصف الساعة، إضافةً إلى نصف يوم تمرّ قضاؤه في الطبيعة والى حدث منتدى مسرحي ختامي. تمّ عقد الجلسات في مركز التحدّي للتعليم داخل الغرفة المتعددة الاستخدامات. أشار تطبيق النشاطات إلى تعاليم برنامج الماجستير، مع إشارة خاصة إلى نموذج الدائرة المعقّدة (CCM) ونموذج التجسيد والإسقاط والدور (EPR) ومسرح المضطهدين. لجأ خوري إلى النشاطات الجسدية أكثر مما فعلته فندي في عملها الميداني.

استهدف العمل الميداني لحسين إثنتي عشر امرأة (تتراوح أعمارهن بين ٢٠ و٣٠ سنة)، ستّ لبنانيات وستّ سوريات ناجيات من العنف المبني على النوع الاجتماعي، ينتمين إلى مذاهب وانتماءات سياسية مختلفة. كان الهدف الأساسي لحلقة العمل البحث عن أرضية مشتركة لبناء ثقة متبادلة و"السعي إلى دعم هوية

١٥٢ "يرتكز على آلية تسمح للمستفيد بتقدير الخصائص المتأصلة عبر ذكر جذور العائلة أو الأماكن ومدى تعلّق الفرد بأرضه وتاريخه. تلك هي إحدى المهام الرئيسية التي تساعد على رفع الحس بالنفس وبالقيمة قبل التركيز على كل الأحداث الإيجابية التي جرت في حياة المستفيد وعلى الأشخاص الذين أثروا بشكل إيجابي على هويّتها وعلى تشكيل شخصيّتها، إضافةً إلى الأشخاص الذين يدعمونها حالياً مادياً ومعنوياً، مما قد يساعد على رفع الثقة بالنفس والنظر بشكل إيجابي إلى قدراتها وإمكانياتها التي قد نتمكّن من الاستفادة منها بعد أن كانت المشاعر السلبية قد سيطرت على الأجواء لمدة من الزمن"

فائقة يمكنها استيعاب التقسيمات القائمة على الهوية والسمو فوقها."[١٥٣] اتبع تطبيق حلقة العمل تعاليم برنامج الماجستير، مع إشارة إلى نموذج الدائرة المعقّدة (CCM) ونموذج التجسيد والإسقاط والدور (EPR) ومسرح الصورة. إشارة خاصة إلى استخدام التشابيه والاستعارات تضمّنت دعوة المشاركات إلى إيجاد تشبيه أو استعارة تصف كامل عملية حلقة العمل. اختارت المشاركات استعارة "عقد اللؤلؤ" وقمن بإضافة حبّات من اللؤلؤ إليه عند نهاية كل جلسة: مثّلت حبات اللؤلؤ درجة الارتياح وعدد الأفكار التي خرجن بها من كل جلسة.

٢,٧. الجوانب المحورية للتدخل المبني على المسرح الاجتماعي مع مضيفين لبنانيين ولاجئين سوريين

إن الأعمال الميدانية التي قام بها طلاب الماجستير هي تجارب ريادية في تطبيق أطر تدخّل المسرح الاجتماعي في الدعم النفسي الاجتماعي على مجموعة متنوعة من الشعوب المستهدفة داخل الجمهورية العربية السورية ولبنان. تمت مناقشة معظم الأعمال الميدانية بشكل دقيق في الأطروحات نفسها، واستفاد بعض الطلاب من النواحي الإيجابية والسلبية للعمل الميداني لمراجعة تصميم الأطروحات أو لتطوير تصميمها.

يمكن تسليط الضوء على بعض النواحي الأساسية لنشاط المسرح الاجتماعي في استنتاجات الطلاب واعتباراتهم النقدية، وقد يفيد هذا الأمر في تطبيق أفضل الممارسات في نفس السياقات أو حتى في سياقات مماثلة.

مواءمة النموذج الثقافي للمسرح الاجتماعي وتطبيقاته مع السياق الثقافي الخاص. كان الطلاب على دراية بالتحديات الثقافية الخاصة التي ستواجه نموذج التدخل المبني على الفن الذي يستخدمونه. بما أن كل التقنيات والنُهُج التي يتمّ تعليمها في برنامج الماجستير مصدرها الثقافة الأوروبية الغربية، تمّ التركيز بشكل خاص على مواءمة هذه التقنيات والنُهُج مع السياقات الثقافية المختلفة في ما يتعلّق بالعلاقة مع الجسد، والعلاقة بين الفرد والمجموعة، والإشارة إلى الطرق الإبداعية. في سياقات محددة، اقتضى هذا الأمر تقليص بُعد التواصل الجسدي بين الصبيان والفتيات حيث كان هناك إخوة وأخوات ولم يسمح الإخوة لأخواتهن بلمس أحد أو بأن يلمسهنّ أحدٌ؛[١٥٤] أو عموماً، قضى الانسجام الثقافي الطبيعي بين والمدرّب والمشاركين بأن يتمّ وضع أهمية أكبر على بُعد السرد الشفوي.

تقييم دقيق للاحتياجات. يتمّ هذا النشاط الجوهري مع كلٍّ من مقدمي الرعاية المباشرين وغير المباشرين للأطفال – الممثلين عن المراكز التي ينشطون فيها والوالدين والأقارب – ومع الأطفال نفسهم. هذا التقييم

١٥٣ حسين، ٢٠١٥.

١٥٤ الديراني، ٢٠١٥.

يوضح طريقة كيفية المضي في التصميم العام وفي الاختيارات التقنية الخاصة (وهي ناحية لم يطوّرها الطلاب كثيراً). تنوّعت الأدوات التي تمّ استخدامها مع المجموعات المستهدفة بين استخدام الاستمارات والقيام بمقابلات ومجموعات تركيز مع الكبار والقيام بعمليات رصد مباشرة للأطفال خلال نشاطاتهم الترفيهية المعتادة وطرح أسئلة عليهم والرسم معهم. تجاوب الأطفال بشكل إيجابي خاصة مع الأدوات التي لم تتطلّب الكتابة والتي لم تعنِ طلب الكثير من المعلومات.

بناء مساحة آمنة. وهو الأمر المرغوب جداً، والذي يضمنه المدرّب من خلال البحث عن مساحة مناسبة للنشاط – وهو عامل يصعب جداً تأمينه بسبب الطبيعة المعقدة لإيجاد أماكن منفصلة من حيث البناء ومخصصة لهذا الغرض – وفي الوقت نفسه مكرّسة لنصّ العقد، الأمر المهم جداً على المستوى التعليمي. يُطلب من الأطفال أن يقوموا سويةً – من خلال النقاش الشفوي والألعاب – بتحديد قواعد العيش معاً بطريقة سليمة بناءً على احترام المساحة والوقت والآخرين. إن ذكر هذه القواعد بوضوح عند بداية النشاطات يشكّل باكورة عملية التنشئة الاجتماعية، في ما خص الاختلافات، ويمنح الأطفال والشباب دوراً فاعلاً في بناء طريقة القيام بالنشاطات معاً، وبالتالي يطوّر حساً أوّلياً بملكية العملية. من ناحية المدربين، إن الاهتمام بالانضباط – والمرتبط ربما بنموذج ثقافة تربوية تقليدية - والخوف من إعطاء الأطفال الكثير من حرية التحرّك، لا ينفيان قيمة عملية نص القواعد هذه، التي غالباً ما يعود إليها المؤلفون على امتداد الجلسات الأولى والتي يشير إليها الأطفال شيئاً فشيئاً، موبّخين بعضهم البعض من تلقاء نفسهم وطالبين من بعضهم البعض إتّباعها. في بعض الحالات، تصبح هذه القواعد مستوعبة لدرجة أن الأطفال يبدأون باستحضارها حتى مع البالغين الذين يقومون أحياناً بمقاطعة النشاطات أو بالتشويش عليها. يمكن أيضاً بناء مساحة آمنة بطريقة فعالة من خلال العمل على تهيئة بيئة عاطفية خلال مراحل التحمية، مما يذكّر بالبُعد العائلي.[١٥٥] في هذه الحالات، تتضمن نشاطات التحمية محتوىً تجريبياً كبيراً، وتعطي صورةً عن الاحتياجات التي يجب تلبيتها خلال النشاط الأساسي. إن الإشارة الخاصة إلى الوطن – وهو موضوع جوهري في هوية اللاجئين[١٥٦] - تثير تناقضاً عاطفياً بين الحنين إلى الماضي والخوف وشعور بالدفء، يمكن، ما أن يظهر، أن تتمّ بلورته من خلال نشاطات متعاقبة تلتقط النبرة العاطفية (السخرية، الضحك وغيرهما) التي يستخدمها الأطفال للتحدّث عن تجاربهم.

١٥٥ "(تحمية قبل البدء بالنشاط الرئيسي)، ومن ثم طلب الميسر من الأطفال أن يبحثوا عن غرض أو مادة شبيهة ببيئتهم الأصلية أو بمكان انتمائهم بهدف خلق مساحة آمنة لهم. جلب الأطفال أشياء متنوعة: أوراق شجر، حجارة، وجلب البعض تراباً. أخبر كل طفل رواية متعلّقة بالغرض الذي اختاره. الأمر البارز كان وجود روايات مشتركة ي الغالبية، إذ أن الأغراض التي اختاروها هي أغراض تذكّرهم بالوطن وبالأماكن التي كانوا يلعبون فيها. طفل واحد فقط جلب غرضاً مختلفاً يذكّره بوالده، وقد كان ذلك قضيباً خشبياً، وفيما كان يخبر قصّته، قال ضاحكاً: "أذكر أن والدي كان يحمل هذا القضيب ليضربني". بعد هذه الكلمات، بدأ معظم الأولاد برواية ذكريات مشابهة، ضاحكين وساخرين. قال بعضهم: "كانت أمي تضربني كلما فتحت الثلاجة لآكل، لذا صرت آكل خفيةً عنها (ضحكة قوية)". البعض قال: "كانت أمي تضربني حين كانت تكون غاضبة، دون أي سبب، لكنني أحبّها على الرغم من ذلك". وبدأ البعض يتذكّر برامج تلفزيونية للأطفال، وهم الأصغر سناً داخل المجموعة. (من هنا، وجّه الميسر عمله بطريقة من شأنها أن تساعده على معرفة المزيد عن بيوت هؤلاء الأطفال وعائلاتهم). بالتالي، تبادل الأطفال قصصهم وتجاربهم الشخصية مما عزز الثقة في ما بينهم وساهم في خلق مساحة آمنة تسمح للأطفال بالتعبير عن أنفسهم" (الديراني، ٢٠١٥)

١٥٦ بابادوبولوس، ٢٠٠٢.

البُعد المَرِح. في المسرح الاجتماعي، يُعتبر البُعد المرِح، من وجهة نظر واحدة، مساراً منهجياً يمهّد لنشاطات أخرى، ومن المهم المحافظة عليه كمستوى من العمل طوال عملية تطوّر الاقتراحات الخلاقة. إن التدخلات المبنية على الفن ملائمة للدعم النفسي الاجتماعي لدى الأطفال بعدة طرق، إنما بشكل أساسي لأنها قادرة على الوصول إلى الطفل بواسطة طرق مألوفة في سن الطفولة – اللعب. درست المؤلفات الأدبية بالتفصيل الدور الرئيسي الذي يلعبه اللعب في النمو النفسي الاجتماعي والمعرفي لدى الأطفال، كما ذكرنا في الفصل الأول، وتركّز الأبحاث الأخيرة على الدور البالغ الأهمية للعب لدى الأطفال اللاجئين، مع إيلاء اهتمام خاص بالحرب السورية.[١٥٧] ركّزت كل الأعمال الميدانية، المراعية جداً للبعد التعليمي والتربوي، بشكل واضح على تقديم تجربة مرحة. لطالما شدد الطلاب على البعد غير الإلزامي للنشاطات المقترحة – تاركين للمشاركين حرية اختيار المشاركة بالكامل في هذه النشاطات أو الاكتفاء بالمشاهدة، أو حتى سامحين لمن يرغب من المشاركين بمغادرة حلقة العمل والعودة في وقت لاحق. لم يتمّ التشديد على الناحية الأدائية لنتائج النشاطات عند تقييمها، لا من حيث الملاءمة ولا من حيث الجماليات. عند تناول مواضيع حساسة خلال لعب الأدوار أو في مسرح المنبر، كان يتمّ التشديد على البُعد المرح: تم التشديد على فكرة استكشاف بدائل للإجراءات الاعتيادية، إضافةً إلى إيجاد حلول تنفيذية، وبالتالي الاعتماد على المخيلة وعلى المرح. من التجارب المثيرة للاهتمام، الرحلة التي ضمّت مشاركات وأطفالهنّ في العمل الميداني لخوري. على الرغم من أنه ليس نشاطاً خلاقاً من حيث التقنيات المستخدمة، إلا أنه فعلاً أمّن إطاراً حراً وخلاقاً للتواصل وكان قيّماً جداً بالنسبة إلى النساء اللواتي لديهن أطفالاً واللّواتي حُرمن من التمتّع بالأماكن الهادئة وبالجلسات الاجتماعية.

التواصل داخل المجموعة والتعاون داخل المجموعة. إن بناء التواصل داخل المجموعة أمر أساسي في التدخلات بواسطة المسرح الاجتماعي. هو جزء من البناء الأوسع للمجموعة الذي يسعى إليه نموذج الدائرة المعقدة من خلال تعميم الاختلافات بين المشاركين. ركّزت تدخلات العديد من الطلاب على تعزيز التواصل داخل المجموعة من خلال المشاركة الشفوية للمشاعر وللتجارب وللاحتياجات. بيد أن أهم التحسّنات نتجت عن نشاطات التحمية (مثل نشاطات تدريب بوال ونشاطات الطبخ عند النساء[١٥٨]) أو أحياناً خلال النشاطات غير الرسمية للمجموعة (مثل لعب كرة القدم عند الأطفال): إن القيام بشيء أو تحضير شيء معاً باستخدام الجسد عزز تحسين التواصل غير الشفوي داخل المجموعة، الأمر الذي برهن عن قيمة كبيرة للتواصل داخل المجموعة. في ما يتعلّق بالتعاون داخل المجموعة، إن التجارب الأكثر فعالية هي تلك التي تضمّنت مشاركين قاموا بإنتاج شيء يخصّهم جميعهم؛ حقق مسرح المنبر والتحضير للعرض النهائي نتائج ممتازة لدى كل من الصغار والكبار.

---

١٥٧ كوك، ٢٠١٧.

١٥٨ عند العمل مع النساء، يمكن لنشاطات التحمية أن تأخذ أشكالاً غير اعتيادية، إنما من شأنها أن تكون فعّالةً جداً بالإشارة إلى المهارات النسائية بامتياز كما اختبرت فندي. "بدأت الجلسة بحوار بسيط حول مهاراتهن في الطبخ والمطبخ. قامت كل امرأة بتحضير نوع من أنواع الحلويات، ومن ثم بدأن بالتنافس لمعرفة من يمكنها تحضير أطيب بسكويت. في المطبخ، أظهرت المستفيدات نواحٍ أخرى لشخصيّتهن قد تكون مهمة لإدراكهن لهوياتهن كأمهات وأخوات وبنات. عرضت كل امرأة طريقة لتحضير البسكويت، كلٌّ بحسب ثقافتها والمقادير، التي اختلفت باختلاف البيئة والمنطقة التي تأتي منها. كانت هذه مساحتهنّ الآمنة، وقد برزت هذه الملاحظة حين بدأت كل واحدة منهنّ بذكر المنطقة التي تأتي منها وانتماءها الديني والطائفي بمرح ومع حس من الفكاهة. توصّلت المستفيدات أخيراً إلى اتفاق حول مكوّنات عجينة البسكويت، ثم وضعنها داخل الفرن وانتظرن لتذوّقها." (فندي، ٢٠١٥)

الإسقاط والعواطف. تستخدم كل التدخلات بشكل عام نشاطات الإسقاط والتقنيات المختلفة المتعلّقة به – من الرسم إلى صناعة الأغراض ورواية القصص. تسمح هذه النشاطات بجمع الكثير من المعلومات حول هوية المشاركين واحتياجاتهم في بداية كل تدخّل، لكنها في الوقت نفسه دقيقةٌ وحساسةٌ جداً بسبب العواطف التي من شأنها أن تثيرها على المستوى الفردي، ولأنها قد لا تخلق ولا تشكّل نظام علاقات وتقبّل داخل المجموعة. كما مع الأطفال، كذلك مع البالغين من المهم جداً أن تسبق نشاطَ الإسقاط عمليةُ بناء ثقة متينة داخل المجموعة وعملية تنشيط فعالة لتصوّر ذاتي وإدراك للقدرات الشخصية إيجابيين. بسبب هذه الاعتبارات، قام الطلاب بإعادة تصميم تدخلاتهم ووازنوا في ما بين نشاطات الإسقاط والألعاب الجسدية والعلائقية، مما نقل المشاركين إلى بيئة عاطفية إيجابية وسمح بالتنفيس عن العواطف.[١٥٩] يُعتبر كل نشاط، حتى نشاطات الإسقاط، جزءاً من عملية تنتج باستمرار تجارباً إيجابية وتنمّي موارد التكيّف.

رواية القصص ولعب الأدوار. هذه هي الاقتراحات الخلاقة التي أثبتت فعالية أكبر، إذ أنها تسمح لكل من الصغار والكبار بالإسقاط خارجاً، إضافةً إلى إعطاء شكلٍ وطريقةٍ لبلورة تجاربهم. إن الأطفال والمراهقين الذين يظهرون مقاومةً لنشاطات الإسقاط التي تستخدم الرسم أو الكتابة أو بناء الأشياء، يشعرون دائماً بالارتياح حين يُطلب منهم أن يخبروا شفوياً، وخاصةً، أن يفسّروا الشخصيات في حكايات العلاج بالمسرح – الطفل الخفي[١٦٠] - التي تمّ اقتراحها في معظم الأعمال الميدانية.[١٦١] لا شك في أن الألفة مع السرد الشفوي

١٥٩ "ثم قام كل طفل بالتعريف عن دميته من خلف الستارة (العمر، الإسم، الحلم، من ساعدها على تحقيق حلمها، علاقتها بالشخص الذي صنعها) مما سمح له بإسقاط شيء من نفسه على هذه القصة. معظم القصص التي رواها الأطفال كانت تتعلّق بمنازلهم وذكرياتهم، وبالطيران والأسلحة. أحد الأمثلة ما قاله أحد الأطفال، بعد أن قام بالتعريف عن إسم دميته حلمي، قال: 'حلمي هو أن أصبح ضابطاً في الجيش كي أقتل كل من يدمّرون منازلنا، وأبي سوف يساعدني لأنّ عضلاته كبيرة'. معظم الأطفال لم يتمكّنوا من التعبير عن علاقتهم بالدمية. بعد رواية القصص، ازداد الاضطراب والعنف، خاصة حين بدأت الطفلة (أ) البالغة من العمر سبع سنوات، وهي أصغر الأطفال، بضرب الجميع بطريقة غريبة (لم نتمكن من السيطرة على تصرفاتها، لذا سألناها إن كانت تودّ الخروج للعب في المنتزه المجاور فوافقت، فطلبنا من أحد المساعدين في المركز اصطحابها إلى الحديقة واللعب معها كي نتمكّن من إكمال النهار. تم اختيار القصة لتحفيز مخيّلة الأطفال، خاصة إذا كان بداخلهم عنف؛ من خلال القصة ووجود عنف داخل أحداثها مما من شأنه أن يحرّك شعوراً بالرغبة بالتعبير. اختار بعضهم الجلوس بعيداً وعدم التفوّه بكلمة ورفضوا البدء بصنع منزل للدمية (سألناهم إن كانوا يودّون مساعدتنا، أو إذا كانوا يفضّلون صنع المنزل؛ كان جوابهم أنهم ليسوا مسرورين وأنهم يريدون البقاء في مكانهم. من ثم قام الأطفال بتصميم مجتمع صغير باستخدام المنازل وكان هذا المجتمع شبيهاً بالمجتمع الذي يعيشون داخله، ثم وضعوا الدمية والمنزل في المكان الذي يناسبهم داخل هذا المجتمع، مما عكس موقعهم في المجتمع الذي يعيشون داخله. من ثم قام الأطفال بالتعبير عن مشاعرهم، والأمر المثير للاهتمام هو الرغبة القوية للأطفال في التعبير بالكلمات، فيما جلسوا بهدوء وأصغوا إلى كل طفل. بعد ذلك، لعبنا كرة السلة عن بُعد (هذه اللعبة كانت استجابة لسلوك الأطفال حين بدأوا برمي المعجون، لذا أردنا أن نلبّي هذه الرغبة من خلال تحويلها إلى لعبة)" (الديراني، ٢٠١٥).

١٦٠ جينينغز، ٢٠٠٩.

١٦١ "ظهر الدور خلال الجلسات الأخيرة بشكل أوضح؛ لعب الأطفال أدواراً وجسّدوا شخصيات مختلفة عن شخصياتهم الأصلية (دور الأب، دور الأم...). يجدر بالذكر أن الأطفال الذين لعبوا دور أطفال في المسرحية أظهروا شخصية جديدة وسلوكاً جديداً. الفتيات اللواتي لعبن أدوار أطفال عائلة الغابة قاموا بتوجيه التمييز والعنف ضد الطفل الخفي وعبّروا عن الوضع تماماً كما تعرّضن له. في المسرحية، كان هناك ثلاثة سيناريوهات للطفل الخفي (اختفى بسبب الحرب، اختفى بسبب الضرب، اختفى لأنه تعرّض للتحرّش). إن الطفل الذي لعب دور الوالد هو الطفل نفسه الذي وضع والده داخل كيس الأشياء التي تقلقني" (حج حسن، ٢٠١٥).

والقصص هو من خصائص الثقافة العربية؛[١٦٢] في الواقع، إن السرد – على عكس غيره من الأشكال التعبيرية – هو منهج متعدد الثقافات تستدعيه كل الثقافات بمستويات مختلفة، بدءاً من الميثولوجيا والقصص الخيالية. تسلّط الدراسات الضوء على النتائج الصحية الإيجابية لاستخدام السرد.[١٦٣] بشكل خاص، يقدّم السرد للأطفال مجموعة من الشخصيات التي يمكنهم استخدامها للعب أدوار عاطفية مختلفة عن الذات ونظاماً من الأدوار الاجتماعية التي يمكنهم استخدامها لمقارنة أنفسهم.[١٦٤] إن الدور الذي تلعبه السرديات في إعادة صياغة ذكريات الفرد قويٌّ جداً، حتى عندما تشير إلى لحظة مأساوية في حياته.[١٦٥] إن السرد تقنية قوية يجب إدارتها بعناية حين يُطلب من المشارك التركيز على العوامل السلبية في حياته.[١٦٦] نقطة أساسية في النشاطات مع النساء كانت في الواقع الانتقال من الإسقاط إلى لعب الأدوار. تعيش النساء البالغات اللواتي يستخدمن جسدهن دون كلمات لإخبار قصّتهن أو لتجسيد أفكارهنّ بُعداً أكثر مرحاً، وكأنّ بإمكانهنّ أن يكنّ أكثر حريةً وأكثر طفوليةً من خلال هذه اللغة الأقل تنسيقاً. بيد أن في الوقت نفسه، لعب الأدوار الذي يشير بشكل ملموس إلى مشاكل ملموسة ويركّز على إيجاد حلول حقيقية وضرورية في الحياة اليومية، يولّد حساً فورياً وقابلاً للاستهلاك بمنفعة اللعب والمرح. انطلاقاً من هنا، يبرز التزام متبادل أعظم، إن على مستوى الثقة التي تولد من التسلية المشتركة وإن على مستوى التفاعلية في ما يتعلّق بتبادل المساعدة وحل المشاكل.[١٦٧]

بالنسبة إلى كل المجموعات المستهدفة، كان المزج في ما بين اللعب أو لعب الأدوار والسرد مهماً جداً؛ هذا المرح يسمح للمشاركين بتحمّل أي عواطف سلبية قد تصحبها معها ذكرى ما. بالإضافة إلى ذلك، إن اللعب الذي ينشّط الجسم يحرر الطاقة والعواطف ويوازن البعد الأكثر جموداً للسرد الشفوي حيث يكون الجسد ثابتاً ويساهم بشكل صغير في القصة. إضافةً إلى ذلك أيضاً، سمح لعب الأدوار وتمثيل القصص

١٦٢ هيرزوغ، ٢٠١٢.

١٦٣ أنظر الفقرة ٣,٤ والحواشي التابعة لها.

١٦٤ كولومبو وإينوسينتي مالياني، ٢٠١٧.

١٦٥ "يعتمد التمرين في هذا النشاط الرئيسي على إخبار قصة قصيرة واستخدامها لتقليد شخصية يحببنها أو تمنين لو كنّ مكانها حين كنّ صغيرات. قصة قصيرة تتضمّن وصفاً لنهار كامل عاشته تلك المرأة قبل أن تخسر الشخص الذي خسرته. إحداهنّ اختارت أن تكون مذيعة أخبار (سمر) فيما فضّلت الأخرى أن تتحدّث بصيغة الغائب (سليمة). بدأت النساء برواية أحداث يوم كامل من أربع وعشرين ساعة حين كان الشخص الذي فقدنه لا يزال موجوداً. اختارت كل واحدة منهنّ شخصية لرواية الأحداث من خلالها. سيطرت على هذه الجلسة أجواء لطيفة ومرحة، على الرغم من أن الشخصية المشار إليها في القصة هي سبب مأساة هذه النساء، إنما من الجميل أن نقول إن استخدام هذه الطريقة لسرد الأحداث خفف من وطأة ذاكرتهم العاطفية" (فندي، ٢٠١٥).

١٦٦ "ما كان من المفروض أن يحدث خلال الجلسة الثالثة هو إخبار قصص عن الخسارة، لكننا لاحظنا أنه إذا قمنا بذلك قبل إعطاء المستفيدات جرعةً من الأمل والإيجابية، قد تتحول قصص الخسارة إلى عامل من شأنه زيادة السلبية. بالتالي، تم تغيير الخطة واعتماد نشاط يساعد المستفيدات على رؤية الجانب الإيجابي لهذا التغيير الذي طرأ على الهوية وعلى أهمّيتهنّ داخل المجتمع كأفراد عانين وتغلّبن على معاناتهنّ" (المرجع نفسه).

١٦٧ "بعد أن أظهرت كل المستفيدات مهاراتهن وإمكانياتهن، طلب إليهنّ أن يكتبن على ورقة الأشياء التي برأيهنّ من شأنها أن تساعد الأخريات على تحقيق أمنياتهنّ. وقفت كل واحدة منهنّ في وسط القاعة، الواحدة تلو الأخرى، وواجهت المستفيدة التي أرادت أن تقول لها ما يجب أن تقوم به لتحقيق حلمها. كما وأنّهن مثّلن الاقتراح أو الفكرة من خلال اللعبة (دون استخدام أي كلمة). سيطر المرح والضحك على أجواء الجلسة، لكنّ المستفيدات كنّ متفاجئات بسهولة الحلّ الذي من شأنه تحقيق أحلامهنّ" (المرجع نفسه).

للمشاركين القيام بعملية تجسيد تمرّ خلالها استخدام لغة الجسد والكلمات معاً. إن المقاومة الثقافية لتجسيد الألعاب استنادا إلى المخيّلة – والتي تبرز بشكل خاص في الأعمال الميدانية مع المراهقين – تمرّ تخطّيها من خلال اللجوء إلى تمثيل شخصيات حقيقية أو خيالية من القصص. تسمح الشخصيات بقيام لعبة تمزج بين التفسير الحر والمخيّلة والإشارات إلى الواقع، الأمر الذي من شأنه أن يكون أكثر فعالية مع الأطفال غير المعتادين على حرية كبيرة في استخدام الجسد.

تعزيز التواصل الخالي من العنف. لعلّ هذه الناحية هي الأهم التي تمرّ تطويرها في الأعمال الميدانية، خاصة نظراً للسياق المحدد للنزاع الذي أثر بشكل قوي على طرق التواصل وحتى على طريقة لعب الأطفال والشباب.[١٦٨] إن العدائية حاضرة غالباً إن في التعبير عن النفس وإن في طريقة تفاعل الأطفال داخل المجموعة، سواء بين المجموعات السورية أو بين المجموعات المؤلفة من سوريين ولبنانيين. تراوحت الأعمال الميدانية بين نموذج مسرح واستخدام تقنيات خاصة بالحوار وبناء السلام،[١٦٩] والتي يظهر أثرها بشكل واضح حين يتمرّ دمجها في ألعاب تعليمية وألعاب متعلّقة بالمسرح. يشجّع عنصر التسلية المرحِ إطلاق الطاقات وتخفيف التوتر العاطفي، فيما يلازم التعاون معظم الألعاب المتعلّقة بالمسرح. في بعض الحالات، يتمرّ توجيه العدائية نحو فرد من المجموعة يتم اعتباره كبش محرقة حتى داخل المجتمع المحلي. في هذه الحالات، تكون قدرةُ المدرّب على التدخّل وتعزيز التعميم التدريجي للاختلافات من خلال السرديات والألعاب ضروريةً لتخفيف العدائية وتعزيز عملية أولية لإزالة الوصمة.[١٧٠]

تعزيز تقبّل التنوّع. يبدو الوصول إلى هذا الهدف أسهلاً مع الأطفال، وعند توفّر المزيد من الوقت، مع المراهقين والنساء. لا يمكن التوصّل دائماً إلى التوفيق بين مجموعات من ثقافات مختلفة بواسطة التدخّل، إنما يمكن للنشاطات الخلاقة – والتي تتلازم مع مكوّنيّ اللعب والتعاون الفعّال - أن تخلق بُعداً من التقبّل داخل المجموعة.[١٧١] عند البالغين، أثبتت تقنيات مسرح الصورة ومسرح المنبر عن فعالية كبيرة في تعميم الاختلافات. وأثبت نموذج الدائرة المعقدة CCM عن ضرورته عند العمل مع النساء والبالغين: إن التنوّع متجذّر أكثر لدى البالغين وفي سياقات النزاعات، يكون الاستقطاب بين البالغين أقوى مما هو عليه بين الأطفال. إن استخدام نموذج مماثل كان أساسياً في نجاح العديد من التدخلات، إذ أن الهدف لم يكن فقط مساعدة النساء على تدعيم مهارات التكيّف لديهنّ والتأقلم مع وضعهنّ، إنما أيضاً خلق منبر يمكنهن من خلاله رفع الصوت رداً على الظروف القاسية والجائرة التي يواجهنها. برهن تمثيل مواقف حياتية إشكالية، كما في مسرح المنبر وغيره من تقنيات مسرح المضطهدين، عن فعالية خاصة في مختلف الأعمال الميدانية مع بالغين من النوعين الاجتماعيين. وقد انطبق ذلك بوجه خاص على المجتمعات المتعددة الثقافات التي تضم لاجئين سوريين ومضيفين لبنانيين في لبنان.[١٧٢] سمحت هذه النشاطات بتقديم مشاكل من الحياة

١٦٨ وسوف، ٢٠١٤.

١٦٩ مكرزل، ٢٠١٤.

١٧٠ جلّو، ٢٠١٤.

١٧١ محفوظ، ٢٠١٥.

١٧٢ أنظر العمل الميداني لقشور (٢٠١٥) الذي استهدف ١٦ شخصاً من الشباب (٨ لبنانيين و٨ سوريين تتراوح أعمارهم بين ١٦ و٢٥ سنة) الذين عملوا بهدف تخطّي الاستقطاب من خلال مسرح المنبر وحلقات الكتابة ومسرح الدمى ورواية القصص، والعمل الميداني الأكثر إشكالية لميريام بلحس (٢٠١٥)، التي طوّرت تدريباً مسرحياً مع ممثلين لبنانيين وفلسطينيين وسوريين.

اليومية وبتمثيلها، وتطلّبت من المشاركين اختبار حلول ممكنة لمشاكل يومية على خشبة المسرح. خلال هذه العملية، تمكّن المشاركون من اكتشاف أن نوايا الممثلين الواقفين على خشبة المسرح شبيهةٌ جداً أو متّصلة بنواياهم الخاصة، ومن تعميم وجهات نظر مختلفة بكل أمان، ومن اكتشاف أوجه شبه. كما وأنها حثّت أفراد المجموعة على وضع أنفسهم في مكان الآخرين، مما أطلق عملية تقبّل متبادل.

يلعب العرض النهائي أيضاً دوراً مهماً في تعزيز التجانس بين أفراد المجموعة، وهو أمر مطلوب للتعاون للوصول إلى هدف منتج يقع بين المسرحية والواقع. إن تمثيل العرض تحدٍّ ومسؤولية، إنه لحظة إثبات للذات وإثبات لهوية المجموعة: لكلّ شخص دوره، إنما العرض ملك للجميع.[١٧٣] هذا الأمر متجذّر في نموذج المسرح الاجتماعي الذي يقترح أن عبور المجموعة من التعبير الداخلي ومرحلة التمثيل إلى مرحلة إيصاله خارجياً عبر العرض هو أمر إلزامي.

٢,٨. توصيات إضافية حول التدخل المبني على المسرح في الدعم النفسي الاجتماعي

حصدت تدخلات طلاب الماجستير الخلاقة نتائج إيجابية جداً من حيث تحسين المهارات الشخصية للمشاركين وتعزيز التقبل الاجتماعي وتقبّل تعدد الثقافات لديهم. عند قراءة تجارب الأعمال الميدانية لطلاب الماجستير وقراءتهم النقدية الخاصة لهذه التجارب، تبرز بعض التوصيات المتعلقة بمقاربة اللاجئين بتدخلات مبدعة وبالتحديد تدخلات بواسطة المسرح.

٢,٨,١. النواحي البنيوية: الوقت، الفريق، المهارات

إنّ التجارب التي تم القيام بها كانت، بصفة عامة، بدايات إيجابية لعمليات تتطلّب تدخلات أطول وأكثر اندماجاً مع النظام العام للصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي. إن الوقت بالفعل عامل حاسم في عمليات الإحياء المعقدة. إن صلة النظام بأكمله بموارد رعاية طبية وتعليمية واجتماعية يدعم عملية التدخل المبدع لوحدها. إن التدخل كفريق متعدد التخصصات يجمع مهارات مسرحية صلبة، إضافة إلى مهارات نفسية اجتماعية وربما أنثروبولوجية، يسمح بإدارةٍ أكثر وعياً وأكثر فعالية للتدخل المبدع الذي يحشد عدة ديناميكيات شخصية وداخلية. يقدّم التدريب المشترك على التدخلات فوائد من خلال السماح بالأداء فيما نكون من الناحية العضوية منشطاً ومراقباً. إن إحدى أهم مهارات المدرّب هي المرونة.[١٧٤] أحياناً

١٧٣ المرجع نفسه.

١٧٤ "في الجلسة السادسة، تولّى فردان من المجموعة عملية التحمية. اقترحت فتاة من المجموعة أن يلعبوا لعبة الضوء الأحمر والضوء الأخضر (التماثيل). بعد أن وافقت المجموعة على اللعبة، فسّرت الفتاة طريقة اللعب وتولّت عملية القيادة. استجمع أحد الصبية قواه واقترح أن يلعبوا لعبة "بالتازار قال" من جديد. أيضاً، بعد أن وافقت المجموعة على اللعبة، أخذ المبادرة وبدأ اللعبة. [...] حتى دوري كميسّر تبدّل؛ لم أعد علة قمة الهرم. أصبحت تدريجياً ضمن الدائرة حيث كان الجميع يشاركون بطريقة تعاونية. هذا التغيير كان واضحاً في الجلسة السادسة حين أعرب مشاركان عن رغبتهما في لعب لعبتين (لعبة الضوء الأحمر والضوء الأخضر ولعبة "بالتازار قال"). رحّبت كل المجموعة بهذين الاقتراحين وقام أفراد المجموعة بتنفيذ مرحلة التحمية. إضافةً إلى ذلك،

يجب تعديل ما نصت عليه خطة عمل المدرب لأن المجموعة تتفاعل مع الاقتراحات بشكل غير متوقّع، وكما يحدث غالباً، تحتاج إلى وقت أطول لخوض التجربة العاطفية والعلائقية التي يقترحها التمرين كي تتمكن من الاستفادة منه. أكّد العديد من الطلاب أنه من الأفضل تقليص عدد التمارين وتخصيص وقت أطول لتطبيق كل تمرين بكل مراحله، وخصوصاً مرحلة جمع الملاحظات الشفوية وغير الشفوية التي يعطيها المشاركون خلال التمرين. هذا الأمر ينطبق بشكل كامل على الجلسات الأولية بالأخص، حيث يكون التغيير في وجهات النظر الذي تتطلبه النشاطات غير الاعتيادية كبيراً جداً. من الضروري أن يكون المدرب مرناً كي لا يفقد الاتصال مع المجموعة. إن الحوار مع المجموعة هو ما يوجّه تنظيم المحفزات الخلاقة في كل جلسة. أحياناً، في الواقع، يبدي الأطفال رغبة في لعب الكرة أكبر من رغبتهم في القيام بالنشاط المقترح؛ إن الاستجابة لهذا الاقتراح مفيد لمنع فقدان الاتصال مع احتياجات المجموعة في تلك اللحظة. يمكن استخدام التنفيس عن الاحتقان بواسطة اللعب البدني بشكل إيجابي للعودة بطاقةٍ ورغبةٍ مختلفتين إلى أنواع أخرى من النشاطات. في بعض الأحيان، يمكن للسياق أن يتدخّل بشكل غير متوقع ومهم ويبدّل خطة العمل. كما كانت الحال مع مجموعة من الفتيات اللواتي شاركن في نشاط أداره خليل في دمشق في مركز للاجئين، أثّر خبر نقل قسم من الأشخاص النازحين داخلياً إلى مركز آخر بشكل قوي على أجواء المشاركات اللواتي خشين أن يفقدن الاتصال مع أشخاص قريبين منهنّ، وأعاد استقطاب العلاقات بينهنّ، على الرغم من الشعور بالثقة الذي كان قد نما بينهن في الجلسات السابقة. في هذه الحالات، إن التعرف على احتياجات المشاركات ومنحها بعض المساحة وتصوّر نشاط جديد يرتكز على هذه الاحتياجات، من شأنه أن يبني المجموعة بطريقة أكثر عضوية.

٢,٨,٢. مبدأ أساسي واحد: استبدال التجارب السلبية بأخرى إيجابية

كما أوضحنا في الفصل الأول، تملك النشاطات المبدعة قيمةً مسلَّم بها في تعزيز الرفاه والرعاية الصحية، وفي إطار الدعم النفسي الاجتماعي، يمكنها المساهمة في عمليةٍ تعزز الرفاه والصحة بناءً على تمكين قدرات الصحة الفردية والجماعية وعلى خلق فرصٍ للصحة. بالتالي، فإن التركيز على استبدال التجارب السلبية بأخرى إيجابية هو المبدأ الأساسي العام لأي تدخّل مبدع. يمكن تحقيق هذا الشيء عبر التشديد على نقطتين: المرح ومواطن القوة.

إن **التسلية** خلال النشاطات أمر مهم جداً: يجب إشراك المشاركين في ألعاب وتمارين تنتمي إلى ثقافة اللعب التي تمرّ تناولها في الفقرة الأولى. إن التسلية خطوةٌ أساسية في التشجيع على النشاط وعلى الانفتاح على الآخرين.[١٧٥] في الواقع، في ثقافة البالغين، وخصوصاً في بعض الثقافات، يتمرّ النظر إلى اللعب بشكل مريب، كما لو أنه كان مصدر إلهاء عوضاً عن تجربة إنسانية مفيدة تسمح بالتعلّم والرفاه. أظهرت

أصبحت عملية التواصل بين الأطفال دائرية، أي أنّ كل شخص كان يتواصل مع الجميع وليس فقط مع الأشخاص الذين يعرفهم كما كان الوضع في البداية" (حج حسن، ٢٠١٥).

١٧٥ "بشكل عام، كانت الجلسة جيّدة، لكنّ النشاط كان جديداً وغير اعتيادي بالنسبة إلى الفتيات. كان يمكن للجلسة أن تكون أفضل لو أن الباحث قلل من عدد النشاطات وأضاف بعض التسلية إليها، الأمر الذي من شأنه أن يكسر الحواجز ويسهّل الانخراط التدريجي" (خليل، ٢٠١٥).

كل الأعمال الميدانية أنه حين انخرط المشاركون في نشاطات، وفي بيئة مرحة ومسلية، شعروا بتحسّن وشاركوا بمزيد من الاهتمام. إن اللجوء إلى ألعاب تهدف إلى **تقييم مواطن القوة**[١٧٦] **والمهارات الشخصية** هو الطريقة المناسبة للحفاظ على موقف إيجابي بحقّ داخل النشاط. هذا الأمر لا يعني تجاهل وجود معاناة، إنما تحويل المشاركين بشكل مستمر نحو استخدام مواردهم الخاصة وبالتالي إدراكها. من الأسهل على الشخص أن يكتشف موارده الشخصية من خلال النشاطات المبدعة، حيث أن هذه النشاطات لا ترتكز على إدراكه المنطقي.

يجب اعتبار بعض النواحي المعيّنة من المسرح الاجتماعي لبناء تجربةٍ إيجابية للمشاركين.

النشاط البدني. لا شك في أنّ للنشاط البدني فوائد كثيرة على صحة الشخص وأيضاً على مزاجه ورفاهه العام. يعيش الأطفال حياتهم ويتعلّمون بطريقة جسدية/حسّية أكثر من البالغين. إن طريقتهم في التعبير عن نفسهم جسدية أكثر منها كلامية، وقد تتطلب الصعوبات الكلامية الكثير من الموارد الذهنية، وبالتالي تزيد من الحاجة إلى ضبط النفس. إن مستوى ضبط النفس – الحركات والعواطف على حدٍّ سواء – المطلوب من طفل متضرر من الحرب هو بحدّ ذاته عبءٌ كبير. إن الألعاب الجسدية والغناء واللعب وغيرها تمنح الطفل أولاً وقبل كل شيء إمكانية أن يشعر بالحرية بشكل حسّي، الأمر الذي من شأنه في الوقت نفسه أن يرفع ويوازن مستوى الطاقة الجسدية لديه. إنما لدى البالغين أيضاً، يرتبط الاستمتاع بشكل وثيق بإنتاج الطاقة وتحرير الطاقة. تذكّر النشاطات البدنية البالغين بتجارب الطفولة وتنتج تفريغاً عاطفياً. على المستوى الاجتماعي، تمكّنت نشاطات الاتصال ونشاطات التجسيد من خلق ظروف ثقة أفضل داخل المجموعة.

الدور الاستراتيجي للتحمية. خلقت مرحلة التحمية في مختلف الأعمال الميدانية الظروف المناسبة للانخراط الأولي للمشاركين، كما وأنها حددت جواً عاطفياً وعلائقياً استمرّ في التطوّر مع تقدّم النشاطات. في هذه المرحلة، يلعب الجسد واللعب دوراً مهماً جداً. بعض الألعاب، مثل لعبة الوشاح[١٧٧] والسير مع الطقس، تسمح أيضاً بتقييم العواطف التي يجلبها المشاركون معهم وتبدأ بالعمل عليها. يمكن القيام بالشيء نفسه من خلال تمارين التنفس.[١٧٨] لكن هذه الناحية التقييمية للعواطف هي بأي حال ثانوية مقارنةً بالوظيفة الأساسية للتحمية، والتي تتمثّل بحشد الموارد الجسدية والعاطفية. خلال عملية التحمية، يقوم المدرّب

١٧٦ "استمرت الجلسة وقام كل مشارك بصنع زهرة تحمل إسمه وصفاته الحسنة. تمّ شرح صفات كل زهرة داخل مجموعات مؤلفة من شخصين وقام عشرة أفراد من المجموعة بتقديم زهراتهم أمام المجموعة. جرى نقاش شارك فيه الجميع: هل كان من الصعب إيجاد خمس صفاتٍ إيجابية؟ هل وجدت صفاتٍ إيجابية مشتركة مع أي فرد آخر في المجموعة؟ هل يودّ أحدكم إضافة صفة إيجابية لم يتسنّ له الوقت لأن يكتبها؟ بعد ذلك، وضع كل فرد زهرته في المكان الذي يشعره بالارتياح" (حج حسن، ٢٠١٥).

١٧٧ لعبة الوشاح: يختار كل فرد من المجموعة وشاحاً يشبه، برأيه، وضعه الحالي ومن ثم يضعه حيث يريد. ثم يقوم بشرح اختياره واختيار مكان وضعه. للمزيد حول هذه الألعاب، راجع دكاش وعساف (٢٠١٥).

١٧٨ "إن إدارة العواطف تلعب دوراً هاماً، كما ذكرنا، وبالتالي أهمية تمارين التنفس. إن الهدف من تمارين التنفس هو التحمية، والمحافظة على التركيز وتحسينه، وإدارة الضغط النفسي والتوتر. يعكس التنفس حالتنا العاطفية، وفي الوقت نفسه، إن نشاط التنفس هو أفضل طريقة للاتصال بجسدنا. خلال هذا التمرين وعلى امتداد نشاط الاسترخاء، لم يتمكّن مراهقان شابان في مجموعة من أحد عشر فرداً من التركيز ولم يتمكّنا من استنشاق الهواء بطريقة صحيحة كي يقوموا بالزفير. هذا الأمر يعني أن معظمهم يملكون السلوك اللازم لإدارة عواطفهم والضغط النفسي والتجارب التي مروا بها. بالتالي، ساهموا في تحسين عملية القدرة على الصمود" (معاوي، ٢٠١٤)

بطرح تغيير في مستوى التجربة، وبتفعيل تغيير في مستوى الطاقة والتركيز، وبقيادة المشاركين إلى منطق اللعبة ومنطق التعبير الرمزي. بالتالي، يكون للتحمية وظيفة حدية مهمة تتمثّل بجعل المجموعة تتحوّل من التجارب الاعتيادية – الشخصية والعلائقية – إلى نموذج جديد من التجارب قائم على اللعب والرموز.

الملكية. حين تصبح المشاركة ملكيةً للنشاط، هذا الأمر يعني أن تغييراً مهماً طرأ على الديناميكية بين المدرب والمجموعة، وداخل المشاركين وفي ما بينهم. تنشأ عملية الملكية منذ البداية: إن مشاركة محتويات العمل أكثر إثارة للاهتمام من مناقشة القواعد فقط. إن الهدف الأساسي للعقد مع المشاركين – ومع الأطفال أيضاً – هو مشاركتهم سبب، لا بل أفضل من ذلك، مشاركتهم المنطق وراء انخراط الأشخاص في العملية الإبداعية: مشاركة المعنى والأخذ بالاعتبار التوقّعات.[١٧٩] مع الأطفال، تصبح الحاجة إلى القواعد أكبر إذا طُلب من الطفل أن يتحمّل نشاطات تتطلب نقاشاً كلامياً أو، في جميع الأحوال، تتطلب ضبطاً قوياً للنفس. تُظهر الأدلة أن الإشارات الكلامية إلى "السلوك الحسن" التي تُعطى للأطفال غير فعّالة. أن الاستراتيجيات التربوية الصحيحة بالنسبة إلى المسرح الاجتماعي هي تلك التي تستخدم اللعب النشط كوسيلة للسيطرة على السلوك. سيحظى الطفل فعلاً بفرصة أكبر لتعلّم الإصغاء واحترام الوقت والآخرين وإدارة سلوكه في ما يتعلّق بالآخرين. في اللعب، الذي هو أيضاً تسلية، يتزامن ضبط النفس مع نمو الثقة بالنفس ومهارات القيادة وأهم شيء، التفاعلات التعاونية.

بناء المجموعة عنصر أساسي. أقرّ الطلاب بضرورة تكريس المزيد من الوقت، خاصة في البداية، لبناء المجموعة. بالنسبة إلى الأطفال، بناء المجموعة أكثر أهمية حتى، بما أنه جزء أساسي من خلق مساحة آمنة حيث يمكن للطفل أن يكون مرتاحاً في التعبير عن هويته (واحتياجاته) المحددة خلال التفاعلات الاجتماعية. من جهة، يتعلّق بناء المجموعة بالاحترام والثقة داخل المجموعة، ومن جهة أخرى، بالتعبير عن تنوّع كل فرد. إن التوصّل إلى توازن دقيق بين الإثنين يصبح أسهل من خلال التدريب المسرحي – الذي ينطوي على تمرين جسدي وتمرين تعبيري – والألعاب التعليمية، عوضاً عن نشاطات الإسقاط المتمحورة حول الفرد.

٢,٩. الانتقال من التدخل على مستوى المجموعة إلى التدخل المبني على المجتمع: خطوات إضافية ينبغي اتّباعها

تبيّن أنّه ليس بوسع الميسر أن يعمل مع طفل ما على ترميم صورته الذاتية ومشاعره حين يكون هذا الطفل لا يزال يتعرّض للعنف في حياته اليومية، ما لم يكن أحدهم يعمل في الوقت نفسه مع عائلته، من خلال عملية وليس فقط من خلال جلسة توعية، ومن ثم خلق مساحة مشتركة للعمل على عملية بين الوالدين وأطفالهما بهدف التخفيف من حدة العنف وتحويل العلاقة بين الوالدين والأطفال. لا يكفي أن يعبرّ الطفل عن مشاعره حيال العنف الذي يتعرّض له كي تُحَلَّ المشكلة. يجب على العملية أن تتبع نموذج الدائرة المعقدة.[١٨٠]

١٧٩ الديراني، ٢٠١٥.

١٨٠ الديراني، ٢٠١٥.

إن الفنون الإبداعية والمسرح نُهُجٌ فعّالة لدعم اللاجئين والأشخاص النازحين داخلياً والأشخاص الذين مرّوا بأزمة. إن الأعمال الميدانية لطلاب برنامج الماجستير التابع للمنظمة الدولية للهجرة، وعلى الرغم من أنها تمّت في فترة محدودة من الوقت، تمكّنت من تحقيق نتائج إيجابية ومن تقديم اعتبارات قيّمة تتعلق بإمكانية وضع نهج مسرح اجتماعي خاص بالسياق المحدد لوضع النزوح في لبنان وسوريا. أهم النتائج الإيجابية كانت على المستويين الفردي والجماعي. قد تكون هذه خطوة أولى، إنما يجب القيام بخطوة تالية لتعزيز أثر سليم طويل الأمد. يجب إشراك المجتمع المحلي في عملية التدخل، حتى وإن كان التركيز بالدرجة الأولى على المجموعات. إن العرض النهائي الناتج عن سلسلة من حلقات العمل هو بحدّ ذاته لحظة طقسية يمكن اعتبارها نشاطاً جماعياً، لا بل حتى نشاطاً لبناء علاقات إيجابية بين مجموعة المشاركين والمجتمع المحيط بهم. برهن الطلاب عن الكثير من الوعي بالوظيفة الطقسية للعرض، سواء كانت إعادة وصل الروابط داخل العائلة، أو قدرة طقوس المسرح المتعددة الثقافات على وصل أشخاص من مجتمعات ومجموعات مختلفة.[١٨١] بيد أنه يمكن تصوّر كامل عملية التدخل بواسطة المسرح، مع إشراك المجتمع المحلي منذ البداية، باستخدام أدوات المسرح كما حصل في البلقان وليبيا في مشاريع المنظمة الدولية للهجرة للصحة والدعم النفسي الاجتماعي.[١٨٢] هناك عدة طرق لتحقيق نهج المسرح الاجتماعي والمجتمعي: بدءاً بإشراك أفراد من المجتمع المحلي يملكون قدرات إبداعية محددة في عملية حلقة العمل، وصولاً إلى خلق لحظات تبادل واحتفال تُدعى إليها وتُقابل فيها أقسام متنوعة من المجتمع. في كل هذه التجارب، يعيد التدخل بواسطة المسرح خلق ملاذٍ آمن للتنوع والتقبّل والحوار المتعدد الثقافات في قلب المجتمع، الأمر الذي يشكّل في يومنا هذا، في الحقيقية، إحدى أهمّ المساهمات التي يمكن للفنّ أن يقدّمها لتعزيز الصحة والسلام.

٢,١٠. لائحة بالمراجع

Allen, J. and M. Allen

2015 The social determinants of health, empowerment, and participation. In: Oxford Textbook of Creative Arts, Health and Wellbeing: International Perspectives on Practice, Policy and Research (S. Clift and P.M. Camic, eds.). Oxford University Press, Oxford, pp. 27–34.

Alvaredo, F. et al. (eds.)

2018 Executive summary. In: World Inequality Report 2018. pp. 8–20. Available from wir2018.wid.world/files/download/wir2018-full-report-english.pdf

١٨١ "كان مفيداً جداً ختامُ الجلسات بواسطة تقديم مسرح منبر يضم مشاهد عديدة حول مشاكل مشتركة بين أفراد المجموعة. يمكن تقديم هذه المشاهد إلى أمهات الفتيات اللواتي يحاولن خلق مساحةٍ للحوار أو ربما للتوعية وبناء علاقة بين الأمهات والفتيات من شانها أن تساعدهنّ على تخطي قسم من المشاكل التي يواجهنها." (خليل، ٢٠١٥).

١٨٢ أنظر التدخلات التي قادها سكينينا في البلقان في بدايات القرن الحادي والعشرين (سكينينا، ٢٠٠٤ب) والتدخلات التي قادها المركز الاجتماعي للمسرح المجتمعي في مركز ملتقانا في طرابلس، ليبيا (www.socialcommunitytheatre.com).

Amerio, P.
2000 Psicologia di comunità. Il Mulino, Bologna.

Antonovsky, A.
1996 The salutogenic model as a theory to guide health promotion. Health Promotion International, 11(1):11–18.

Apollonio, M.
1993 Storia dottrina prassi del coro. Morcelliana, Brescia.

Arai, T.
2014 On the Intersection of Deep Culture and Deep Structure: Toward an Integrated Approach to Conflict Transformation. Study guide. Lebanese University, Beirut.

Artaud, A.
1968 Il teatro e il suo doppio. Einaudi, Turin.

Aliverti, M.I.
1988 Jacques Copeau. Laterza, Bari.

Barba, E.
1993 La canoa di carta: Trattato di antropologia teatrale. Il Mulino, Bologna.
2001 Theatre, Cohabitation of the Different. In: Armadilla 2001.

Barba, E. and N. Savarese
1986 Anatomie de l'acteur: Un dictionaire d'antropologie théâtrale. Bouffonneries contrastes, Cazilhac.

Basaglia, F.
2000 Scritti 1968-1980. Dall'apertura del manicomio alla nuova legge sull'assistenza psichiatrica. Einaudi, Turin.

Bateson, M.C.
1992 Comporre una vita. Feltrinelli, Milan.

Bencivenga, E.
1995 Giocare per forza: Critica della società del divertimento. A. Mondadori, Milan.

Benedetti, F.
2012 L'effetto placebo: Breve viaggio tra mente e corpo. Carocci, Rome.

Bernardi, C.
1996 Corpus hominis: Riti di violenza, teatri di pace. Euresis, Milan.
2004 Il teatro sociale: L'arte tra disagio e cura. Carocci, Rome.

Bernardi C. and B. Cuminetti (eds.)
1998 L'ora di teatro: Orientamenti europei ed esperienze italiane nelle istituzioni educative. Euresis, Milan.

Bernardi, C., B. Cuminetti and S. Dalla Palma (eds.)
2000 I Fuoriscena: esperienze e riflessione sulla drammaturgia nel sociale. Euresis, Milan.

Bernardi, C., M. Dragone and G. Schininà (eds.)
2002 War Theatres and Actions for Peace: Community-Based Dramaturgy and the Conflict Scene. Euresis, Milan.

Bion, W.R.
1971 Esperienza nei gruppi e altri saggi. Armando Editore, Rome.

Boal, A.
1996 Il poliziotto e la maschera: Giochi, esperienze e tecniche del teatro dell'oppresso. La Meridiana, Molfetta.
2002 Dal desiderio alla legge: Manuale del teatro di cittadinanza. La Meridiana, Molfetta.
2011 Il teatro degli oppressi: Teoria e tecnica del teatro. La Meridiana, Molfetta.

Brook, P.
1988 Il punto in movimento 1946-1987. Ubulubri, Milan.
1990 Dal Cammino alla via. In: Gli anni di Peter Brook: L'opera di un maestro raccontata al Premio Europa per il teatro (G. Banu and A. Martinez (eds.). Ubulibri, Milan, p. 170.
1994 La porta aperta. Einaudi, Turin.
2001 I fili del tempo: Memorie di una vita. Feltrinelli, Milan.

Bruner, J.
2002 La fabbrica delle storie: Diritto, letteratura, vita. Laterza, Rome.

Bruner, J., A. Jolly and K. Sylva (eds.)
1981 Il gioco: Il gioco in un mondo di simboli. Armando, Rome.

Bygren, L.O., B.B. Konlaan and S.E. Johansson
1996 Attendance at cultural events, reading books or periodicals, and making music or singing in a choir as determinants for survival: Swedish interview survey of living conditions. British Medical Journal, 313(7072):1577–1580.

Caillois, R.
1981 I giochi e gli uomini: La maschera e la vertigine. Bompiani, Milan.
2001 L'uomo e il sacro. Bollati Boringhieri, Turin.

Catarci, M.
2016 La pedagogia della liberazione di Paulo Freire: Educazione, intercultura e cambiamento sociale. FrancoAngeli, Milan.

Charon, R.
2006 Narrative Medicine: Honoring the Stories of Illness. Oxford University Press, New York.

Clift, S. and P.M. Camic
2015 Introduction to the field of creative arts, wellbeing, and health: Achievements and current challenges. In: Oxford Textbook of Creative Arts, Health and Wellbeing: International Perspectives on Practice, Policy and Research (S. Clift and P.M. Camic, eds.). Oxford University Press, pp. 3–9.

Colombo, M. and G. Innocenti Malini (eds.)
2017 Infanzia e linguaggi teatrali: Ricerca e prospettive di cura in città. FrancoAngeli, Milan.

Cook, P.
2017 The Virtuous Circle of Play and Psychosocial Well-being: A Review of Right to Play's Education in Emergency Programs Supporting Syrian Children in Lebanon. International Institute for Child Rights and Development.

Copeau, J.
1988 Il luogo del teatro: antologia degli scritti. La Casa Usher, Florence.

Costa, G. et al.
2003 Individual and contextual determinants of inequalities in health: The Italian case. International Journal of Health Services, 33(4):635–667.

Cruciani, F.
1971 Jacques Copeau o le aporie del teatro moderno. Bulzoni, Rome.
1985 Teatro nel Novecento: Registi, pedagoghi e comunità teatrali del XX secolo. Sansoni, Florence.

Cyrulnik, B. and E. Malaguti
2005 Costruire la resilienza: La riorganizzazione positiva della vita e la creazione di legami significativi. Edizioni Centro Studi Erickson, Trento.

Daccache, Z. and S. Assaf
2015 From the bottom of my brain (DVD). Beirut, Lebanon.

Dalla Palma, S.
2001a Il teatro e gli orizzonti del sacro. Vita en Pensiero, Milan.
2001b La scena dei mutamenti. Vita en Pensiero, Milan.

Demetrio, D.
1995 Raccontarsi: L'autobiografia come cura di sé. Raffaello Cortina, Milan.

Dickman, S.L., D.V. Himmelstein and S. Woolhandler
2017 Inequality and the health-care system in the USA. The Lancet, 389(10077): 1431–1441.

Feldenkrais, M.
1991 Le basi del metodo per la consapevolezza dei processi psicomotori. Astrolabio Ubaldini, Rome.
2011 La saggezza del corpo. Astrolabio Ubaldini, Rome.

Fernandez-Argüelles et al.
2015 Effects of dancing on the risk of falling related factors of healthy older adults: A systematic review. Archives of Gerontology and Geriatrics, 60(1): 1–8.

Fink, E.
1969 Oasi della gioia: Idee per una ontologia del gioco. Rumma, Salerno.
1991 Il gioco come simbolo del mondo. Hopefulmonster, Turin.

Gallese, V.
2010 Corpo e azione nell'esperienza estetica. Una prospettiva neuroscientifica. In: Mente e bellezza: Arte, creatività e innovazione (U. Morelli, ed.). Allemandi, Turin, pp. 245–262.
2013 Corpo non mente. Le neuroscienze cognitive e la genesi di soggettività e intersoggettività. Educazione sentimentale, 20:8–24.

Gallina, M. and O. Ponte di Pino
2014 Le buone pratiche del teatro: Una banca delle idee per il teatro italiano. FrancoAngeli, Milan.

Galtung, J.
2000 Conflict Transformation by Peaceful Means (The Transcend Method): Participants' and Trainers' Manual. United Nations Disaster Management Training Programme, Geneva.

Goffman, E.
1956 The Presentation of Self in Everyday Life. Anchor Books, New York.

Granovetter, M.S.
1973 The strength of weak ties. American Journal of Sociology, 78(6):1360–1380.

Gray, P.
2015 Lasciateli giocare. Einaudi, Turin.

Grotowski, J.
2006 Holiday e Teatro delle Fonti. La Casa Usher, Florence.

Heilpern, J.
1977 Conference of the Birds: The Story of Peter Brook in Africa. Faber and Faber, London.

Herzog, T.
2012 Orality and the tradition of Arabic epic storytelling. In: Medieval Oral Literature (K. Reichl, ed.). Walter de Gruyter, Berlin/Boston, pp. 629–649.

Hillman, J.
1999 Politica della bellezza. Moretti & Vitali, Bergamo.

Huizinga, J.
1946 Homo ludens. Einaudi, Turin.

Hyppä, M.T. and J. Mäki
2003 Social participation and health in a community rich in stock of social capital. Health Education Research, 18(6):770–779.

Inter-Agency Standing Committee (IASC)
2007 IASC Guidelines on Mental Health and Psychosocial Support in Emergency Settings. IASC, Geneva. Available from www.who.int/mental_health/emergencies/guidelines_iasc_mental_health_psychosocial_june_2007.pdf

Innocenti Malini, G.
2007 Come un seme. La conduzione nel gruppo nel laboratorio di Teatro Sociale. In: Fare Teatro Sociale (A. Rossi Ghiglione and A. Pagliarino, eds.). Dino Audino, Rome, pp. 31–48.

Innocenti Malini, G. and F. Gentile
2016 "Like me": Mimesis and dramaturgic play in early childhood. Comunicazioni Sociali, 38(2):249–260.

International Organization for Migration (IOM)
2000 Psychosocial and Trauma Response in War-Torn Societies: The Case of Kosovo. Psychosocial Notebook no. 1. IOM, Geneva. Available from https://publications.iom.int/system/files/pdf/ptr_kosovo_en.pdf
n.d. Mental Health, Psychosocial Response and Intercultural Communication. Available from www.iom.int/mental-health-psychosocial-response-and-intercultural-communication

International Union for Health Promotion and Education and Canadian Consortium for Health Promotion Research (IUHPE-CCHPR)
2007 Shaping the future of health promotion: Priorities for action. Health Promotion International, 23(1):98–102.

Istat
2014 Rapporto: Tutela della salute e accesso alle cure. (n.p.).

Jennings, S. (ed.)
1992 Dramatherapy: Theory and Practice 2. Routledge, London.
1997 Dramatherapy: Theory and Practice 3. Routledge, London.

Jennings, S.
1998 Introduction to Dramatherapy: Theatre and Healing – Ariadne's Ball of Thread. Jessica Kingsley, London and Philadelphia.
2009 Creative Storytelling with Children at Risk. Routledge, London.

Johansson, S.E., B.B. Konlaan and L.O. Bygren
2001 Sustaining habits of attending cultural events and maintenance of health: A longitudinal study. Health Promotion International, 16(3):229–234.

Knowles, M.S.
1980 The Modern Practice of Adult Education: From Pedagogy to Andragogy. Cambridge Adult Education, New Jersey.

Lindemann Nelson, H.
2001 Damaged Identities, Narrative Repair. Cornell University Press, New York.

Losi, N.
2000 Vite altrove: Migrazione e disagio psichico. Feltrinelli, Milan.

Matricoti, F.
2010 I teatri di Igea. Italian University Press, Genova.

Mental Health Foundation
2011 An Evidence Review of the Impact of Participatory Arts on Older People. Mental Health Foundation, Edinburgh.

Merom, D. et al.
2016 Social dancing and incidence of falls in older adults: A cluster randomised controlled trial. PLoS Med, 13(8):e1002112.

Moreno, J.
1946 Psychodrama. Beacon House, New York.
1980 Il teatro della spontaneità. Guaraldi, Florence.

Newman, T., K. Curtis and J. Stephens
2003 Do community-based art projects result in social gains? A review of the literature. Community Development Journal, 38(4):310–322.

Nicholson, H.
2005 Applied Drama: The Gift of Theatre. Palgrave Macmillan, New York.

Oida, Y. and L. Marshall
1997 The Invisible Actor. Routledge, New York.

Pagliarino, A.
2011 Teatro comunità e capitale sociale: Alla ricerca dei luoghi del teatro. Aracne, Rome.
2017 Teatro e medicina: Co-health. Il teatro nella formazione del personale sanitario. In: Humanitas e altre scienze: Superare la disciplinarità (M. Cini, ed.). Carocci, Rome, pp. 101–115.

Papadopoulos, R. (ed.)
2002 Therapeutic Care for Refugees: No Place Like Home. Karnac, London and New York.

Park, R.E.
1950 Race and Culture. Free Press, Glencoe.

Patel, V. et al.
2014 Global Mental Health. Principles and Practice. Oxford University Press, Oxford and New York.

Piaget, J.
1972 La formazione del simbolo nel bambino: Imitazione, gioco e sogno. Immagine e rappresentazione. La Nuova Italia, Florence.

Pontremoli, A.
2005 Teorie e tecniche del teatro educativo e sociale. UTET, Turin.

Prochaska, J. and C. Diclemente
1982 Transtheoretical therapy: Toward a more integrative model of change. Psychotherapy: Theory, Research & Practice, 19(3):276–288.

Prochaska, J., J. Norcross and C. Diclemente
1994 Changing for Good: A Revolutionary Six-Stage Program for Overcoming Bad Habits and Moving Your Life Positively Forward. Harper Collins, New York.

Putnam, R.D.
2004 Capitale sociale e individualismo: Crisi e rinascita della cultura civica in America. Il Mulino, Bologna.

Rizzolati, G. and C. Sinigaglia
2006 So quel che fai: Il cervello che agisce e i neuroni specchio. Raffaello Cortina, Milan.

Rossi Ghiglione, A.
2011 Teatro e salute: La scena della cura in Piemonte. Ananke, Turin.
2013 Teatro sociale e di comunità: Drammaturgia e messa in scena con i gruppi. Dino Audino, Rome.
2014a Arte, benessere e partecipazione. Il teatro come metamodello della partecipazione culturale. In: I pubblici della cultura: Audience development, audience engagement (F. De Biase, ed.). FrancoAngeli, Milan, pp. 216–239.
2014b The power of art in human regeneration: Social and Community Theatre approach to cultural diversity and plural communities. In: Rising from the Crisis (Caravan Project: Artists on The Road). Association for Culture and Education KIBLA, Maribor, pp. 37–43.
2015 Arte, benessere e cura. Il potere del teatro. PNEI Review, 2:38–48.

Rossi Ghiglione, A. and A. Pagliarino
2007 Fare Teatro Sociale. Dino Audino, Rome.

Ruffini, F.
1986 Antropologia Teatrale. In: Teatro e Storia, vol. 1, pp. 3–23 .

Schechner, R.
2016 La Teoria della performance 1970-1983. Bulzoni, Rome.

Schininà, G.
2002 Cursed communities, rituals of separation and communication as vengeance:

A redefinition of artistic intervention in war and war-torn situations. The Kosovo case. In: War Theatres and Actions for Peace: Community-Based Dramaturgy and the Conflict Scene (C. Bernardi, M. Dragone and G. Schininà, eds.). Euresis, Milan, pp. 101–115.

2004a Social Theatre and artistic interventions in war-torn societies. In: Proceedings from the One-day Symposium – Conflict Zones: Actions, Languages, Mediations (C. Dente and S. Soncini, eds.). ETS, Pisa, pp. 48–65.

2004b Here we are: Social Theatre and some open questions about its development. The Drama Review, 48(3):17–31.

2004c "Far away, so close": Psychosocial and theatre activities with Serbian refugees. The Drama Review, 48(3):32–49.

Siegel, D.

2007 The Mindful Brain: Reflection and Atunement in the Cultivation of Well-Being. W.W. Norton & Company, New York.

Skultans, V.

2004 Narratives of displacement and identity: In: Narrative Research in Health and Illness (B. Hurwitz, T. Greenhalgh and V. Skultans, eds.). Blackwell Publishing, Massachusetts, Oxford and Victoria, pp. 292–308.

Sliep, Y.

2009 Intervention Manual: Healing communities by strengthening social capital: a Narrative Theatre approach. War Trauma Foundation, The Netherlands.

Standing, E.M.

1998 Maria Montessori: Her Life and Work. Plume, New York.

Thompson, J.

2009 Performance Affects: Applied Theatre and the End of Effect. Palgrave Macmillan, London.

Throsby, D.

1999 Cultural capital. Journal of Cultural Economics, 23(1):3–12.

Tucci, I.

2013 Applied theatre as a craft of conflict transformation and peacebuilding in war-torn communities. University of Pisa, Italy.

Turner, V.

1986 Dal rito al teatro. Il Mulino, Bologna.

UNICEF
2015 Growing Up in Conflict: The impact on children's mental health and psychosocial well-being. Report on the symposium, 26–28 May 2015, New Babylon Meeting Center, The Hague. UNICEF, New York.

Vygotskij, L.S.
1972 Immaginazione e creatività nell'età infantile. Editori Riuniti, Rome.

White, M. and D. Epstein
1990 Narrative Means to Therapeutic Ends. W.W. Norton & Company, New York.

Winnicott, D.W.
1974 Gioco e realtà. Armando, Roma.

World Health Organization (WHO)
1986 Ottawa Charter for Health Promotion. Ottawa, 21 November 1986.
1993 Life Skills Education for Children and Adolescents in Schools: Introduction and Guidelines to Facilitate the Development and Implementation of Life Skills Programmes. Programme on Mental Health, WHO, Geneva.

Zanlonghi, G.
2007 L'altro sguardo del teatro: Il teatro educativo e sociale. Il Castello di Elsinore, 20(56):75–128.

٢,١٠,١. لائحة بالأطروحات

Al Brihi, A.
2015 Psychosocial Support for Children Subject to Domestic Violence (8-12 years old) and Enabling Dialogue to Mitigate this Phenomenon. Executive Master thesis, Lebanese University, Beirut.

Balhas, M.
2015 The Importance of Theater in Building Bridges of Communication within the Lebanese Palestinian Syrian Community. Executive Master thesis, Lebanese University, Beirut.

Dwayeb, L.
2015 From Hobby to Identity. Executive Master thesis, Lebanese University, Beirut.

El Dirani, A.
2015 Theater Workshop with Youth Survivors of Abuse Residing in a Resilience Center: Theater as a Medium to Search for Home. Executive Master thesis, Lebanese University, Beirut.

Fendi, N.
2015 The change in psychosocial identity among women suffering from loss during wars. Executive Master thesis, Lebanese University, Beirut.

Jalo, M.
2014 Violence and aggression in early stage of Adolescence. Executive Master thesis, Lebanese University, Beirut.

Hajj Hassan, M.
2015 Psychosocial Assessment and Support of Displaced Children through Innovative Activities (a group of displaced Syrian children in the area of Sidon. Executive Master thesis, Lebanese University, Beirut.

Hussein, Z.
2015 Psychosocial Support as a Base to Enhance Dialogue and Social Cohesion between Lebanese and Syrians: Case Study on the Women Resource Center in Saida. Executive Master thesis, Lebanese University, Beirut.

Ibrahim, I.F.
2014 The Efficiency of a Training Program based on the "Child-to-Child" Approach in Providing Some Psychosocial Concepts to Children. Executive Master thesis, Lebanese University, Beirut.

Kchour, H.
2015 Overcoming Polarization between Refugees and Host Communities in Lebanon. Executive Master thesis, Lebanese University, Beirut.

Khalil, S.
2015 The Use of Creative Approaches (Image Theater) in Solving Problems in a Sample of One of the Girls in the Accommodation Centers in the Province of Damascus. Executive Master thesis, Lebanese University, Beirut.

Khouri, N.
2015 Using Psycho-social Support Activities based on the Complex Circle Model to Positively Impact the Sense of Well-Being among Syrian (refugee and non-refugee) Women Living in the Informal Settlement of Hay al Gharbeh, Beirut, Particularly as it Relates to Their Sense of Safety. Executive Master thesis, Lebanese University, Beirut.

Mahfuz, M.
2015 Conflict Transformation with Syrian and Lebanese Children using EPR. Executive Master thesis, Lebanese University, Beirut.

Moawi, M.
2014 Psychosocial Intervention and Its Contribution to Resilience for Adolescents – Syrian Refugees in the Sarafand Region – Southern Lebanon. Executive Master thesis, Lebanese University, Beirut.

Moukarzel, Y.
2014 Proposed Curriculum for Education of Children in Conflict Resolution. Executive Master thesis, Lebanese University, Beirut.

Qamarieh, M.
2015 Syrian Refugees in Lebanon between Structural Violence and Taking Actions. Executive Master thesis, Lebanese University, Beirut.

Wassouf, A.
2014 The Role of the Crisis in Changing the Children's Play Culture. Executive Master thesis, Lebanese University, Beirut.

الفصل الثالث:

الدعم النفسي الاجتماعي والحوار في لبنان والجمهورية العربية السورية: نُهُج الوساطة المستخدَمة لحل النزاعات

أسامة صفا

ملخّص

يستعرض هذا الفصل عدداً من أطروحات الماجستير كجزءٍ من برنامج ماجستير تنفيذي وضعته المنظمة الدولية للهجرة بالاشتراك مع الجامعة اللبنانية، جمع بين الدعم النفسي الاجتماعي والوساطة. يبدأ هذا الفصل باستعراضٍ أدبي للمصادر التي تربط في ما بين ممارسة بناء السلام والوساطة والدعم النفسي الاجتماعي لإثبات ما يبدو صلةً طبيعية بين المجالين. من ثم ينتقل إلى استعراض الأطروحات التي تمّ تقديمها كجزء من الأعمال الميدانية المطلوبة للتخرج. تشير النتائج المستخلصة إلى فهم عام للمفاهيم التي تم تقديمها في برنامج الماجستير التنفيذي والى رغبة قوية لدى الطلاب في تطبيق ما تعلّموه، كلٌّ في مجاله الخاص. على الرغم من اختلاف نوعية الأطروحات باختلاف الطلاب والمناطق الجغرافية (لبنان والجمهورية العربية السورية)، ظهرت محاولات جدية لاستخدام مفاهيم وتقنيات مفيدة في الدعم النفسي الاجتماعي والوساطة لتحقيق نتائج مقبولة وعملية. مما لا شك فيه أن البرنامج زوّد الطلاب بخلفية قوية لمواصلة اختبار التقنيات التي تعلّموها وتطبيقها بشكل أكبر.

الكلمات المحورية: بناء السلام، الحقيقة والذكرى، الوساطة، المعافاة، الصدمة النفسية، المصالحة، إيذاء، القدرة على الصمود، التأقلم، تمكين، عملية، مسامحة، نهج متكامل، الدعم النفسي الاجتماعي، نظرية التغيير، إدارة النزاع، منع النزاع، التغيير الاجتماعي، تحويل النزاع، تسوية النزاع.

٣,١. مقدمة

إن الحرب السورية التي بدأت عام ٢٠١١ قد أنتجت، حتى لحظة كتابة هذه الكلمات، إحدى أسوأ أزمات اللجوء التي عرفها العالم منذ الحرب العالمية الثانية. إن المشاكل التي رافقت اللاجئين على المستويين المجتمعي والفردي تكاثرت بوتيرة سريعة في البلدان المجاورة التي لجأ إليها الشعب السوري. يبحث هذا الفصل بعض المشاريع الميدانية التي حاولت إيجاد أدوات للتعامل مع الآثار النفسية اجتماعية على اللاجئين في أحد البلدان المجاورة ولتفادي تداعيات العلاقات العدائية والنزاعية بين المجتمعات المضيفة واللاجئين، وبين اللاجئين أنفسهم وفئات معنيّة أخرى مرتبطة بهم بشكل مباشر.

تبنى الدراسة على فرضية أن العمل النفسي الاجتماعي، إذا ما تمت مكاملته مع مجال شقيق مثل مجال الوساطة وتسوية النزاعات، من شأنه أن يحقق الكثير ليس فقط في توفير أدوات للرفاه على المستوى الفردي، بل أيضاً للسلام داخل المجتمعات المحلية العدائية. إن مزج المجالين كما فعلت بعض الأطروحات ليس بالمهمة السهلة. لا تزال المؤلفات الأدبية المتوفّرة حول هذا المجال خجولةً من حيث كيفية تقاطع هذين المجالين ومن حيث العملية التي تؤدي إلى هذا التقاطع. جرت بعض المحاولات لفهم العلاقة بين الآثار النفسية اجتماعية للمشاكل الشخصية وكيفية تأثيرها على الخيارات على المستوى الداخلي وبين الطوائف. بغضّ النظر عن الدراسات السريرية والتجريبية – التي لا يستكشفها هذا الفصل – يكاد لا يكون هناك ما يدل على فشل جهود رامية إلى وساطة وتسوية نزاعات ناجحتين بسبب وجود مشاكل نفسية اجتماعية عالقة.

من وجهة نظر ممارس للمهنة، إن الارتباط واضحٌ. إن تسوية نزاع ناجحة بين طرفين أو أكثر – سواء كانت هذه الأطراف أفراداً أو مجتمعات – لا تكتمل ما لم تتم معالجة الجراح الناتجة عن صدمة نفسية تعرّضت لها هذه الأطراف. والعكس صحيح، إذ أنّ معافاة ناجحة، وقدرة متزايدة على الصمود وقدرة موسّعة على التأقلم مع التغيرات والأعمال العدائية القاسية، كلّها تحتاج إلى بيئة مسالمة كي تتمرّ دون أي انقطاع. بالتالي، وكما ذكرت بعض الأطروحات التي تمّت دراستها في هذا الفصل، فإنّ هناك ارتباط عضوي بين مجال الدعم النفسي الاجتماعي والوساطة، التي تندرج تحت مجال بناء السلام الأوسع.

٣,٢. استعراض للمؤلفات

إن ما يلي هو استعراض أدبي محدود النطاق والتركيز لتسليط الضوء على تعريفات مفاهيمية رئيسية تمثّل التقاطع بين مجال الوساطة وبناء السلام ومجال التدخلات النفسية اجتماعية في مراحل النزاع وما بعد العنف. سوف يسعى هذا الاستعراض إلى إثبات أن الرابط بين المجالين – أقلّه على مستوى الممارسة – هو أكثر طبيعية وعفوية مما يودّ معظم الخبراء الاعتراف به. عند القيام بعملية بناء السلام، ينصبّ التركيز على تحويل المشاعر والعلاقات والمفاهيم وبناء الثقة مع "الآخر". هذا بالتحديد هو الهدف الأسمى لأدوات الدعم النفسي الاجتماعي لتحقيق التأقلم وزيادة القدرة على الصمود ومساعدة الأشخاص على الخروج من الصدمات النفسية الناتجة عن العنف والمعافاة. لا يهدف هذا الاستعراض إلى تغطية مختلف نواحي تسوية

النزاعات ونظرياته؛ كما وأنه لا يتضمّن عمل الدعم النفسي الاجتماعي بشكل عام عَقِب الكوارث الطبيعية والصدمات النفسية المتنوعة.

إن برنامج الماجستير – وهو موضوع هذا الفصل – هو محاولة رئيسية للتأكيد على هذا الرابط الطبيعي ولفت الانتباه إليه عبر إشراك خبراء في الدعم النفسي الاجتماعي في عمل بناء السلام، والعكس بالعكس. تم القيام بذلك أيضاً عبر تحديد نقطة انطلاق قوية هي في الوقت نفسه معيارية وقائمة على الخبرة، إذ أن معظم الطلاب كانوا أصلاً خبراء كلاً في مجاله ويعملون في منظمات، مما يسمح لهم بالوصول إلى معلومات وشعوب وأعمال ميدانية. كما أنهم كانوا أيضاً يعملون في بيئات غير مستقرة إما داخل الجمهورية العربية السورية وإما داخل لبنان. بالتالي، فإن الدروس المستخلصة من خبراتهم تعكس معرفةً عمليةً من شأنها أن تكون قيّمة جداً في تعزيز الدعوة إلى مجال مشترك بين الدعم النفسي الاجتماعي وبناء السلام. بيد أنه في البداية، من المهم أن نضع بعض التعريفات المفاهيمية وأن ننظر في كيفية مقاربة الأعمال الأدبية القائمة لهذه المواضيع.

٣,٢,١. بناء السلام

إن بناء السلام مجالٌ حديثٌ نسبياً، توّج جهود أكثر من نصف قرن من بناء السلام وإنفاذه، ورمى إلى تحديد العملية التي تساعد الدول – مجتمعاً ومؤسسات حكومية – على التعافي من الحرب وإعادة بناء نفسها وتفادي الوقوع في العنف من جديد عبر التركيز على تدابير بعيدة المدى. يتضمن بناء السلام تقنيات وعمليات كالوساطة والتفاوض والمصالحة والحوارات الوطنية وبناء التوافق. ترتكز دعائم بناء السلام على قدرة المجتمعات على تخطّي موقعها كضحية من خلال عدةّ وسائل للمصالحة وإعادة بناء نفسها بطرق قادرة على التعامل مع الماضي بكمّ معقول من الرضى والمضي قُدماً. إن طبيعة بناء السلام والأدوات التي يستخدمها، وخاصة الوساطة، استشرافيةٌ وقلّما تتطرّق إلى الماضي. تلتقي المجتمعات والأفراد لبناء مستقبل جديد على افتراض أنهم قد استخلصوا دروساً من الماضي.

هناك عدة تعريفات عملية لبناء السلام من شأنها أن تحدد المبادئ التي يرتكز عليها هذا المجال. قبل الغوص في هذه التعريفات، تجدر الإشارة إلى أن بعض مناصري مجال بناء السلام يرون هذا المفهوم بشكل شامل يتضمّن عمليات اتفاقية السلام ووقف إطلاق النار والدعم والمساعدات الإنسانية والوساطة والحوار والمصالحة والتنمية. إنما لأسباب تتعلّق بالتركيز على الموضوع، سوف نحصر النقاش بنظرة أضيق إلى بناء السلام.

في البداية، عرّفت الأمم المتحدة بناء السلام على أنّه:

> عملية تسهّل إرساء سلام دائم وتحاول منع العودة إلى العنف من خلال معالجة الأسباب الجذرية للنزاع وآثارها بواسطة المصالحة وبناء المؤسسات وتحويل السياسية والاقتصاد. تتألّف هذه العملية من مجموعة من المبادرات المادية والاجتماعية والبنيوية التي غالباً ما تكون جزءاً لا يتجزّأ من عملية إعادة الإعمار والتأهيل في مرحلة ما بعد النزاع.[١]

١ بطرس غالي، ١٩٩٥.

من ثمّ قامت الأمم المتحدة بتوسيع نطاق التعريف ليشمل بناء السلام في مرحلة ما بعد النزاع الذي يحتاج إلى تناول "دعم السلامة والأمن الأساسيين؛ العمليات السياسية؛ تأمين الخدمات الأساسية؛ عودة المهام الحكومية الأساسية؛ والإنعاش الاقتصادي".[٢]

تركّز الأمم المتحدة في فهمها لبناء السلام على المستوى الكلّي من خلال منح الأولوية لبناء الدولة وعودة المؤسسات والعمليات السياسية. في حين أن هناك جهود وتركيز خاص لمعالجة البُعد الجنساني لبناء السلام، إلا أن العبء الأساسي يبقى إعادة بناء أعضاء الدولة، لضمان حسن سير عمل المؤسسات وعودة النشاطات الاقتصادية إلى طبيعتها. يتزامن هذا النهج مع اعتماد اتفاقيات السلام وتنفيذها وإطلاق عملية سياسية، لكنّه لا يصل إلى حد الأخذ بالاعتبار تعريف البُعد المتعلّق بالأشخاص أو ناحية المشاركة في صنع اتفاقية السلام أو في التأثير على عملية وضعها.

يقدّم منظّرون في بناء السلام معروفون تعريفات مفاهيمية مختلفة ترمي إلى رؤية الموضوع من زاوية مختلفة. يرى جوهان غالتونغ بناء السلام على أنه:

> عملية بناء هيكليات ذاتية الدعم تزيل أسباب الحرب وتقدّم بدائل للحرب في أوضاع حيث يمكن نشوب حروب. يجب أن تكون آليات تسوية النزاعات جزءاً من الهيكلية وأن تشكّل خزاناً للنظام نفسه كي يستمدّ منها حاجاته، تماماً كما يملك الجسم السليم القدرة على توليد مضاداته الخاصة ولا يحتاج إلى أخذ جرعات من الدواء بشكل دوري.[٣]

إنّ مؤيّدي مدرسة تحويل النزاعات، كالباحث والممارس الشهير جان بول ليديراخ، يرون في بناء السلام مفهوماً شاملاً وجامعاً يسمو باتفاقيات السلام إلى درجة تجعلها:

> [...] تشمل وتولّد وتدعم كامل مجموعة العمليات والنهج والمراحل اللازمة لتحويل النزاع نحو علاقات سلمية أكثر استدامة. بالتالي، تنطوي العبارة على مجموعة كبيرة من النشاطات التي تسبق وتلي اتفاقات السلام الرسمية. بشكل مجازي، لا يُعتبر السلام مجرّد مرحلة زمنية أو حالة. إنّه بنية اجتماعية ديناميكية.[٤]

يدعو ليديراخ، وهو من مؤيّدي مدرسة تحويل النزاعات، إلى نهج متكامل لبناء السلام، يأخذ بالاعتبار الطبيعة المتعددة الأبعاد للمعاناة البشرية ويعتمد على مشاركة اجتماعية واسعة. كي يكون أي بناء سلام مستداماً وفعّالاً، يجب أن يكون تحويلياً على المستويات العلائقية والشخصية والمجتمعية. يجب أن يحدث هذا التحول من علاقات عائية إلى عيش سلمي مشترك. تتقاطع مدرسة تحويل النزاعات مع نهج غالتونغ حيث يجب على بناء السلام أن يرتكز على أسس جهود قصيرة ومتوسطة وطويلة الأمد، والتي تُعرف بـ "التسوية، وإعادة الإعمار والمصالحة".[٥] في التسوية، يجب على العملية التي تلي العنف أن تعالج كل المشاكل العالقة وغير المحسومة. في إعادة الإعمار، يجب أن تُبذَل جهودٌ كبيرة في سبيل إعادة إعمار ليس

٢ صندوق الأمم المتحدة لبناء السلام، السنة غير محددة.
٣ غالتونغ، ١٩٧٦:٣٠٣.
٤ ليديراخ، ١٩٩٧:٧٥.
٥ غالتونغ، ١٩٩٨.

المدن المدمّرة وحسب، إنما أيضاً إيمان الأشخاص ومصادر رزقهم وثقتهم. أخيراً، في المصالحة تكمن الحاجة إلى العمل الطويل الأمد على المعافاة من الصدمة النفسية. من هذا المنطلق، كان غالتونغ أحد أول بناة السلام الذين قدّروا أهمية مزج الدعم النفسي الاجتماعي مع بناء السلام.

تحويل النزاعات هي مدرسة فكرية تستند إلى تسوية النزاع وإدارة النزاع ومنع النزاع. تستند تسوية النزاع إلى المفهوم القائل بأن البشر منطقيين في السعي وراء مصالحهم، وبالتالي، ينبغي أن تكون النزاعات قابلة للتسوية إذا ما تم العثور على مصالح مشتركة. تنطلق إدارة النزاع من فرضية أن النزاعات الغير قابلة للتسوية يمكن إدارتها من خلال الحدّ من الضرر والأذى والأعباء التي توقعها. في حين أن إدارة النزاع لا تؤدي إلى السلام، إلا أنها تركّز على الجهود اللازمة للإبقاء على الوضع اللاعنف ولا سلام القائم إلى أن يحين وقت التسوية. أخيراً، يفترض منع النزاع أن أكثر الطرق فعالية لحل نزاعٍ ما من حيث التكلفة هي منعه من الحدوث من خلال مراقبة علامات الإنذار المبكر والتصرف على أساسها.[٦] في كل هذه المدارس/النهج، باستثناء مدرسة تحويل النزاع، بالكاد هناك إلى وجود للبعد النفسي اجتماعي. عوضاً عن ذلك، ينصبّ التركيز على المصالح العميقة والخطوات الإجرائية مثل المفاوضات الشاملة.

بالعودة إلى بناء السلام، تجدر الإشارة إلى أنه يمكن الاضطلاع ببناء السلام على مستويات متعددة في المجتمع، النخبة، القادة من الطبقة الوسطى والقواعد الشعبية. في ما يلي، توضيح لمفهوم بناء السلام المتعدد المستويات والمتعدد الأبعاد.

٦ باندیت، ٢٠١٢:١٨.

٣,٢,٢. الجهات الفاعلة ونُهُج بناء السلام[٧]

الرسم ١: الجهات الفاعلة ونُهُج بناء السلام

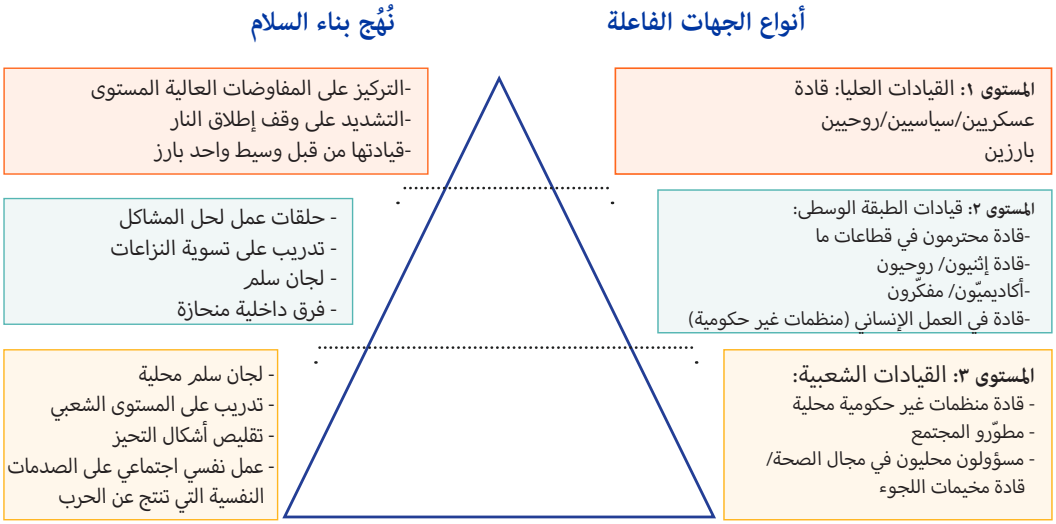

يدّعي ليديراخ أن قيام بناء سلام فعّال يستوجب تطبيقه على عدة مستويات بشكل متزامن واستخدام النهج المتعدد الأبعاد في هذه الأنشطة. ينبغي على هذه الأنشطة أن تمزج في ما بين نهج قصير الأمد ونهج أطول أمداً وأن تغطّي مسائل علائقية وشخصية وبنيوية من شأنها أن تدعم عملية بناء سلام مستدامة. في هذا الإطار، يعبرّ ليديراخ بوضوح عن الحاجة إلى إدراج أدوات الدعم النفسي الاجتماعي، كمداواة الصدمة النفسية في أي عملية بناء سلام.

٣,٢,٣. الدعم النفسي الاجتماعي

إن الخوض في العالم الواسع للدعم النفسي الاجتماعي يتخطّى نطاق هذه الوثيقة ومجال تغطيتها. لأغراض تنفيذية، سيغطي هذا القسم بعض نواحي الدعم النفسي الاجتماعي في ما خصّ الوساطة وبناء السلام في مرحلة ما بعد النزاع. بشكل عام، إن الدعم النفسي الاجتماعي هو عملية مساعدة الأفراد – وبالتحديد الأطفال – والعائلات والمجتمعات المحلية على تحسين رفاههم واستعادته، خاصة في أوقات الشدة، مثل العنف والحرب والكوارث الطبيعية وحيث تمّ تسجيل نكبات وصدمات نفسية. تماماً كما بناء السلام، فإن الدعم النفسي الاجتماعي ليس عملية مباشرة وواضحة المعالم وهو يتطلّب مجموعةً معيّنة من الشروط كي يتمّ القيام به. يجمع الدعم النفسي الاجتماعي في ما بين المواضيع النفسية للصحة النفسية والرفاه العاطفي والمعايير السلوكية المقبولة في التفاعلات الاجتماعية مع الآخرين وإدراك الشخص لذاته في المجتمع – ومن هنا يأتي مصطلح نفسي اجتماعي.

٧ ليديراخ، ١٩٩٧:٨٠.

يدلّ مصطلح "نفسي اجتماعي" إلى الترابط بين العمليّتين النفسية والاجتماعية والى حقيقة أن كلّ واحدة منهما تتفاعل مع الأخرى وتؤثّر عليها بشكل مستمر. في هذا المستند، يُستخدم المصطلح المركّب "الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي" (MHPSS) لوصف أي نوع من الدعم المحلي أو الخارجي الذي يهدف إلى حماية الرفاه النفسي الاجتماعي أو تعزيزه كما والى تدارك الاضطرابات النفسية أو معالجتها.[٨]

تحكم الدعم النفسي الاجتماعي بضع المبادئ التوجيهية، من ضمنها: (أ) حقوق الإنسان والمساواة؛ (ب) المشاركة؛ (ت) عدم الإضرار؛ (ث) البناء على الموارد القدرات المتوفرة؛ (ج) أنظمة دعم متكاملة؛ و(ح) دعم متعدد المستويات.[٩]

يعرّف الاتحاد الدولي لجمعيات الصليب الأحمر عن الدعم النفسي الاجتماعي على أنّه

> [...] عملية تسهيل القدرة على الصمود عند الأفراد والعائلات والمجتمعات، مما يمكّنهم من التعافي من أثر الأزمات، ويساعدهم على التعامل مع أحداث مماثلة في المستقبل. عبر احترام استقلالية الأفراد والمجتمعات وكرامتهم وآليات التأقلم لديهم، يعزز الدعم النفسي الاجتماعي استعادة التماسك والبنية التحتية الاجتماعيين.[١٠]

في هذا التعريف، تتمّ الإشارة إلى مفهومَي القدرة على الصمود والتأقلم كوسيلتين ضرورتين لاستعادة الأوضاع الطبيعية بالنسبة إلى الأفراد المجتمعات على حد سواء. هذان الأمران ضروريان أيضاً لاسترجاع التماسك الاجتماعي عقب النزاع وإعادة جمع شتات البنية التحتية الاجتماعية الضرورية لدعم عملية المعافاة.

في بناء السلام، المصالحة والمعافاة طقسا عبور ضروريان إذا ما أرادت المجتمعات أن تتمتّع بثمار السلام. بيد أن المعافاة والمضي قدماً نادراً ما يتحققان ما لم يتم الجمع بين آليات تأقلم وحدٍّ أدنى من القدرة على الصمود تسمح للشعوب بتخطّي الجراح وبإعادة بناء الثقة والإيمان بأنفسهم أولاً، ومن ثم بالآخرين. هنا، الصلة بين الجهود لبناء السلام وضمان المعافاة بعد مرحلة النزاع والقدرة على الصمود واضحة. إن الحاجة إلى نهج متكامل يجمع بين بناء السلام والدعم النفسي الاجتماعي بالتسلسل أمرٌ لا يمكن المغالاة فيه. العديد من الممارسين والباحثين أثاروا أيضاً هذه النقطة.

إن بناء القدرة على الصمود، كأداةِ دعمٍ نفسي اجتماعي، يشبه تعزيز الجهاز المناعي لدى مجتمع أو فرد في خضمّ زيادة التعرّض للعنف وللصدمات النفسية.[١١] بينما هذا الأمر يعمل على المستويين الفردي والمجتمعي، يتطلّب ترسيخه بشكل أكبر تغييراتٍ منهجية ودعم مؤسساتي لا يمكنها أن تأتي إلا من خلال عمل بناء سلام جدّيّ وموثوق به. تزيد القدرة على الصمود من قدرة المجتمع على مقاومة العودة إلى الحرب والعنف.[١٢]

---

٨ فريق مرجعي من اللجنة الدائمة المشتركة بين الوكالات للصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي في حالات الطوارئ، ٢٠١٠.

٩ اللجنة الدائمة المشتركة بين الوكالات، ٢٠٠٧.

١٠ الاتحاد الدولي لجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر (IFRC) . 2009.

١١ جوترسونك وقرطاس، ٢٠١٢.

١٢ منكهاوس، ٢٠١٣.

قدّم منتقدو نهج بناء السلام تصوّراً يقول أن مجال بناء السلام يعتمد بشكل مبالغ فيه على تحليل سياقي للنزاع لإعلام وتوجيه استراتيجيات التدخل، وبالتالي، يكون التركيز دائماً على فهم نقاط الضعف وتشخيصها. هذا التركيز الضيّق لتحليل النزاع يكون معظم الأحيان عاماً جداً ويفوته وجود قوىً في المجتمع قادرة على الصمود وهي غالباً ما تكون موجودة حتى في أقصى الظروف المعاكسة.[١٣] هذا الأمر أدّى إلى تشجيع توجّه جديد على القيام بتحليل للنزاع بالتوازي مع "تقييم للقدرة على الصمود".[١٤] يمكن لفهم قدرة الصمود لدى مجتمع ما وقابليّته للتأقلم ومقاومة العنف أن يساعد كثيراً في تقديم بناء السلام كعملية تحويلية بدلاً من وسيلةٍ للاستقرار.

إن أهمية التشديد على جيوب القدرة على الصمود داخل المجتمع خلال العمل على بناء السلام أظهرها الممارسون في مجال نهج حساسية النزاع وعدم الإضرار. يشدد هذا النهج على المقسّمات وعلى الموصّلات داخل مجتمعٍ ما.[١٥] الأولى تبيّن العوامل التي تستقطب المجتمعات وتقسّمهم في ما بينهم – وتُعرَف أيضاً بالقدرة السلبيّة على الصمود؛[١٦] والثانية تحدد نقاط الوصل التي من شأنها أن تجمع في ما بين الأشخاص. يمكن اعتبار الموصلات على أنّها نواحي القدرة على الصمود التي توفّر الترابط الاجتماعي وبنية تحتية ضرورية للسلام يمكن الاستفادة منها عند القيام بعمل بناء سلام. يستخدم نهج عدم الإضرار أيضاً مصطلحات شبيهة عبر التشديد على مفهوم "القدرات من أجل السلام"، وهو بصفة أساسية محاولة تحديد الأطراف القادرة على الصمود التي من شأنها أن تشكّل نواة بناء السلام.[١٧]

لطالما اعتزّ ممارسو بناء السلام بمجموعةٍ من الفرضيات المتعلقة بسبل بناء سلام مستدام للجميع. تشمل هذه الفرضيات حقيقة أن خلق مؤسسات جديدة وتطبيق اتفاقيات السلام ووقف الأعمال العدائية تؤدي إلى سلام دائم. أصبحت هذه الفرضيات تقريباً وصفة عامة لوضع كل عمليات السلام على المسار الصحيح. إنما دون عمليات مصالحة ومعافاة مناسبة، سيبقى بناء السلام مهمة هشّة يمكن الرجوع عنها في أي وقت. إضافةً إلى أن بناء السلام يواجه في بعض الأحيان حواجز ثقافية تمنع إنجازه بطريقة كاملة وغير تنافسية.

هناك عدة خصائص عملية مشتركة بين حقلي بناء السلام والدعم النفسي الاجتماعي، إنما هناك أيضاً نقاط تحويل. الإثنان غير خطّيان بطبيعتهما وقابلان للانتكاس وللعكس. في بناء السلام، يتم تنفيذ العمل بشكل تنازلي (من القمة إلى القاعدة) وأيضاً بشكل تصاعدي (من القاعدة إلى القمة). بيد أن النهج التنازلي، المتمثّل في معظم الأحيان بأولويات النخب الحاكمة وتنفيذ اتفاقيات سياسية، يُفرض على الأغلب على الشعوب التي تشارك بشكل ضئيل. هذا الأمر لا يضمن أن الجمهور سوف يقبل الاتفاقية، أو أن المجتمعات الأكثر تضرراً ستتبنى العملية السياسية المفروضة عليها. بالتالي، قد لا يكون بناء السلام التصاعدي بالفعالية أو الحسم المرجوّين. إن المجتمعات التي لا توافق على تسوية سياسية مفروضة عليها ستواجه صعوبة في المصالحة والمضي قُدُماً. في الدعم النفسي الاجتماعي، يتم القيام بالعمل الفعّال على المستويين الفردي والمجتمعي، وبالتالي، يتوافق هذا العمل بشكل أفضل مع النهج التصاعدي الذي، إذا تمّ اتّباعه

١٣ التحالف الدولي لبناء السلام، ٢٠١٦.
١٤ المرجع نفسه.
١٥ منظمة التنبيه الدولية، ٢٠٠٤.
١٦ التحالف الدولي لبناء السلام، ٢٠١٦.
١٧ تعاونية وكالات تنمية الطفل، بدون تاريخ.

برويّة وعلى مراحل، من شأنه أن يؤدّي إلى نتائج فعّالة في الشفاء من الصدمات النفسية والمعافاة وبالتالي المصالحة. في كلا الحالتين، فإن عملية المعافاة والمصالحة، وهما ركيزتين من ركائز الدعم النفسي الاجتماعي وبناء السلام على التوالي، عمليةٌ معقّدة وطويلة الأمد ومن السهل عكسها، وهي عاطفية للغاية وتتّسم بالهشاشة.

تماماً كبناء السلام، يستخدم الدعم النفسي الاجتماعي عمليةً منظمة من الأنشطةٍ، توجّهها مبادئ اللجنة الدائمة المشتركة بين الوكالات المبيّنة أدناه. تتكوّن مبادئ اللجنة الدائمة المشتركة بين الوكالات من نهج متعدد الطبقات، يبدأ بالخدمات الأساسية والأمن، ومن ثم ينتقل إلى دعم العائلات والمجتمعات المحلية، ومن ثم إلى الدعم المركّز الغير متخصص، وأخيراً إلى الخدمات المتخصصة. إن أنواع التدخلات منظّمة بطريقة تستجيب إلى خطورة الوضع والى حجم الدعم اللازم.

إذا ما أردنا المقارنة بين هرم بناء السلام وهرم الدعم النفسي الاجتماعي، أول ميزة تلفت انتباهنا هي أنّ معظم مبادئ التدخل والأنشطة التي وضعتها اللجنة الدائمة المشتركة بين الوكالات تحصل على مستوى المجتمعات والجماهير وبشكل متواضع على مستوى القيادات من الطبقة الوسطى. إن التفاعل بين طبقات هرم الدعم النفسي الاجتماعي وقاعدة هرم بناء السلام هو تفاعل أفقيّ ومبني على العمليات بطريقة زمنية. عند قاعدة هرم بناء السلام، يتمّ بناء القدرة على الصمود والترابط الاجتماعي بشكل تسلسلي، حين أن الحاجة هي إلى فرض السلامة أولاً، من ثم الاعتراف بالأذى وأخيراً، إعادة الارتباط مع المجتمع.[١٨] إن الحاجة إلى بناء القدرة على الصمود على مراحل أكّد عليها أيضاً باحثون وخبراء شددوا على أنه على المستوى المجتمعي، غالباً ما يتفاعل الضحايا مع المرتكبين، مما من شأنه أن يؤخّر عمليتي المعافاة والمصالحة وأن يعيق بناء القدرة على الصمود والترابط الاجتماعي. لهذه الغاية، المراحل ضرورية لمنح الوقت للأشخاص والسماح لهم بالمرور بمراحل الحزن ومن ثم العودة إلى حياتهم الطبيعية.[١٩]

هناك معضلة أخرى مشتركة بين بناء السلام والدعم النفسي الاجتماعي هي مسألة الجهات الفاعلة و"من" سيقوم بعمليتي بناء السلام والدعم النفسي الاجتماعي في حالات ما بعد العنف. إن مسألة الجهات الفاعلة تطرح بُعد المشروعية والحساسية الثقافية. أولاً، في كلٍّ من حقلي الدعم النفسي الاجتماعي وبناء السلام، يجب على الجهة الفاعلة أن تكون طرفاً ثالثاً محايداً قادراً على أن يكون شاملاً وعلى أن يتعامل مع كل الأطراف بطريقةٍ موضوعية وعادلة. عادةً، تكون المنظمات الغير حكومية مرشحاً جيداً لتأدية هذا الدور، على الرغم من أنها قد تصطدم بمسألة التفاهم الثقافي وتزيد من حساسيات النزاع عن غير قصد.[٢٠] مثال شهير جداً عن جهات فاعلة حسنة النوايا قامت عن غير قصد بزيادة الحساسيات وبالتالي بإعاقة بناء السلام والمعافاة هو مدينة موستار البوسنية الكرواتية. كان الجسر التاريخي في مدينة موستار التي تربط القسمين الكرواتي والمسلم للمدينة مقصداً للسواح من كل أنحاء العالم. خلال حرب البوسنة عام ١٩٩٤، قام الكرواتيون بنسف الجسر الذي اعتبروه من مخلّفات السيطرة العثمانية، مدمّرين بالتالي ما كان البوسنيون المسلمون يعتبرونه رمزاً من رموز الهندسة المعمارية العثمانية الإسلامية. عقب اتفاقية السلام،

١٨ لامبورن وغيتاو، ٢٠١٣:٣٠.
١٩ باران، ٢٠١١:٣٨١.
٢٠ هارت وكولو، ٢٠١٤:٧٦.

قامت منظمة غير حكومية دولية بجمع الأموال وأعادت الجسر إلى سابق مجده. إلا أن هذا المشروع أصبح مصدر انقسام في موستار وهدد مسار عملية بناء السلام وجهود المعافاة. السبب وراء هذا الأمر كان أن هذه المنظمة الغير حكومية قامت، عن غير قصد، بتكليف شركة تركية بناء الجسر، مما أثار غضب الكرواتيين الذين رأوا في الأمر إهانةً لهم.

لم يبدأ مجتمع بناء السلام إلا مؤخراً في إيلاء الاهتمام اللازم إلى الحاجة إلى نشاطات دعم نفسي اجتماعي تسير جنباً إلى جنب مع النشاطات المصممة لبناء السلام. يشهد كَمٌّ متزايد من المعرفة والأدلة على الحاجة إلى وضع نهج مشترك يسلسل الدعم النفسي الاجتماعي وبناء السلام بطريقة تلبّي احتياجات الأشخاص وتطلّعاتهم في زمن التعافي في مرحلة ما بعد العنف. إن المصالحة جزءٌ لا يتجزّأ من بناء السلام، ولكي تتمكّن المصالحة من التقدّم بهدوء، هناك حاجة إلى القدرة على الصمود التي تسمح للأفراد وللمجتمع بالتأقلم وفي نهاية المطاف بشفاء الجراح والصدمات النفسية التي تخلّفها الحرب. عندها فقط يمكن تحقيق سلام مستدام.

أدّت دراسة تجربة بناء السلام في رواندا إلى خلاصةٍ مفادها أن "الخدمات النفسية اجتماعية يجب [...] أن تُعتبر جزءاً لا يتجزأ من نهج شامل لبناء السلام يعالج الاحتياجات النفسية الفردية والاحتياجات العلائقية المجتمعية إضافةً إلى الاحتياجات الجسدية".[٢١] كذلك، تشير دروس مستخلصة من البوسنة إلى الخلاصة ذاتها وهي أنّ "عمليات بناء السلام النفسية اجتماعية والتي هي على معرفة بالصدمات النفسية، أثبتت أنها توفر نظرة معمّقة في أهمية دمج العوامل العاطفية والنفسية والمتعلقة بالهوية (الملازمة للنزاعات المعقّدة والمستمرة) مع التنمية الاقتصادية والخطوات العملية للتغيير السياسي [بناء السلام]".[٢٢] هذا الأمر تثبته أيضاً تجارب من كولومبيا وأميركا اللاتينية، حيث تشير بعض الدراسات إلى أنّ "في علم النفس الاجتماعي، من الواضح أن الحل السلمي لنزاع عنيف يبقى وهم ما لم يكن هناك فهمٌ للعمليات النفسية اجتماعية التي ينطوي عليها".[٢٣]

لطالما عمل بنّاؤو السلام بشكل خاطئ على فرضية أن عملية سلام مُنفّذة بشكل جيد تُسفر عن إعادة النازحين إلى أوطانهم والى عودة إلى حياة الطبيعي معقولة، ترافقها عملية مصالحة متواضعة تقودها في معظم الأحيان الدولة، تكفي كي يتعافى المجتمع. يؤكّد بنّاؤو السلام أنه من خلال التركيز على الإطار المؤسسي للسلام وإعادة الخدمات الاجتماعية والتنمية الاقتصادية وتقاسم مقبول للسلطة، لن يكون أمام المجتمعات خيار سوى المضي قدماً والمشاركة في "الصفقة الجديدة". إن تجارب حديثة العهد من لبنان والبوسنة واليمن في فترة ما بعد الحرب وعقب الحوار الوطني الذي جرى في كلّ منها، يدحض هذه الفرضيات. أولاً، لا شيء يضمن أن اتفاقية السلام سوف تُنَفَّذ بطريقة واضحة وصريحة وأن الشعب سوف يجد آليات مشاركة للتأثير على التغيير. كما ذكرنا سابقاً، بناء السلام ليس عملية خطّيّة وقد تترتّب عليه نكسات خطيرة. إضافةً إلى ذلك، كما في البلدان الثلاثة التي ذكرناها، تمرّ فرض الاتفاقية السياسية من قبل قوىً خارجية أو نخبة سياسية وفي كلتا الحالتين، لم ينتج عنها ما يكفي من الزخم داخل المجتمع

٢١ لامبورن وغيتاو، ٢٠١٣:٣٣.
٢٢ هارت وكولو، ٢٠١٤:٨١.
٢٣ ساكيبا – رودريغيز ومونتيرو، ٢٠١٤:١١١ز

كي يتمّ تقبّلها وترسيخها في البنى الاجتماعية القائمة. في المقابل، إن التركيز على عمليات المصالحة، في معظم الأحيان بواسطة بعض أدوات العدالة الانتقالية مثل لجان تقصّي حقائق، بالكاد يكفي كي تتمكن المجتمعات من العودة إلى نقطة البداية دون المؤسسات السياسية المناسبة التي تعزز الحرية وحقوق الإنسان والمشاركة. إن تجربة هيئة الإنصاف والمصالحة في المغرب هي مثالٌ صارخ على انقطاع عملية المصالحة مع الماضي ما لم ترافقها إصلاحات سياسية متناسبة تزيد من درجة الحرية والمشاركة السياسية.

هناك أدلّةٌ كثيرة تشير إلى أن المصالحة العامة وأدوات العدالة الانتقالية التي قد توطّد الروابط المجتمعية وتقوّي الشبكات الاجتماعية، تؤدي في الوقت نفسه إلى تدهور الصحة النفسية الفردية.[٢٤] يمكن قول الشيء نفسه عن بناء السلام إذ إنه يركّز على البنى الاجتماعية والسياسية، وغالباً ما يتجاهل الرفاه الفردي.[٢٥]

يحتاج بناء السلام والدعم النفسي الاجتماعي إلى العمل معاً ضمن نهج متكامل وتحويلي، والى الاعتماد على طرائق تعبير ثقافية قائمة مثل طقوس المغفرة والصفح المجتمعية ورواية القصص والاجتماعات العامة المفتوحة، والابتعاد عن البنى الجامدة والمفروضة. في رواندا، تم اللجوء إلى نظام غاكاكا، وهو عبارة عن محاكمة علنية هي جزء من الطقوس القائمة، من أجل معالجة انتهاكات الماضي. في البوسنة، كانت حلقات رواية القصص هي الطريقة المعتمدة لمناقشة آلام الماضي ومشاركتها. فقط عندما تصبح عمليةٌ حميمة وعاطفية مثل المصالحة والمعافاة مترسخةً في الثقافة المحلية يمكنها أن تؤدّي الغاية الفعّالة التي من أجلها صُمِّمت. يجب أيضاً ألّا يغيب عن الأذهان أن بناء السلام والمعافاة من الصدمة النفسية ليسا حدثاً، إنما رحلةً يمكنها أن تكون مؤلمة ومحبطة، رحلة يتجاوب الأشخاص معها بمستويات مختلفة من الجهوزية.

لم يحسم الممارسون في كلا المجالين مسألة "متى" هو أفضل وقت لإطلاق جهود بناء السلام والدعم النفسي الاجتماعي. هل مباشرة بعد العنف فيما لا تزال الجراح تنزف وذكريات الأذى حية؟ هل من الأفضل الانتظار إلى أن يتمّ منح بعض الأمان وإعطاء بعض المساحة؟ أو هل من الأفضل العمل على المدى الطويل حين تكون الذكريات لا تزال حاضرة إنما بعيدة بما فيه الكفاية كي لا تسبب عودةً إلى العنف؟ إن كلاً من هذه الحجج لها ميزتها وجدواها، إنما هنا أيضاً توجد فرصة لمزج العمل على السلام مع العمل على المعافاة والشفاء والمصالحة. إن إنشاء مساحة آمنة وإرساء مستويات معقولة من الأمن قمّةٌ في الأهمية في أعقاب أعمال العنف، وبعد ذلك، يمكن استدعاء مواضيع أعمق ومعالجتها.

من شأن نهج متكامل في الدعم النفسي الاجتماعي وبناء السلام أن يتضمّن عدة مراحل وطبقات متشابكة وأن يتمّ بتسلسل حيث يشعر المشاركون بأنهم مستعدون وقادرون ومشجّعون على العمل على مشاكلهم. في ما يلي دورة مقترحة من شأنها أن تلخّص المراحل اللازمة لنهج مختلط يجمع في ما بين الدعم النفسي الاجتماعي وبناء السلام:

٢٤ سيليبيه، دوب وصدّيقي، ٢٠١٦:٧٨٩.

٢٥ لابلانت، ٢٠١١:٦.

الرسم ٢: المراحل الممكنة لنهج متكامل في الدعم النفسي الاجتماعي وبناء السلام

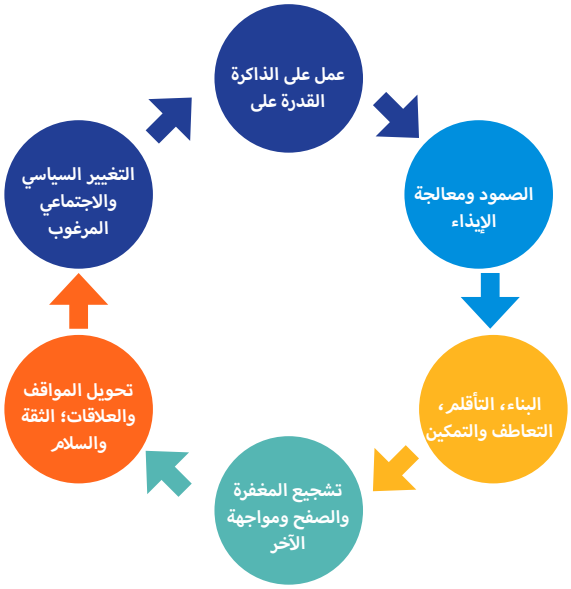

يُظهر الرسم ٢ ستّ مراحل ببنية دورية عوضاً عن البنية الخطّية، تعكس العمل اللازم للوصول إلى حالة من السلام المستدام والتغيير السياسي الحقيقي. أيٌّ من هذه المراحل ليست مباشرة وواضحة المعالم أو مستقلّة، وكلٌّ منها تتطلب عملاً عميقاً ومواءمة وتطبيقاً قبل الانتقال إلى المرحلة التالية. هناك احتمال كبير بأن تتفاعل المراحل مع بعضها البعض خلال الدورة. يجب أن تشرف على المراحل أطراف ثالثة محايدة قادرة على توفير المشورة عند الحاجة وعلى التوسط في النزاعات في أي لحظة.

٣,٢,٤. الوساطة

الوساطة عملية بناء سلام يقوم خلالها

> [...] طرف ثالث (محايد) مقبول من الأطراف، لا يملك السلطة لاتخاذ قرارات ملزمة عن الأطراف المتنازعة، يتدخّل في نزاع أو خلاف ما لمساعدة الأطراف المعنية على تحسين علاقاتهم، يعزز عمليات التواصل، ويستخدم إجراءات حل مشاكل وتفاوض فعّالة بهدف التوصّل إلى تفاهمات أو اتفاقيات مقبولة من كل الأطراف حول مسائل متنازع عليها.[٢٦]

إن الهدف الأساسي للوساطة هو جعل الأطراف – بمساعدة الوسيط – يواجهون بعضهم البعض، ومظالمهم ويتوصّلون إلى تسوية قائمة على مصالحهم المشتركة. في السنوات الأخيرة، استحدث وسطاء بناء السلام ما يُعرف بالوساطة التحويلية القائمة على مساعدة الأطراف على التوصّل إلى اتفاقية تذهب

٢٦ مور، ٢٠١٤:٨.

أبعد من مصالحهم المشتركة وتقوم على احتياجاتهم العميقة. هذا النهج الذي يُطلق عليه اسم الوساطة التحويلية يركّز فقط على تحويل العلاقات وتمكين احتياجات الأطراف والاعتراف بها.[٢٧] يتوسّع بورجس حول الموضوع فيقول:

> إن التمكين، بحسب بوش وفولجر، يعني مساعدة الأطراف على تحديد مشاكلهم وعلى إيجاد حلول لها بأنفسهم. الاعتراف يعني مساعدة الأطراف على رؤية وجهة نظر الشخص الآخر وفهمها – فهمٌ كيف يحددون المشكلة ولماذا يطلبون الحل الذي يطلبونه.[٢٨]

إن النهج التحويلي وغيره من نُهُج الوساطة التي لا تركّز على حلّ المشاكل، تبتعد عن أولية التوصّل إلى اتفاق كي تركّز على إعادة بناء الثقة والتفاعل، وفي نهاية المطاف، إعادة بناء العلاقة الإيجابية بين الأطراف. إن بناء السلام يستخدم هذه النُهُج بهدف تعزيز النمو والمعافاة، كما وأنه يرى في النزاع فرصةً ينبغي انتهازها، لا مشكلةً يجب حلّها. خلال عمليات الوساطة هذه، يركّز الوسطاء على العملية بحدّ ذاتها وعلى تمكين الأطراف من الاعتراف ببعضها البعض ومن التوصّل إلى تفاهمات متبادلة تؤدّي إلى التعاطف، وهو مفهوم تحويلي آخر في الوساطة.

قد تكون وساطة العدالة التصالحية، والتي تُعرف أيضاً بالوساطة بين الضحية والمعتدي، هي الأقرب إلى الدعم النفسي الاجتماعي. تُعَرَّف العدالة التصالحية على أنها "عملية تحظى خلالها كلُّ الجهات المعنية التي تعرّضت لنوع من أنواع الظلم على فرصة لمناقشة الظلم الذي حلّ بها ولتقرير ما يجب القيام به لإصلاح الضرر. في حالات الجرائم، تهدف العدالة التصالحية إلى تعزيز الفكرة القائلة: "لأن الجريمة تسبب الأذى، يجب على العدالة أن تؤدي إلى المعافاة".[٢٩] عوضاً عن اتباع نهج تفاوض منظّم، يرى وسطاء العدالة التصالحية أنه "يجب على الأحقاد [...] أن تشفى من القاع إلى القمة، ومن القمة إلى القاع. لذلك، وعلى الرغم من أهمية الدبلوماسية التصالحية التي يتّبعها الدبلوماسيون المحترفون، نقوم بشكل مستمر بارتكاب خطأ إهمال العدالة التصالحية غير الاحترافية لضحايا الحرب".[٣٠]

تنقسم أنماط الوساطة إلى نهجين: النهج البنيوي والنهج الاجتماعي النفساني. يعتمد النهج الأول على استخدام الحوافز وتقنيات الترغيب والترهيب وغيرها من طرق الإقناع بهدف التوصل إلى تسوية. يُستَخدم النهج البنيوي عموماً في الدبلوماسية الدولية والمفاوضات العالية الخطورة كخلافات النقابات العمّالية وغيرها من الأوضاع المماثلة[٣١]. أما النهج الاجتماعي النفساني فيستخدم حلقات العمل التواصلية بهدف تعزيز التفاعلات وزيادة الوقت الذي يمضيه الأطراف معاً إلى أقصى حدٍّ ممكن.[٣٢] ويرتكز نهج الوساطة هذا على الحوار ويعمل على تلبية احتياجات الأشخاص، ويشبه من هذه الناحية العدالة التصالحية. وفيما يستخدم بناة السلام عادة مزيجاً من النُهُج، إلا أنهم يميلون إلى تفضيل النهج الاجتماعي النفساني كالسبيل الرئيسي نحو المصالحة.

---

٢٧ بوش وفولجر، ٢٠٠٤.
٢٨ بورجس، ١٩٩٧.
٢٩ برايثوايت، ٢٠٠٤:٢٨.
٣٠ المرجع نفسه، ٢٩.
٣١ كروكر، هامبسون وآل، ١٩٩٩: ٢٠.
٣٢ المرجع نفسه، ٢٢.

إضافةً إلى ذلك، غطّت دورات الماجستير بناء السلام الثقافي والنفسي عبر تغطية مواضيع مثل الثقافة العميقة (المعتقدات المترسخة في الأشخاص) والبنية العميقة (مثل النظام المترسخ الذي نعيش داخله). ركّزت الوحدة على كيفية تحويل تقاطع الثقافة العميقة والبنية العميقة للعنف واستبدالهما بثقافة ونظامٍ من أجل السلام.[٣٣]

مما يتبيّن، يبدو جلياً إذن أنه إضافةً إلى الشواغل المشتركة الموجودة بين عمل بناء السلام والدعم النفسي الاجتماعي، هناك أيضاً روابط مشتركة بينهما. يركّز وسطاء السلام بدرجة أقل على حل المشكلة والتوصل إلى اتفاق وبدرجة أكبر على إصلاح العلاقات وبناء الثقة. في الدعم النفسي الاجتماعي، يُعتبر التعامل مع الصدمة النفسية وزيادة القدرة على الصمود وإعادة التواصل مع المجتمع من خلال بناء علاقات جديدة عاملاً أساسياً في الحصول على نتيجة موفّقة. يقوم منظورا المداخلة كلاهما بتلبية احتياجات المشاركين وبالتشديد على تنمية وكالة الأفراد واستقلاليتهم كي يصبحوا أعضاء فاعلين في المجتمع. لقد عمل الممارسون في كلا المجالين بشكل متوازٍ لوقت طويل؛ لقد حان الوقت لكي يعملوا معاً، جنباً إلى جنب.

٣,٣. تحديد النطاق الجغرافي للفصل

حتى العام ٢٠١٣، احتلت أفغانستان المرتبة الأولى كأسوأ كارثة لجوء وكارثة إنسانية في القرن الحادي والعشرين. لكن استفحال الحرب السورية والتدهور السريع والمتصاعد للوضع في البلد فاق ضخامة الكارثة الأفغانية. لقد دفعت الحرب السورية نصف السكان إلى البحث عن مكان آمن بعيداً عن ديارهم. يعيش حوالي ٤,٨ ملايين سورياً في بلدان مجاورة، أكثر من مليون شخص منهم لاجئون في لبنان،[٣٤] محطّ تركيز هذا الفصل. إن الأطروحات التي تمت دراستها في ما يلي تغطي السكان اللاجئين في لبنان وعلاقتهم مع المجتمع المضيف. كما وأنها تغطي عدداً من الدراسات الميدانية التي جرت مع نازحين سوريين داخل الجمهورية العربية السورية.

٣,٤. تحديد النطاق المواضيعي للفصل

يرتكز الفصل على إحدى عشر أطروحة ماجستير تم إصدارها كجزء من برنامج ماجستير تنفيذي في الدعم النفسي الاجتماعي والحوار نظّمته الجامعة اللبنانية عام ٢٠١٤ بالاشتراك مع المنظمة الدولية للهجرة في بيروت. ضم البرنامج طلاباً سوريين ولبنانيين مرتبطين بمنظمات غير حكومية أو بمبادرات جارية وقرروا الحصول على شهادة جامعية مع تطبيقات عملية. ستٌّ من الأطروحات التي تشكّل صلب هذه الدراسة

٣٣ آر اي، ٢٠١٤.

٣٤ Mercy Corps، ٢٠١٧.

تمزج في ما بين نهجي الدعم النفسي الاجتماعي وبناء السلام في أعمالها الميدانية، فيما تركّز الأطروحات الخمس الباقية على تقنيات بناء السلام مع بعض التأملات في الدعم النفسي الاجتماعي وتأثيرات ذلك على عملهم.

بعض الدراسات مبنية على أدّلة علمية وملموسة – عند توفّرها – إنما أغلبية هذه الأطروحات مبنية على ملاحظات متناقلة أو ميدانية. بطبيعة الحال، بعض الطلاب الذين عملوا في لبنان تمكّنوا من الحصول بشكل أفضل على معلومات ومواضيع متعلّقة بالدراسة، فيما واجه نظراؤهم في الجمهورية العربية السورية بعض العقبات والتباينات عند محاولتهم الحصول على المعلومات وجمعها. تختلف الملامح الديمغرافية للدراسات بين الأطفال والنساء أو البالغين عموماً. في القسم التالي من هذا الفصل، هناك محاولة – حيث أمكن – لتسليط الضوء على الأعمال التي أخذت بالاعتبار بعضاً من النقاط البارزة المذكورة أعلاه.

٣,٥. تحليلات نقدية مبنية على النتائج المستخلصة من الأبحاث الميدانية وعلى المؤلفات الأدبية ذات الصلة

سوف يحاول القسم التالي أن يناقش ويحلل بطريقة نقدية الأطروحات التي تم تقديمها في إطار برنامج الماجستير التنفيذي في الدعم النفسي الاجتماعي والحوار عام ٢٠١٤. فيما تغيّرت الكثير من الوقائع على الأرض حيث تمّت الأبحاث، لا يزال بالإمكان استخلاص دروس تساعد على برمجة تدخلات مستقبلية.

٣,٥,١. حوار ذات احتياجات خاصة

هذه محاولة

> لاستكشاف دور الشباب السوري، الذي يشكّل أغلبية المجتمع السوري، في تسوية النزاع وكيف يمكنه أن يشارك في بناء السلام في المجتمع، والمبادرات التي تم أخذها لتسوية النزاع، وواقع الحوار في هذه الأزمة وكيف يمكن نشر ثقافة الحوار والتفاوض.[٣٥]

هناك ثلاثة أهداف معلنة للدراسة: "تقييم واقع الحوار والتفاوض من خلال مجموعات عمل تضم جمعيات ومنظمات محلية تعمل أيضاً في هذا المجال، إضافةً إلى وسائل الإعلام، ومن خلال دراسة بعض المبادرات وعمليات الحوار الشبابية".[٣٦] تعتزم الدراسة أيضاً "خلق كادرٍ من المحاورين والمفاوضين والوسطاء المؤهلين لتقديم برامج نوعية من خلال التدريب"، و"خلق شبكةٍ من المفاوضين والوسطاء تكون مستقلّة

٣٥ طعمة، ٢٠١٥.

٣٦ المرجع نفسه.

من حيث البنية القانونية، تقوم بوضع برامجها التنفيذية بالتعاون مع المجتمعات والمنظمات المحلية العاملة على الأرض وأيضاً مع الحكومة".[٣٧] هذا أمور يصعب بحثُها ودراستها في الوقت القصير المتوفر للدراسة واستخلاصُ بعض الدروس المفيدة.

تتمحور إشكالية البحث حول استكشاف دور الشباب السوري المُدَرَّب على الحوار وتسوية النزاعات. تعتمد على أدوات تسوية النزاع التي تمرّ استعراضها خلال دورات الماجستير، وبالتحديد تعريف النزاع وديناميكيات التصعيد الخاصة به ومدارس تسوية نزاع فكرية متعددة. استعرض المؤلف أيضاً بايجاز بضع مفاهيم حول بناء السلام، بالتحديد نظرية غالتونغ التي تُعرف بـ "التسوية، وإعادة الإعمار والمصالحة". حيث أن الأطروحة هي حول مبادرات الحوار، ركّز المؤلف على تعريف الحوار ومراحله وشروط المشاركة فيه وأهمّيته كوسيلة لتسوية النزاعات وبناء السلام.

إن المنطلق الأساسي للبحث هو استكشاف ما إذا كان بالإمكان التوصل إلى حلٍّ للأزمة السورية من خلال وسائل الحوار والتفاوض السلمي، خصوصاً بين الشباب. لهذه الغاية، لجأ المؤلف إلى مجموعات التركيز والمقابلات الشبه منظمة لتحليل بعض "أبرز مبادرات [الحوار] هذه، والمتوفّرة لدراسة تحدّياتها ونتائجها وأساليبها".[٣٨] من خلال بحث مبادرات الحوار، أمل المؤلف في استكشاف ما إذا كان بإمكان هذا البحث أن يجيب عمّا إذا كان "حوار الشباب هو أفضل طريقة لتحقيق السلام الاجتماعي وما هي النتائج والتحديات التي برزت خلال مبادرات الشباب هذه".[٣٩]

تركّز الدراسة على مبادرتي حوار تمرّ عقدها في دمشق ومن ثم انتشرتا في محافظات أخرى. بيد أن كلتا المبادرتين أدارتهما جماعات قد تعتبر غير حيادية في نظر كافة أطياف المجتمع السوري عموماً. منظّما الحوار هما الأمانة السورية للتنمية والاتحاد الوطني لطلبة سوريا، اللذان يعملان عن قرب مع القوى السياسية المسيطرة. ضمّت مبادرة الحوار الأولى التي أُطلق عليها تسمية "دردشات" ٤٢١ مشاركاً؛ بيد أن المعايير التي على أساسها تم اختيار المشاركين لم تكن واضحة ولم يكن واضحاً ما إذا كانوا يمثّلون الانتماءات السياسية المتنوّعة داخل البلاد. يتوضّح من تحاليل نتائج الحوار التي ذكرها المؤلف في عمله أن بعض المشاركين كانوا يخشون على ضمان حرية التعبير وعلى قدرتهم على التعبير عن أنفسهم بحرية دون تهديد أمنهم. هذا الأمر مؤشر على أن بعض الحاضرين في جلسة الحوار لم يعتبروا أنفسهم موالين لأحد الأطراف وبالتالي كانوا قلقين على أمنهم.

استعانت هذه الحوارات، بحسب المؤلّف، بميسّرين ووسطاء مدرّبين اقترحوا بنيةً للحوار مع مدونات لقواعد السلوك. إن الاستعانة بميسّر لإدارة الحوار عمليةٌ شائعة نسبياً في أوساط بناء السلام. بيد أنه لم يكن واضحاً ما إذا كان هؤلاء ميسّرين مدرّبين أو مجرّد أشخاصٍ يرتجلون في اللحظة. تناول الحوار قضايا مثل مستقبل الحكم وسيادة القانون وفساد القتال، وهذه كلها قضايا جوهرية في بناء السلام. مجدداً، لم يتّضح العمق الذي بلغه نقاش هذه القضايا أو النتائج التي توصّل إليها. من خلال تقييم مجموعات التركيز ومن المقابلات، تبيّن للمؤلف أن الشباب الذين شاركوا في الحوار كانوا محبطين لأن القرارات التي نتجت

٣٧ المرجع نفسه.
٣٨ المرجع نفسه.
٣٩ المرجع نفسه.

عن الحوار لم يتمّ نشرها ولأن لا أمل لها بأن تذهب إلى أبعد من كونها مجرد نقاشات. إضافةً إلى ذلك، في كلا المبادرتين، تساءل المشاركون في الحوار حول الخطوات التالية في الحوار وحول ما سوف يليه دون أن يحصلوا على إجابات مقنعة.

ضمّت مبادرة الحوار الثانية، والتي أطلق عليها تسمية "جدول أعمال الشباب"، عدداً أكبر من المشاركين على ما يبدو، وتناولت قضايا مماثلة لتلك التي تناولتها المبادرة الأخرى، مع إضافة موضوع المواطنية. لم يختلف تقييم هذه المبادرة عن سلفه من ناحية أن المشاركين كانوا أيضاً محبطين بسبب عدم وجود استمرارية للحوار، ولأنّ المواضيع التي تمّت مناقشتها كانت واسعة وعامة جداً ولم تغُص في القضايا الوجودية، كما وأنها لم تتوصّل إلى نتائج حاسمة. استخدم المؤلف مبادرات الحوار هذه لاستكشاف إمكانية إرساء ثقافة حوار ووساطة في الجمهورية العربية السورية. بيد أنّ كلتا المبادرتين عجزتا عن التوصل إلى دليل حاسم على ما إذا كان بإمكان الحوار أن يُستخدم بطريقة حرّة وجدّية لحلّ القضايا السياسية في السياق السوري. إضافةً إلى ذلك، فيما يختم المؤلف باقتراحٍ يتعلّق بإنشاء جمعية للوسطاء الشباب، لا تسمح الأحداث الجارية وتلك التي أحاطت بمبادرات الحوار عند كتابة هذه الكلمات بمعرفة ما إذا كان ذلك ممكناً أو حتى فعّالاً.

لا توفّر مبادرات الحوار التي تمّت مناقشتها في البحث دليلاً كافياً على فعالية هكذا مبادرات أو حتى على الرغبة في اللجوء إليها في ظل الظروف الراهنة للتوصّل إلى بناء السلام أو كي تكون خطوة باتّجاه المعافاة والمصالحة. في الواقع، قام المؤلف بتقييم مبادرات حوار كانت قائمة وعلى ما يبدو أُبرمت أو توقّفت في وقت كتابة التقييم وعانت من نقص في التمويل وفي الاستمرارية. إن مسألة الاستمرارية وحقيقة أن هذه الحوارات– لا تبدو راسخة في المجتمع السوري ولا تشكّل جزءاً من مشروع سلام، تقولان القليل عن فعاليتها وعن وجود آفاق لها في المستقبل. من الناحية الإيجابية، إن بدء حوار في خضمّ العنف المستمر وإشراك شباب فيه هو في العادة فكرةٌ حسنة وقد تخدم في بناء ما يمكن تسميته لاحقاً "البنية التحتية للسلام" الضرورية لإطلاق مبادرات بناء السلام والمصالحة.

تتطلّب مبادرات الحوار الناجحة، مهما كانت صغيرة المستوى، بعض الشروط لنجاحها. أولاً، يجب على القوى الداعية أن تكون موثوقة وموضوعية وعادلة. يجب على الفريق الميسّر أن يكون مدرّباً تدريباً جيداً ومتمرّساً. يجب أن يجري الحوار في بيئة مؤاتية وأن يملك نتيجة نهائية في الأفق وجدول أعمال واضح ومحدد ومحطات بارزة. أخيراً، يجب أن تكون هناك إرادة سياسية قوية تدعم الحوار، ويجب أن تمثّل نخبة مكوّنات المجتمع. في مبادرات الحوار التي قيّمها طعمة، العديد من الشروط المسبقة للنجاح لم تكن مستوفاة، وتناولت مبادرات الحوار مجموعة عامة من المواضيع غير الواقعية على الأرجح في السياق السياسي الذي تسير فيه. بيد أن اقتراح المؤلف إنشاء فريق وساطة من شأنه أن يكون عملية مفيدة إذا استوفى عدداً من الشروط المحددة مسبقاً التي تسمح له بالنجاح. دراسة طعمة لا تذكر أيّاً من هذه الشروط.

٣,٥,٢. تكييف حلقات عمل حول معاهدات السلام

استخدمت الباحثة عون في عملها مفاهيم مستخرجة مباشرة من برنامج الماجستير لتكييف حلقات عمل حول معاهدات سلام موجودة أصلاً تستخدمها منظمة "أطفال الحرب هولندا"، لبناء السلام وتوفير الدعم

النفسي الاجتماعي للاجئين وللمجتمعات المضيفة في لبنان. هدف عون الأساسي هو:

> توعية الشباب على تفادي النزاعات وبرامج بناء سلام [...] لاستخدام تقنيات بنّاءة مماثلة لتحسين ظروف حياتهم وبالتالي ظروف المجتمعات التي يسكنون فيها. من شأن البرنامج أن يقدّم لائحةً بخيارات تتعلّق بمهارات حياتية تهدف إلى تحويل مواقف الشباب من تفاعلات صدامية وعدائية إلى علاقات ودّية وبنّاءة وتعاونية.[٤٠]

بعد استعراض شامل للمؤلفات الأدبية حول برامج تسوية النزاع الموجّهة إلى الشباب وكيف يمكن تكييفها لتتلاءم مع بيئات الحرب وحالات ما بعد الحرب، عمدت عون إلى إعادة هيكلة معاهدات السلام، التي تتألف من مجموعات متنوعة من الأدوات الموجّهة إلى فئات مختلفة من الجمهور (مثل الوالدين والشباب والبنات) والتي تهدف إلى تمكين الأطفال كي يصبحوا "عملاء للسلام وللتغيير" داخل مجتمعاتهم من خلال تجهيزهم بمهارات السلام وآليات التأقلم. حددت عون أيضاً أثر برنامج الماجستير على التأثير في طريقة تفكيرها في إعادة هيكلة أدوات المعاهدة. سمح برنامج الماجستير لعون بفهم أدوات مثل نموذج الدائرة المعقّدة وتقنيات تسوية النزاع والفنون في النزاع وكيف بإمكانها دمج هذه الأدوات في عملها.

من ضمن الأسئلة التي طرحتها عون في بحثها: "هل سيسمح البرنامج الجديد بفهمٍ أفضل للنزاع؟ هل سيوفّر مهارات وأدوات تسوية نزاع أفضل؟ أي أثر سوف يحسّن على المستوى الفردي للنزاع؟ أي أثر سوف يُنتج على المستوى المجتمعي للنزاع؟ وأخيراً، هل ستعزز معاهدة السلام الجديدة ثقافة سلام؟" انطلاقا من هنا، قامت المؤلفة باستعراض مفصّل ونقديّ لمحتويات جلسات مجموعة أدوات المعاهدة القائمة وانتهت بمحدودياتٍ واقتراحات حول طريقة إعادة هيكلة برنامج المعاهدة وتعديله وتحسينه. لهذه الغاية، اقترحت عون أن تحمل المعاهدة الجديدة عنوان:

> معاهدة السلام: فلنبدأ مني، فلنبدأ منّا، ولننشر السلام في العالم. إن الهدف الأساسي لصفقة السلام الجديدة هو تحقيق تغيير إيجابي كبير داخل الفرد، ومن ثم تعميمه على المجتمع. لن تحاول حلقة العمل أن تحسّن من الترابط الاجتماعي بين المشاركين اللبنانيين والسوريين؛ لكنّها سوف تعمل على بناء أرضية جديدة لثقافة سلام ستعزز قبول الآخر، وعدم إصدار الأحكام، والتعاطف وستمكّن الشباب من دحض الصور النمطية المتجذّرة والسلوك العنيف [...].[٤١]

يستخدم بحثها المنهجي النظرية والتطبيقات التي تعلّمتها في دورة الماجستير كي تجرّبها وتطبّقها في الصفقة الجديدة المقترحة. النتيجة هي مجموعة أدوات صفقة سلام يمكن تطبيقها مع توقع نتائج مختلفة. عمدت عون إلى إعادة هيكلة وتنظيم مجموعة أدوات الصفقة، مستوحيةً من نموذج الدائرة المعقدة ومسرح المضطهدين ونموذج التجسيد والإسقاط والدور التي تمّ تقديمها خلال برنامج الماجستير. خلال هذه العملية، استخدمت دائرة النزاع ومراحل تصاعد النزاع والتواصل الخالي من العنف لإعادة تنظيم عملية التدريب على المعاهدة وإعادة تصميمها. من خلال هذا الأمر، استخدمت عون بشكل مباشر المواد والمعارف التي اكتسبتها من برنامج الماجستير كي تضع نهجاً مبتكراً يتعامل مع تحديات جديدة منبثقة عن

٤٠ عون، ٢٠١٤.

٤١ المرجع نفسه.

الحرب والنزوح والعنف. إضافةً إلى ذلك، فإن التفاعل الذي أظهرته بين المواد المستخدمة هو مثال بارع على كيفية استخدام أدوات الدعم النفسي الاجتماعي في بناء السلام، والعكس صحيح؛ إن النتيجة هي مزج مثاليٌّ لكلا المجالين لما فيه منفعة المستفيدين المحتاجين.

إن البرنامج الذي أعادت عون تصميمه مبنيّ حول نموذج التعلّم الاختباري الذي يصادق على تجارب المشاركين ويمكّنهم بواسطة أدوات جديدة بالإضافة إلى إمكانية اختبارها والتأمل فيها خلال التدريب. تجدر الإشارة إلى أن مجموعة الأدوات التي تقترحها ليست مجرد تدريب، بل تذهب أبعد من ذلك لتحثّ المشاركين في المعاهدة على صناعة خطة السلام الخاصة بهم التي تتجاوز حلقة العمل إلى التطبيقات الملموسة. في هذا السياق، تجاوزت برامج المعاهدة إطار تقديم قدرات بناء مهارات لتصل إلى تزويد المشاركين بمجالات لتطبيق مهاراتهم. تمت إعادة تصميم البرنامج للتأكد من أن التدريب يستهدف تغييراً في المواقف لدى المشاركين من خلال وضع عملية تبدأ بتحديد هدف شخصيّ لكل متدرّب ومن ثم رسم مسار لتحقيق هذا الهدف، وأخيراً وضع خطة سلام والمشاركة في "تدريب في الموقع" ينفّذه خبراء في الدعم النفسي الاجتماعي وبناء السلام. تم تصميم القسم المتعلّق بالتدريب للتأكّد من أن المتدربين قد حصلوا على المساعدة اللازمة للتغلّب على التحديات وتطبيق ما تعلّموه. من هذا المنطلق، حاولت عون التأكد من أنّ "فور تحوُّل [المهارات] إلى طريقة تفكير مبنية على السلام سيتمكّن [المشاركون] من الوصول إلى مجتمعاتهم ونشر رسائل سلام في بيئتهم ومن أن يصبحوا وكلاء للتغيير".[٤٢]

يستهدف البرنامج الذي تقترحه عون تحسينات شخصية لدى الأشخاص ويحرص على أن تتم إعادة بناء القدرة الفردية وأن يُسمح لها بالنمو، بيد أن تنفيذ هذا البرنامج – كما ذكرت في دراستها – لم يكن خالياً من التحديات. من أول التحديات التي واجهتها المؤلّفة هي القدرة على إقناع شباب متهكّم بأن "السلام" كمفهوم هو لصالحهم ولصالح مجتمعهم وأنه إذا ما تمّ تطبيقه، فقد يحقق نتائج جيّدة. هذا التهكّم جعل من الصعب أحياناً إقناع الشباب بالاشتراك في تدريب معاهدة السلام والالتزام به. تحدٍّ آخر، بحسب قول المؤلفة، تمثّل بتباطؤ هذا العمل بسبب البيئة الثقافية المحرِّمة حيث كانت القيم والمعتقدات الراسخة مرتبطةً بالنزاعات القائمة. هذا الأمر أبطأ، وفي بعض الأحيان، منع تغيير ذهنية الأشخاص من مجرّد حلقة تدريب. ثالثاً، كان تطوير البرنامج يجري في خضمّ استقطاب مجتمعي حاد وعدائية متزايدة ضدّ اللاجئين، مما جعل عمل الميسّرين، ألا وهو إقناع المشاركين برؤية بدائل للتمييز والعنف، أكثر صعوبةً.

ترى عون في دراستها في التحديات المذكورة أعلاه محفّزات لإعادة تنظيم البرنامج بطريقة تستجيب لكل تحدٍّ من هذه التحديات وفي نهاية المطاف تؤدي إلى تحفيز تكوين ثقافة سلام. لهذه الغاية، خصصت عون قسماً من برنامج المعاهدة الذي أعادت هيكلته للعمل على مجموعات المهارات المطلوبة من ميسّري المعاهدة، تتمّمها دراسات مرجعية حول التدريب ونشاطات رصد وتقييم لتتأكد من أن أهداف كل دورة تدريبية قد تحقّقت. إن توسيع عون وتعزيزها لمنهجية التدريب كي تصبح أكثر تفاعليةً وإثارةً وكي تلجأ إلى خبرات المشاركين في التمرين، وتحويلها حلقة العمل إلى محاكاةٍ للحياة الواقعية سوف يحسّن دون أدنى شكّ من فعالية التدريب وإمكانية تطبيقه.[٤٣] عندها، سيؤدي تدريب المتابعة والتدريب في الموقع إلى

٤٢ عون، ٢٠١٤.

٤٣ عون، ٢٠١٤.

توطيد المعارف التي اكتسبها المشاركون خلال التدريب. من خلال هذا النهج، ستحظى معاهدات السلام بهيكليتها الجديدة التي تجمع في ما بين مبادرات الدعم النفسي الاجتماعي ومبادرات بناء السلام، بفرصة أكبر للاستجابة إلى الحاجة الملحّة إلى إشراك المشاركين على كل مستويات التفاعل المعرفي والعاطفي والسلوكي.

قدّمت دراسة عون مثالاً عن حبك مفاهيم ومهارات ومعارف رئيسية متعلّقة بالدعم النفسي الاجتماعي وبناء السلام في برنامجٍ بناء قدرات واحد. إنّ مجموعة الأدوات التي نتجت عن هذه العملية هي واحدة من أكثر المجموعات ندرةً في المجال التي تحاول بجرأةٍ تقديم هذين المفهومين الممزوجين في بيئة من الأحداث السريعة التغيّر ومن التحديات والأعمال العدائية المتزايدة ومن الجهات المعنية غير المتعاونة عموماً. لكن كون هذا البرنامج يتم تنفيذه في سياق عمل جارٍ لمنظمة دولية يمنحه الفرصة والإمكانية اللازمتين للنجاح. إن جهود المؤلفة تستحق الثناء وإعادة النظر فيها لرؤية الأثر الذي خلّفه البرنامج بتصميمه الجديد.

٣,٥,٣. تسوية النزاعات في الأزمات: ملاجئ اللاجئين في لبنان كنموذج

تسعى هذه الدراسة التي أجرتها أماني كبريت إلى تسليط الضوء على أهمية حل النزاعات الشخصية داخل الملاجئ كوسيلة لتقديم الدعم النفسي الاجتماعي للعائلات السورية اللاجئة التي تعيش داخل ملاجئ لبنانية، حيث تضاعف عدد النزاعات منذ قدوم اللاجئين السوريين. يرتكز البحث على ملجأ واحدٍ بالتحديد، وهو عيّنة تمثّل مشاكل مماثلة في ملاجئ أخرى في كل لبنان. من خلال هذه الدراسة، تسعى المؤلفة إلى تحديد أنواع النزاعات التي تنشب داخل ملاجئ اللاجئين، والى طرح منهجية للتسوية، والى الترويج لفكرة إنشاء وحدة تسوية نزاعات داخل الملاجئ يمكنها الاستجابة لأي نزاع قد ينشأ وتقديم خدمات تسوية. تشدد كبريت في دراستها على ضرورة هذا الأمر، حيث أن العاملين في الملاجئ منهمكين في تأمين الخدمات الأساسية وبالتالي لا يمكنهم إيلاء الاهتمام اللازم للنزاعات التي تعيق عملهم.

تركّز المؤلفة بشكل أساسي على المسائل التي تتعلّق بتسوية النزاعات؛ بيد أنها ضمّنت عملها بُعداً يتعلّق بالدعم النفسي الاجتماعي من خلال إعادة صياغة مشكلة البحث كمجهود لتحديد آثار النزاعات على العائلات وعلى حياتهم اليومية، وآثار الخلافات على قدرة الأشخاص على طلب الدعم النفسي الاجتماعي، وآثار الخلافات المستمرة على العلاقات بين أفراد العائلات. استخدمت كبريت الوصف التحليلي واستندت إلى المقابلات الميدانية ومجموعات التركيز لتجري بحثها على عائلة مؤلفة من عشرين فرد داخل ملجأ للاجئين في جبل لبنان يضم فريق عمل مؤلف من ثلاثة أشخاص (يشكّلون أيضاً جزءاً من جمع المعلومات).

يُظهر الاستعراض الأدبي الذي قامت به كبريت فهماً عميقاً للأدوات التي تمّ شرحها خلال دورات الماجستير، خاصةً في ما يتعلّق بمفاهيم النزاع وتعريفاته، ونموذج التصعيد، وأنواع النزاعات وديناميكياتها، ومختلف المدارس الفكرية والمهارات اللازمة، مثل التواصل والاستماع الفعّال. سلّطت كبريت الضوء أيضاً على العمليات المتعددة المستخدَمة في تسوية النزاعات، مثل الوساطة والتفاوض وغيرها وفوائد كلٍّ منها. إنّ هذا الاستعراض نقطة انطلاق مهمة لربط الحاجة إلى وحدة تسوية نزاعات بالنظرية وبتطبيقاتها. تختم المؤلفة استعراضها بنقاش حول أهمية الإيواء وحول ضرورة أن تشمل سياسات الملاجئ والخدمات التي

تقدّمها دعماً نفسي اجتماعي ومساعدات خاصة للاجئين الذين قد يعانون من مشاكل نفسية فظيعة.

أقامت كبريت في استعراضها رابطاً طبيعياً بين الدعم النفسي الاجتماعي وبناء السلام من خلال تقديم حجة مقنعة تبرّر الحاجة إلى غرس آليات تسوية النزاع داخل الخدمات الاجتماعية – من ضمنها الدعم النفسي الاجتماعي – في ملاجئ اللاجئين. إن النزاعات في ملاجئ كهذه غالباً ما تكون بُعداً منسيّاً، وغالباً ما يظن الناس بأنها ستُحلّ من تلقاء نفسها بمجرّد أن يتم توفير المساعدات. إن النزاعات، إذا ما لم تتم تسويتها في حالات الشدة، يمكنها أن تؤدي إلى تفاقم الأمور وأيضاً إلى المزيد من الاضطرابات النفسية اجتماعية، كما وأنه يمكنها أن تفرغ كل الخدمات من معناها وأن تحدّ من فعاليتها. من هنا أهمّية الجمع بين بناء السلام والدعم النفسي الاجتماعي للتأكد من تكامل هاتين الخدمتين مع السيطرة على الأثار السلبية.

أثبتت المؤلفة وجهة نظرها والحاجة بوضوح من خلال الاستعراض اللاحق لمسائل رئيسية تحيط بالعدد المتزايد للاجئين السوريين، وبمشاكل النزوح المتفاقمة وبالعبء الذي تضعه هذه المسائل على السلطات والمجتمعات اللبنانية وعلى المنظمات الدولية العاملة في لبنان وعلى المنظمات الغير حكومية المحلية. في هذا السياق، تشير المؤلفة إلى أن تفاقم الكارثة الإنسانية (مع التدفّق المستمر للاجئين في العام ٢٠١٤) ترافق مع انخفاض ملحوظ في التمويل وفي نوعية وكمية الخدمات التي تقدّمها المنظمات غير الحكومية المحلية. في خضمّ كل هذا، تزايدت الحاجة إلى الخدمات ذات الطابع الإنساني والعاجلة، خصوصاً الحاجة إلى خدمات نفسية اجتماعية للاجئين والمجتمعات المضيفة. الأمر الآخر الذي تبيّن من استعراض المؤلفة كان تزايد الحاجة أيضاً إلى العمل على قضايا متعلقة بالنزاعات والى فتح قنوات التواصل.

في قسم منفصل، يشير البحث إلى أنواع وحدة النزاعات التي شخّصتها المؤلفة وبحثتها من خلال مقابلات وجمع معلومات من أحد مراكز إيواء اللاجئين، الذي هو موضوع الدراسة. في الأمثلة، تضع المؤلفة لائحةً بالنزاعات الشخصية والنزاعات داخل العائلات، تلك التي لا تحتاج إلى وساطة فحسب، بل أيضاً إلى العمل على إعادة بناء العلاقات الذي يأتي بالبُعد النفسي اجتماعي. إضافةً إلى وضع لائحةً بأنواع النزاعات التي تنشب في الملجأ، غاصت المؤلفة بشكل أعمق في آثار هذه النزاعات على نوعية الخدمات التي يقدّمها الملجأ وثباتها وسمعتها. في الواقع، في الكثير من الأحيان، تتصاعد النزاعات لدرجة أنها تهدد بتوقف الخدمات وحتى بتدخّل قوى الأمن البلدية لإعادة النظام.

تبني المؤلفة على آليات تسوية نزاع قائمة تعاني من فعالية محدودة داخل الملجأ. حتى وقت القيام بالبحث، كان مدير الملجأ هو من يقوم بمعالجة النزاعات التي تنشب، وكان يعمد إلى جمع الأطراف المتنازعة ومحاولة التوصل إلى حل. كل هذه التدخلات، بحسب المؤلفة، كانت تتم بطريقة بدائية دون أي تدريب أو تماسك إجرائي من قبل المتدخلين. تشير المؤلفة إلى تحديات إضافية، على سبيل المثال حين تنشب النزاعات في الليل بغياب مدير الملجأ، أو حين يعجز مدير الملجأ – وهو رجل – عن التدخل لحل نزاعات بين الزوجات أو الإناث بسبب العادات العرفية في المحيطات المحافظة التي تمنع التفاعل بين الرجال والنساء.

إن المقابلات التي أجرتها المؤلفة حول أنواع النزاعات وآثارها وطريقة التعامل معها حتى ذلك الوقت، أدّت بها إلى استنتاج أن اقتراح إنشاء وحدة تسوية نزاعات من شأنها أن تساهم في تخفيف حدة التوتر وفي إضفاء طابع مؤسسي على آليات فرض الاستقرار وفي تأمين تعايش أفضل بين العائلات اللاجئة داخل

الملجأ. من شأن هذه الوحدة أيضاً، كما تم اقتراحها، أن تخفف من الأعباء الملقاة على عاتق مكتب الإدارة وأن تحرص على عودة الخدمات إلى مستواها المطلوب. تبدو الوحدة التي اقترحت المؤلفة إنشاءها خياراً مقنعاً للسيطرة على انتشار النزاعات والحرص على أن اللاجئين داخل الملجأ يعيشون بسلام. يمكن أن تتألف وحدة كبريت من ثلاثية تضمّ وسيطاً وخبيراً في الدعم النفسي الاجتماعي وشخصيةً تحترمها العائلات اللاجئة، تتمتع بمقدار كافٍ من المصداقية ويمكنها أن تضمن تأييد الأشخاص لعملية الوساطة.

تبدو الوحدةُ فكرةً جديدة وفعالة إذا ما توفّر التدريب والتمويل والقبول داخل الملجأ. من شأنه عندها أن يصبح مشروعاً نموذجياً يمكن استنساخه في ملاجئ أخرى على امتداد البلاد، خاصةً وأن طاقمه سوف يناوب تحت الطلب على مدار الساعة. على الرغم من أن خطة كبريت المتعلّقة بالوحدة موضوعةٌ بدقّةٍ وبطريقة مفصلة، إلا أنها لا توضح كيف سوف تتمّ تغطية هذه الوحدة ومن سوف يتّخذ القرار اللازم لإنشائها. لم تتوصّل المؤلفة من خلال المقابلات التي أجرتها إلى إيجاد دليل حاسم على أن الأطراف قد تلجأ إلى الوحدة في حال نشوب نزاع، ولا إلى تحديد من سوف يدرّب الوسطاء وكيف سوف يعمل أعضاء الترويكا معاً. على الرغم من ذلك، إن الفكرة جديرةٌ بالثناء لأنها مبتكرة ولأن المؤلفة أظهرت كيف يتم استخدام الأدوات التي تعلّمتها خلال دورة الماجستير لتطبيقها بطريقة تضيف إلى قيمة العمل الذي يجري في الميدان. كذلك تمكّنت كبريت من مزج تقنيات تسوية النزاعات والوساطة مع الخدمات النفسية اجتماعية بِطريقةٍ طبيعية.

٣,٥,٤. إعادة بناء الترابط الاجتماعي من خلال تقنيات بناء السلام والحوار: دراسة تجريبية في مركز اجتماعي في ضواحي دمشق

تهدف دراسة ريم نحيلي إلى:

> مراقبة واقع النزاعات في المراكز المجتمعية في ضواحي دمشق؛ إعادة إحياء الترابط الاجتماعي والتركيز على "إعادة بناء الأشخاص" من خلال تنمية مساحةٍ اجتماعية متسامحة تتعايش الأطراف داخلها على أرضية مشتركة دون عنف، ومن خلال استخدام البرنامج التعليمي القائم على دورة التعلّم التشاركي؛ ومساعدة المجتمعات المضيفة والمجتمعات المتضررة على بناء الوعي بشأن آثار النزاع، ومنع العنف.[٤٤]

لتحقيق هذه الأهداف، عمدت المؤلفة إلى دراسة أثر التعليم اللامنهجي على الترابط الاجتماعي، ودراسة أثر برنامج بناء الوعي على آثار النزاع وأثر منع العنف على المجتمع المضيف والمجتمعات المتضررة.

على غرار دراسة كبريت، بحثت دراسة نحيلي وضع ملاجئ اللاجئين في الجمهورية العربية السورية، فقط لتكتشف أن وضع ملاجئ النازحين داخلياً المزدحمة وغير المجهّزة والتي تعاني من نزاعات مريرة أسوأ بكثير. وصفت نحيلي أحياءً تعاني من استقطاب شديد ومن انعدام تفاعل بين المجتمعات المضيفة والأشخاص النازحين داخلياً. صممت نحيلي في دراستها عملية تدخّل وساطية موضوعة خصيصاً لمجتمع مضيف وأشخاص نازحين داخلياً في مأوى لجوء في دمشق، بهدف زيادة الوعي لدى المشاركين وتلقينهم مهارات من شأنها أن تساعدهم على إدارة النزاعات القائمة والتخفيف من حدة التوتر. استندت المؤلفة خلال قيامها

٤٤ نحيلي، ٢٠١٤.

بهذه المهمة إلى الأدوات والمفاهيم التي اكتسبتها من دورة الماجستير، خصوصاً مراحل النزاع، والوساطة ومهارات التواصل.

إن البحث الذي قامت به نحيلي والتصميم الذي وضعته للجلسات اللامنهجية هما مثالٌ على استخدامات مهارات وتقنيات تسوية النزاعات لأهداف نفسية اجتماعية تركّز على استعادة الترابط الاجتماعي. هذا المشروع محدد جداً ويركّز على مأوى لجوء واحد، وقد تمّ اختباره على عيّنة عشوائية من السكان من مختلف الفئات العمرية. على الرغم من أن هذا البرنامج مصمم للبالغين، قامت نحيلي باختبار نشاط آخر مع مجموعة من المراهقين من خلال جعلهم يعملون على إنتاج زراعي مشترك لتعزيز التعاون – وهو من المفاهيم الرئيسية لبناء السلام – ولحثّ المشاركين الشباب على التعالي فوق النزاعات الآنية والمشاركة في نشاطات تعاونية ذات معنى.

اعتمدت المؤلفة في دراستها على "بيداغوجية المضطهدين" وعلى منهجية التعلّم التجريبي، اللذين تفضّلهما في كتاباتها، كاشفةً عن فهمٍ لما تتطلّبه هذه البيداغوجية وهذه المنهجية ولطريقة استخدامهما في أوقات أزمات كتلك التي تمرّ بها الجمهورية العربية السورية. تضمّنت النشاطات التي نفّذتها في دراستها والمشروع الذي نتج عنها نشاطات مثل تمارين اكتشاف الذات بين مشاركين من المجموعات المضيفة والنازحة، كشفت – بحسب تقييم فوري أجرته المؤلفة – عن نقاط مشتركة قوية وشواغل مشتركة. كان تدريب المؤلفة جزءاً لا يتجزأ من برنامج قائم لزيادة الوعي بشأن آثار العنف وللحدّ من نشوب النزاعات، حيث يتعرّف المشاركون على طرق متنوعة لتفادي العنف ولفهم أهمية السلوك الإيجابي وفي نهاية المطاف، تبنّي هذا السلوك. تألف البرنامج الذي اعتمدته المؤلفة من سبع جلسات تعمل على اكتشاف الذات، واكتشاف الآخر، والتعاطف والحوار، وغيرها من المفاهيم. إن البرنامج مثالٌ آخر على الرابط الطبيعي بين تقنيات الدعم النفسي الاجتماعي وبناء السلام التي يجب استخدامها في حالات مثل الحرب المستمرة في الجمهورية العربية السورية.

أجرت المؤلفة تجربة بواسطة تمرينين إضافيين – الأول حول الأذية والثاني حول التعاطف – لتشدد على وجهة نظرها القائلة بأن تفادي إيذاء الآخرين هو بأهمية إظهار التعاطف وتوقُّع المثل من الغير تجاهنا. في ملاحظاتها الختامية، قالت:

> من المهم جداً خلق تجربة اجتماعية مبنية على المعافاة والتعايش بين المجتمع المضيف والمجموعة المتضررة من خلال المصالحة والتسامح، باستخدام نشاطات تمكّن المشاركين من تذكُّر الماضي، والتركيز على الحاضر والعمل من أجل المستقبل، وبالتالي حماية الأشخاص من خلال تعلُّم الإدراك وتعزيزه.[٤٥]

يكشف بحثها أيضاً عن أنّ:

> الانتقال من طقوس وأعراف وتقاليد وقيم إلى عادات وقيم جديدة تؤثر سلباً على تأقلم [الأشخاص] ونموّهم في واقعهم الحالي، مما يؤدي بالتالي إلى العنف والمزيد من الصراع بين المجتمعات المحلية. حين يبدأ الأشخاص باكتساب وعي وفهم نقدي لأنفسهم، يبدأون بالتعبير

٤٥ المرجع نفسه.

عن مشاكل الحياة بشكل أدقّ، ومع نموّ إدراكهم ، يتحسّن احترامهم للذات واحترامهم وتقديرهم لتقاليدهم.[٤٦]

تركّزت نشاطات نحيلي بشكل أساسي على بناء السلام وأيضاً على إشباعها بالدعم النفسي الاجتماعي. بيد أن استنتاجاتها تبدو أكثر كدروس في الدعم النفسي الاجتماعي للاجئين والمجتمعات المضيفة. من الصعب تعميم دروس من عمل نحيلي، إذ أنه كان اختباراً تجريبياً على عيّنة عشوائية داخل ملجأ واحد في خضمّ حرب دائرة. بيد أنّه من المشجّع أن نرى أنه يمكن استخدام كلٍّ من بناء السلام والدعم النفسي الاجتماعي بشكل متبادل لتعزيز الترابط الاجتماعي والتعايش المشترك.

٣,٥,٥. منهج مقترح لتعليم الأطفال تسوية النزاعات

تبني مكرزل عملها على فرضية أنه:

بغض النظر عن الجدال حول فعالية البرامج المطروحة للتخفيف من حدة آثار النزاع على الأطفال أو محوها، شيء واحد مفروغ من أمره وهو أن تدخّلاً مناسباً من شأنه أن يساهم في درجةٍ عالية من التربية السليمة ومن خلق فرص استثنائية لتفادي الاضطرابات في النمو لدى الأطفال أو التخفيف من حدّتها، وهو الأمر المفيد للأفراد والمجتمعات على المدى الطويل.[٤٧]

من هذا المنطلق، خلاصة هذه الدراسة هي كُتيّب يزيد الوعي لدى الأطفال ويدرّبهم على تسوية النزاعات.

تفترض مكرزل أنّ:

تضمين خططِ التدخّل وبرامج تسوية النزاعات نشاطاتٍ متعلّقةً بالدعم النفسي الاجتماعي يسلّط الضوء على أهمية خلق بيئة بنّاءة، كي يصبح النزاع فرصةً للتفاوض البنّاء وتعزيز النمو الاجتماعي والعاطفي لدى الأطفال وتدعيم مهارات التواصل والإصغاء الفعّال من خلال تدريب الأطفال المتضررين من النزاع.[٤٨]

بالتالي، تهدف دراستها إلى تطوير الأدوات اللازمة لتعليم الأطفال تقنيات التواصل والإصغاء الفعّالَين، ومهارات تسوية النزاعات وتعزيز حسّ الاحترام وحقوق الإنسان والتعاطف لديهم.

استخدمت مكرزل نظرية فرير و"نظرية الألعاب" لتبني تصميم كتيّب التدريب الخاص بها على قاعدة الألعاب التفاعلية للأطفال، مستخدمةً أدوات ومفاهيم اكتسبتها خلال دورة الماجستير. حبكت المؤلفة داخل منهجيّتها عنصراً ثالثاً بناءً على حقوق الطفل. إضافةً إلى بناء السلام والدعم النفسي الاجتماعي، تضمّن بحثُها ومنهجيةُ التدريب اللاحقة التي وضعتها حقوقَ الإنسان، وبالتحديد حقوق الطفل. تدّعي

٤٦ المرجع نفسه.
٤٧ مكرزل، ٢٠١٤.
٤٨ المرجع نفسه.

مكرزل أن تضمين التدريب حقوقَ الطفل يعزز هوية الطفل وتصوّره لنفسه، وبالتالي يزيد من الوعي والثقة بالنفس. يعكس تصميم التدريب ثلاث فئات أساسية من الجلسات وهي الوعي بالحقوق، ومفاهيم مثل التسامح والاحترام والمغفرة وتسوية النزاعات بانسياب طبيعي.

يرتكز كتيّب مكرزل على تسع جلسات، مدة كل جلسة ٩٠ دقيقة، وهي موجّهة إلى أطفال تتراوح أعمارهم بين ١١ و١٣ عاماً. القسم الأول مخصص لبناء روح المجموعة، والقسم الثاني لزيادة الوعي بحقوق الطفل، والقسم الثالث، المؤلف من أربع جلسات متتالية، لتسوية النزاعات. في تصميم التدريب الذي وضعته مكرزل، اعتمدت على المناقشات الجماعية كتقنيةٍ تعزز حقوق الأطفال من خلال منحهم القدرة على ممارسة حقوقهم والمشاركة في نقاشات ذات معنى. كما واستندت مناهجها على تقنية التجسيد والإسقاط والدور الفعالة جداً مع الأطفال. مفهوم ثالث لجأت إليه المؤلفة هو الفرض المنزلي حيث يُسمح للأطفال بالتفكير بتجاربهم لوحدهم وتقديم تقرير بها في الجلسة التالية.

تنساب النشاطات والتمارين في الكتيّب بطريقة منطقية وتبدأ بتقنيات بسيطة لبناء روح المجموعة، من ثم فهم حقوق الأطفال مروراً بتعريف النزاع، وصولاً في نهاية المطاف إلى خلق ثقافة سلام. يبدو تدرّج النشاطات، حيث يضم كل تمرين عدة أهداف، منسّقاً ومنظماً بشكل جيد بحيث يسمح للأطفال باستيعابها. لسوء الحظ، لم يتمّ اختبار الكتيّب موضوع البحث. بيد أن النشاطات التي يحتوي عليها مبنيةٌ على ألعاب ونشاطات جماعية يحب الأطفال المشاركة فيها ويستمتعون بها. إن النشاطات، وعلى الرغم من أنها مرتبطة بأسئلة تجريبية لاستخلاص المعلومات، لا تنتهي بالطلب من المشاركين إسقاط ما تعلموه على حياتهم اليومية، وهو مبدأ أساسي في نظرية الألعاب والتعلّم التجريبي. إضافةً إلى ذلك، إن استخدام ألعاب مثل تمرين الحريق قد لا يكون مناسباً للأطفال الذين تعرّضوا لصدمة ولا يحبّذون محاكاة حريق بشكل تدريب. استنادا إلى خبرة المؤلف، قد تؤدي تمارين مماثلة إلى نتائج عكسية وتدفع بالأطفال إلى الخروج من جوّ التدريب.

لا تحدد مكرزل ما إذا كان الكتيّب موجهاً إلى الأطفال الذين يمرّون بأزمات أو لأي جمهور من الأطفال. من خلال استعراض النشاطات التدريبية، قد يبدو من غير الواقعي الخوض كثيراً في موضوع حقوق الأطفال مع جمهور يعيش في ظروف مجهدة للغاية. مجدداً، لا يمكن حسم هذا الموضوع بشكل نهائي إذ أن الكتيّب لم يخضع للاختبار. في الختام، مكرزل هي مثال آخر على طالب وضع حيّز التطبيق معلومات ومعارف استخلصها من برنامج الماجستير التنفيذي. يقدّم الكتيّب الذي وضعته أداة تدريب أخرى ضرورية في خدمة أطفال صغار يعيشون النزاعات.

٣,٥,٦. الدور المتغيّر للنساء ودور النساء في عمليات السلام: دراسة ميدانية حول دور النساء في الأزمة السورية

من الجيد دوماً توجيه الاهتمام إلى دور النساء في عمليات السلام خلال الحرب والى الأمور التي بإمكانهن جلبها إلى طاولة المفاوضات. تقدّم تجارب من البوسنة وشمال إيرلندا وجنوب لبنان والأراضي الفلسطينية وغواتيمالا وغيرها أمثلةً رائعة على الدور الإيجابي الذي يمكن للنساء أن يلعبنه في تعزيز السلام ودعم

عمليات السلام. في عدة دراسات حول هذا الموضوع، شكّلت النساء بنىً تحتية للسلام حيث انصبّ تركيز جهود متنوعة عليهنّ بهدف الوصول إلى المجتمعات النائية. إضافةً إلى ذلك، غالباً ما تصبح النساء في أزمنة النزاعات المجموعة الوحيدة القادرة على العمل عبر خطوط التماس وعلى التعاطي مع عدة أطراف من النزاع دون أن يتعرّضن لخطر التوقيف أو الاستهداف. إن الدراسة التي قامت بها الحنش مصممة لفهم دور النساء السوريات خلال الحرب في الجمهورية العربية السورية وللتأمل فيه.

تطرح الحنش سؤالاً بسيطاً إنما عميقاً حول تغيّر دور النساء السوريات منذ اندلاع الحرب وحول الأدوار التي يمكن للنساء أن يلعبنها في مفاوضات السلام الجارية. تقول الحنش في بحثها أن دراستها هي:

> بهدف تسليط الضوء على أهم ملامح التغيير الذي طرأ على دور النساء السوريات خلال الأزمة. لعلّه يمكننا التوصّل إلى بعض الاقتراحات والتوصية بحلول فعّالة من شأنها أن تخفف من معاناة النساء السوريات في سياق الأدوار المتغيّرة التي لم تتأقلم النساء معها. قد يسلّط هذا البحث الضوء أيضاً على الدور الواضح والمهم الذي لعبته النساء خلال الأحداث في إيجاد عملية السلام والتفاوض والمصالحة بين أطراف النزاع.[٤٩]

إن الأهداف التي وضعتها المؤلفة، والتي أملت في تحقيقها من خلال إتباع منهجية الوصف التحليلي، هي "الاعتراف بالتغيير الذي طرأ على أدوار النساء السوريات خلال الأزمة؛ وصف التغيرات التي طرأت على أدوار النساء السوريات خلال الأزمة؛ الترويج لمجموعة من النساء الناشطات في مجال حقوق النساء؛ والاعتراف بالأدوار الإيجابية للنساء في عملية السلام".[٥٠] سعت الحنش، باستخدام هرم ماسلو للحاجات، إلى إثبات أن حاجات النساء السوريات قد تغيّرت بشكل كبير بسبب الحرب وبسبب الاضطراب الذي أصاب الوضع الأمني وسبل المعيشة والهوية وغيرها. اعتمدت المؤلفة على شهادات حية لنساء عانين من العنف أو شهدن عليه، لتثبت بدايةً أن دور النساء السوريات قد شهد تغيّرات وإصدارات متنوعة. وعلى الرغم من كل هذا، ما زالت العديد من النساء اللواتي أُجريت معهنّ مقابلات يأملن بتحسّن دور النساء.

أجرت الحنش دراسة ميدانية لحوالي ٣٠٠ امرأة من خلال مجموعات تركيز أُقيمت في ملاجئ وفي مركز الجمعية التي تعمل معها. لم يتم اختيار النساء وفقاً لمعيار عيّنات، إنما يبدو أنه تمّ جمعُهن لوضع إعلان مشترك والاتفاق على سلسلة من حلقات العمل الهادفة إلى بناء قدرات المشاركات في مجال حقوق النساء. بشكل خاص، إلتقين "للقيام بتجميع نواتج مجموعات التركيز لصياغة ورقة عمل موحّدة وتقديمها في اجتماعٍ يضم نساءً ممثلات عن محافظات أخرى والاتفاق على شرعة النساء السوريات".[٥١] عرضت المؤلفة أيضاً مشروعاً يتضمّن نشاطات تعزز وضع النساء، وتهتمّ بالأمهات الوحيدات وتدرّبهن على أعمال تناسب إمكانياتهن وتقدّم لهنّ ولأطفالهن برامج تعليمية ونشاطات دعم نفسي اجتماعي.

لا توضح المؤلفة العلاقة بين دراستها الميدانية المقررة وبين مشروع التدريب والتوعية الذي وصفته في دراستها. في ذلك المشروع، تصف المؤلفة حلقات التدريب على حقوق النساء كنشاط عام يركّز على ما

٤٩ الحنش، ٢٠١٤.
٥٠ المرجع نفسه.
٥١ المرجع نفسه.

يبدو أنه وصفةٌ لمقاربة نمطية للمسألة. تم عقد حلقة العمل بهدف تحضير نساء سوريات للمشاركة في محادثات سلام في أوروبا. تم عقد ثلاث حلقات عمل ضمّت نساء سوريات وضعن ورقة موقف موحّد لتقديمها لمفاوضات السلام في جنيف. لا تقدّم الدراسة أي تفاصيل إضافية حول النشاطات، باستثناء لائحة تضم المطالب التي يُفترض أنّ النساء المشاركات قدّمنها خلال حلقات العمل. تضمّن البحث ورقة الموقف الموحّد التي تحتوي على مطالب نساء سوريات تم الإعلان عنها قبل محادثات السلام في جنيف عام ٢٠١٤.

إن البحث هو مجرّد وصف لنشاطات نساء سوريات سبقت محادثات السلام في جنيف. في حين أن المحتوى يعكس دوراً متنامياً للنساء السوريات وللمجتمع المدني السوري عموماً، لا يبدو هذا العمل من صنع الباحثة لوحدها، إنما مجهودٌ تعاوني. كما أنّه لا يحقق الأهداف التي تمرّ ذكرها سابقاً في البحث، باستثناء ذكر بعض الأدوار التي لعبتها عددٌ من النساء السوريات في صياغة ورقة الموقف الموحّد. بالطبع، لا مجال للانتقاص من دور النساء السوريات خلال الحرب، إنما لغاية هذا البحث بالتحديد، لا تقدّم الدراسة أي قيمة مضافة، كما وأنها لا تشير إلى استخدام أيّ من الأدوات والمفاهيم المتنوعة التي تم تقديمها في برنامج الماجستير للتحقق من دور النساء السوريات.

٣,٥,٧. الأثر المتبادل لاستخدام النشاطات المتعلقة ببناء السلام ونشاطات برنامج الدعم النفسي الاجتماعي على زيادة الفعالية الاجتماعية لبرامج الدعم المطبّقة في الجمهورية العربية السورية واستمراريتها (مثال مدينة طرطوس)

استخدمت مؤلفة هذه الدراسة، وفاء حايك، دروساً اكتسبتها من برنامج الماجستير لتقديم تحليل ثاقب للديناميكيات المتغيّرة للمجتمع السوري في مدينة طرطوس. إن أطروحتها هي مجهود مباشر وواضح لدراسة فعالية مزج الدعم النفسي الاجتماعي وبناء السلام وأثره على مجتمع طرطوس من منظور نقدي وتحرّي. بما أن حايك تعمل في منظمة غير حكومية، استخدمت إمكانيتها الوصول إلى أعمال المجتمع المدني ومعرفتها الحميمة بالبرمجة واحتياجات الجهات المانحة لاستعراض فعالية نشاطي بناء السلام والدعم النفسي الاجتماعي. من خلال القيام بذلك، تمكّنت حايك بكل سهولة من إثبات رابط طبيعي بين النشاطين. انتقد نهجها المنظمات الدولية بشكل كبير، لدرجة أنه بدا وكأنه يحيد عن التحليل الموضوعي ليتحوّل إلى رأي شخصي لا تدعمه الأدلة.

درست حايك، التي رأت أن العنف في المجتمع السوري بدأ يأخذ مظهراً بنيوياً وأصبح متأصلاً في ثقافة العديد من السوريين، عمل المنظمات الدولية التي برأيها اعتمدت على المنظمات المحلية الضعيفة أصلاً والتي تعاني من نقص في القدرات وأصبحت تتحكّم فيها الجهات المانحة، وبالتالي ضحّت بنوعية البرامج في سبيل عدد المستفيدين. انتقدت حايك أيضاً واقع أن العديد من المنظمات كانت تعمل دون أن تضع تحليلاً سياقياً مناسباً ودون أن تفهم تعقيدات الحرب الجارية وطبقاتها المتنوعة، وبالتالي كانت تضرّ أكثر مما تنفع. مجدداً، تبدو كل هذه الأمور ملاحظات نقدية لا تدعمها أدلة ميدانية ملموسة.

من الجدير تلخيص أسئلة المؤلفة هنا، ومن ضمنها:

> هل تم اعتماد نُهُج الدعم النفسي الاجتماعي الموجودة، بناءً على تحليل للنزاع وأثره على المجتمع النازح وعلى المجتمع المضيف، وبالتالي استخدام برامج مناسبة للتخفيف من حدة هذه المشاكل؟ ما هي أنماط العنف الطاغية في المجتمع موضوع البحث؟ كيف تتأثر الهوية الفردية والهوية الجماعية بمظاهر العنف الاجتماعي؟ هل من علاقة بين هاتين الهويّتين وبين النضال الاجتماعي؟ هل يمكن لإضفاء نشاطات بناء السلام إلى برامج الدعم النفسي الاجتماعي أن يخفف من الاستقطاب وأن يبني جسوراً؟ هل يمكن لنشاطات الدعم النفسي الاجتماعي أن تساعد على خفض التحيّز واسترجاع الإنسانية؟ هل يمكن لإضفاء نشاطات بناء السلام إلى برامج الدعم النفسي الاجتماعي أن يزيد من فعالية هذه البرامج واستدامتها من خلال المشاركة الاجتماعية الفعّالة؟[٥٢]

للإجابة على الأسئلة الواردة أعلاه، استخدمت المؤلفة نهجاً بحثياً ثلاثي الأبعاد يرتكز على تحليل مقارن مع بلدان أخرى شهدت تدخلات نفسية اجتماعية، ونهجاً تحليلياً وصفياً ونهجَ دراسة الحالة. يُظهر استعراض شامل للعمل الأدبي المقدَّم في أطروحة الماجستير فهماً عميقاً للتفاعل القائم بين نموذجي الدعم النفسي الاجتماعي وبناء السلام ومفاهيمهما وتقنياتهما المطبّقة. جرت الدراسة على فترة سبعة أشهر وتضمّنت عدة زيارات لملاجئ ومخيمات لاجئين في مدينة طرطوس. أجرت المؤلفة مقابلات مع ممثلين حكوميين ومع منظمات مجتمع مدني محلية ومع ممثلين عن اللاجئين. تجدر الإشارة إلى أن المؤلفة قالت إن اهتمامها الشخصي بالبحث بدأ حين كانت متطوّعة ولاحظت أن نشاطات الدعم النفسي الاجتماعي التي كانت تُنظَّم كانت تفتقر إلى الفعالية مع شعوب هويّتهم كانت تتغيّر.

بناءً على ملاحظات المؤلفة وطبعاً على بيئة مقيّدة حيث سمحت الدولة لخمس جمعيات فقط بالعمل وبتقديم الدعم النفسي الاجتماعي، استخلصت المؤلفة بسرعة أن:

> الفساد المرتبط بعمل العديد من الجمعيات التي تأسس معظمها خلال الحرب والتي تضخّمت نشاطاتها عقب التمويل المتزايد وليس بسبب وجود خبرات عمل مسبقة. هذه إحدى فرص النمو الاجتماعي التي خلقتها الأزمة، لكن في الوقت نفسه هذه الجمعيات لا تملك أي خبرة. الأسوأ هو أنها لا تملك رؤيا تنموية معيّنة للمجتمع الذي تعمل داخله، وغالباً ما تطبّق برنامجاً معيّناً وفقاً لمعاهدة معيّنة مع وكالةٍ ما.[٥٣]

بيد أن ما من دليل يثبت مزاعم الفساد هذه، كما وأن حايك لا تقدّم تفسيراً لمفهومها عن الفساد. إن استعراضها النقدي مهم، وهو ضروري لاستعراض المبادرات القائمة بشكل موضوعي؛ بيد أنه كان بإمكانها أن تكون أكثر إقناعاً لو أنها قدّمت أدلّةً وربطت هذه الاستنتاجات باكتشافات ملموسة تؤيّدها.

تروي حايك بأسلوب سردي ملاحظاتها حول الاستقطاب المتجذّر في المجتمع السوري الطرطوسي حيث أجرت دراستها. بحسب قولها، يمكن رؤية هذا الاستقطاب على أساس الطوائف وعلى أساس اجتماعي

---

٥٢ الحايك، ٢٠١٤.

٥٣ المرجه نفسه.

اقتصادية واجتماعي جغرافي، وأيضاً بين فئات المضيفين واللاجئين. على حدّ تعبيرها، يتصرّف المجتمع المضيف "وكأنّه الغالب" حين يتعاطى مع النازحين. في خضمّ كل ذلك، تقول المؤلفة أن المنظمات العاملة في المنطقة تتعامل مع النساء والأطفال وفقاً لبرامج مسبقة، دون أن تعير الاهتمام الكافي للرجال الذين هم أيضاً لاعبين مهمّين.

وبّخت المؤلفة بقسوة من خلال مراقبتها لعمل الجمعيات استخدامَ نشاطات الدعم النفسي الاجتماعي دون إرفاقه بمزيج من فهم النزاع والعمل على إيجاد حلول. لهذه الغاية تقول:

> نتيجةً لوجود استقطاب قوي مرتبط بعنف ثقافي وبنيوي، لا تسمح الحرب القائمة والوضع الأمني الخطير بمحاولات لصياغة واقع الحرب من منظور شخصي للأفراد إنما فقط من إرادةٍ جماعية وطنية معممة. هذا الأمر يجعل من برامج الدعم النفسي الاجتماعي نهجاً ثانوياً ما لم يرافقه تحليلٌ لعوامل النزاع وعواقبه وأثره على البنى الاجتماعية القائمة، ولكيفية تفاعلها مع بعضها البعض ومحاولتها الحفاظ على مخرج آمن للمجموعات وللأفراد. إن الجمعيات التي تقدّم برامج الدعم النفسي اجتماعي تعي مؤشرات التفاعل الجماعي وأهمية بناء الشبكة الاجتماعية التي تحيط بالأفراد. من شأن هذا الأمر أن يشكّل أول عامل حماية ودعم للمجموعات المتضررة، فيما يضمن استخدام نشاطات بناء السلام على المستويين الشعبي والمتوسط وجود نواة للإجراءات اللاحقة يمكنها تفعيل كل المستويات.[٥٤]

إن ما ذُكر أعلاه ملاحظة مهمة ودقيقة جداً حول الديناميكيات السائدة، حيث تعجز نشاطات بناء السلام والدعم النفسي الاجتماعي عن تكملة إحداها الأخرى وتعكس فهماً جزئياً لحاجات النازحين والمجتمعات المضيفة. في هذه الملاحظة أيضاً، تُظهر المؤلفة فهماً عميقاً لأنواع التدخلات المبنية على نُهُج مختلطة اللازمة لمدينة كطرطوس حيث خطوط التصدّع التقسيمية عميقة جداً.

تقترح حايك استخدام المسرح والحوار الميسَّر كنشاطين تكميليين للدعم النفسي الاجتماعي بما أنّ "النشاطات المكتفية بذاتها التي يتمّ تأمينها في إطار زمني متوازٍ مع استمرار النزاع، لا يمكنها تحقيق الفعالية والاستدامة ما لم تتمكّن من خلق مساحة آمنة للتعبير، حتى وإن كانت هذه المساحة افتراضية".[٥٥] مما يثير الاهتمام أن المؤلفة قدّمت رسماً بيانياً يُظهر التفاعل بين نشاطات الدعم النفسي الاجتماعي وبناء السلام، مشددةً على أن نشاطات الدعم النفسي الاجتماعي لن تتمكن من تحقيق كامل إمكانياتها ما لم يتمّ توفير بيئة آمنة ومسالمة لها.

٥٤ المرجه نفسه.

٥٥ المرجه نفسه.

الدعم النفسي الاجتماعي

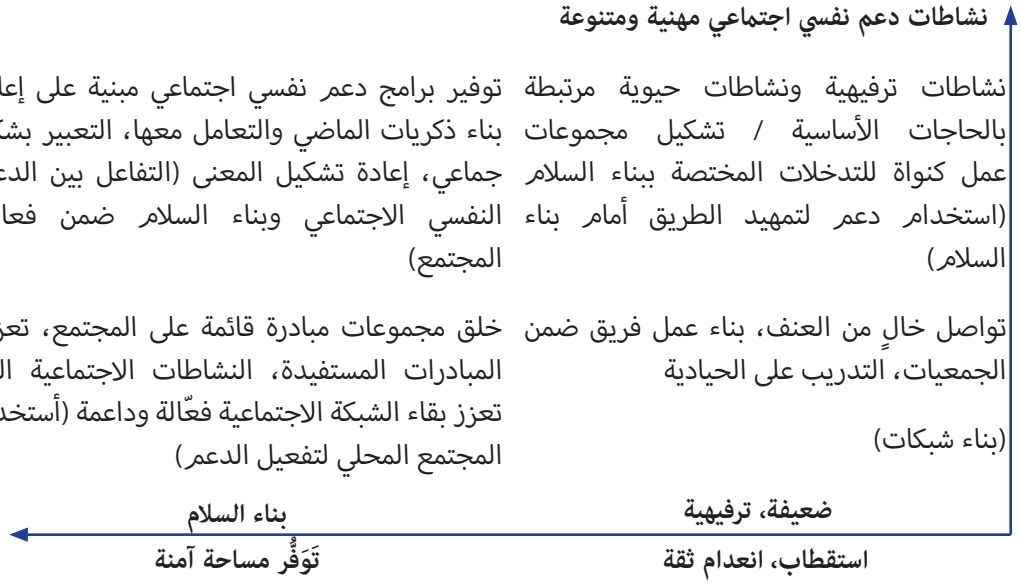

تختم المؤلفة بقول:

> لا يمكن لبرامج الدعم النفسي الاجتماعي لوحدها أن تحقق تغييراً في التحيّز. من الممكن خلق جوٍّ من التقبّل، لذا أشدد مجدداً على الحاجة إلى العمل معاً وفقاً للسياق الزمني، وعلى تحقيق نتائج على مستوى بناء الثقة والجسور، كي يكون البرنامج مبنياً على مراعاة كل مرحلة. لهذه الغاية، أجد أنه من الضروري استخدام المسرح الاجتماعي ومسرح الدمى كنهج من شأنه أن يجمع نشاطات البرنامجين بطريقة تضمن أن المجموعة مبنية وفقاً للدائرة المعقدة.[٥٦]

في النهاية، حاولت حايك النظر إلى التفاعل بين الدعم النفسي الاجتماعي وبناء السلام لتوفير المساعدة للمجتمع المُستقطَب في مدينة طرطوس. مع أن حايك تقدّم اقتراحات لمزج نشاطات الدعم النفسي الاجتماعي مع نشاطات بناء السلام، إلا أنّ اقتراحاتها هذه مبنية على ملاحظات ميدانية ومتناقلة. إن بحثها، من خلال الطريقة التي اختارت أن تحلله وأن تسرده بها، يجيب عن تساؤلاتها السابقة حول مدى فعالية كل من الدعم النفسي الاجتماعي وبناء السلام، لكنّه لا يفعل ذلك من خلال دراسة علمية عملية، بل من خلال مراقبة مجتمع في حالة تغيّر مستمر بسبب تدفّق النازحين من والى المنطقة. إن النموذج المذكور أعلاه هو رسم مفيد يصوّر كيف ومتى يجب استخدام التقنيات المختلطة للدعم النفسي الاجتماعي وبناء السلام. يمكن أن يكون هذا النموذج أداةً مفيدة تستحق التوسّع فيها وتطويرها.

٥٦ المرجع نفسه.

٣,٥,٨. تذليل الاستقطاب بين اللاجئين والمجتمعات المضيفة في لبنان

تقترح قشور، مؤلفة هذه الدراسة، استخدام الفن والنشاطات الخلاقة لدفع اللاجئين والمجتمعات المضيفة إلى تذليل الاستقطاب والعنف. تحقق قشور في دراستها في أسباب الاستقطاب وآثاره بين اللاجئين والمجتمعات المضيفة في لبنان؛ في كيفية تفادي النزاعات العنيفة في ما بينهم؛ وفي أفضل الوسائل لضمان الترابط الاجتماعي بين المجموعات".[٥٧] باختصار، إن هدفها هو تحويل الأعمال العدائية بين المجموعتين باستخدام تدخلات دعم نفسي اجتماعي مثل الفن وغيره من الوسائط الخلاقة.

أجرت قشور استطلاعا وبضعة نقاشات داخل مجموعات تركيز لدراسة مسألة الاستقطاب بين المضيفين اللبنانيين واللاجئين السوريين. إن مجموعات التركيز بالكاد تكون تمثيلية وتكاد لا توفّر أي دليل حاسم على أسباب الاستقطاب بين المجتمعين. يمكن قول الشيء نفسه عن الاستبيان الذي ملأه مشاركون عشوائيون في المشروع لا يحترمون التجارب أو بروتوكولات البحث النوعي. يمكن وصف المعلومات الناتجة عن مجموعات التركيز وعن الاستبيان بنتائج مقابلات مع عاملين اجتماعيين يعملون مع لاجئين ومجتمعات مضيفة. من المثير للاهتمام أن هذه الدراسة تجلب معها بُعداً غالباً ما ننساه لأزمة اللجوء السورية في لبنان – اللاجئين الفلسطينيين من الجمهورية العربية السورية.

تمكّنت المؤلفة من خلال المعلومات التي جمعتها من تحديد "المنافسة على المصالح المتعارضة" كالدافع الأساسي للنزاع وبالتالي، من تطبيق التعريف النموذجي لدوافع النزاع. إضافةً إلى ذلك، قامت المؤلفة بوضع عملها والمعلومات التي حصلت عليها من الأشخاص الذين أجرت معهم المقابلات في إطار الحاجات الأساسية، وأظهرت النقاشات اللاحقة فهماً جيداً لنظرية النزاعات المرتبطة بالحاجات الإنسانية ولكيف يمكن للمنافسة أن تؤجج النزاعات. عملياً، ترى المؤلفة أن المنافسة على الأعمال المدفوعة الأجر وعلى مساعدات الجهات المانحة والدولة وعلى الموارد الشحيحة تدفعها عقلية عقيمة حيث يرى كل طرف أن الطرف الآخر يهدد حاجاته الأساسية للأمن وللمدخول وللحياة الكريمة وللهوية. إضافةً إلى ذلك، نجحت المؤلفة في تحديد القيم والمعتقدات الدينية والإيديولوجيات المختلفة على أنها الأسباب الرئيسية لنزاع قائم على القيم بين كلا المجتمعين يعقّد الوضع أكثر. كذلك، أدى الوضع المتدهور إلى تكوّن شعور متبادل بالتهديد وصور نمطية لدى كلا الطرفين. هذا تصعيد كلاسيكي للنزاع، حيث لا يتم القيام بأي خطوة من أجل استقرار الحالة، ولا يتم بذل أي مجهود لترميم التواصل بين الأطراف.

في هذه الدراسة، تمعن المؤلفة النظر في مفهوم الاستقطاب الذي لم يتطرّق إليه قبل ذلك أيٌّ من الطلاب الآخرين الذين درسوا النزاع في برنامج الماجستير التنفيذي. يُقصد بالاستقطاب الانقسام الذي يطرأ على مجتمع ما بسبب حدة النزاع القائم. استندت المؤلفة في دراستها لأسباب الاستقطاب على المعلومات التي حصلت عليها من الاستطلاع ومن مجموعات التركيز، إضافةً إلى تحليل خطابات الشخصيات السياسية في لبنان، من ضمنها قرار اتخذه عدد من البلديات للحد من حرية تجمّع اللاجئين السوريين. هذا مثال كلاسيكي على اللوم الجماعي، حيث يتمّ بسهولة إلقاء مسؤولية بعض حوادث العنف المعزولة على المجتمع الأوسع الذي ينتمي إليه المرتكبون.

٥٧ قشور، ٢٠١٥.

بحسب المؤلفة، إن السوريين اللاجئين في لبنان، الذين تم وصمهم ووصفهم بالـ "إرهابيين" وغيرها من الإهانات المماثلة، بدأوا يُظهرون علامات ضيق ومشاكل نفسية. هذا بالإضافة إلى عدائية خارجية بينهم وبين المجتمع المضيف. قدّمت قشور قضية مقنعة حين ربطت العلاقات العدائية (النزاع والأعمال العدائية) بمشاكل نفسية اجتماعية (العزلة والإيذاء والصدمة النفسية). إن القرار الذي اتخذته السلطات المحلية بالحد من حركة تنقل اللاجئين في فترات الليل كان تدبيراً وقائياً وليس ردّاً على عنف متزايد. لكن هذا القرار ثبّت الصورة النمطية ضد اللاجئين ووضع ختماً رسمياً على مواقف التمييز ضدّهم.

تشير المؤلفة عن حق إلى الطبيعة الدورية المفرغة للاستقطاب بحيث يؤدي إلى ثقافة عنف متجذرة على مدى أجيال. بطريقة أبسط، حين تُمارس النمطية والوصم ويفلتان دون عقاب وحين يشجّع عليهما الأهل والأساتذة والمسؤولون وغيرهم، يصبحان سلوكاً مشروعاً لا يستدعي أي تحرّك لمكافحته. انطلقت المؤلفة من وجهة النظر هذه لتدعو إلى برمجة سلام بين كلا المجتمعين، حيث من خلال نشاطات السلام، سيتمكّن الأشخاص من تذليل التمييز ومن ضمان تعاون مشترك. أظهرت قشور فهماً جيداً لأدوات دورات الماجستير من خلال تطبيق هرم بناء السلام وهرم الحاجات الأساسية لمعالجة وضع اللاجئين والمجتمعات المضيفة من منظور تحويل النزاع. لهذه الغاية، اقترحت أن يتمّ بذل الجهود على مستويات المجتمع الثلاثة وبتعاون وثيق مع قيادات كلا المجتمعين. هذا ادعاء صحيح، خاصةً وأن الأزمة وعوامل الضغط الناتجة عنها تعمرّ المجتمع اللبناني وقد احتلت عناوين الصحف لفترة طويلة. في بلد صغير مثل لبنان حيث يصل عدد اللاجئين إلى ربع عدد السكان المحليين، يصبح بناء السلام على مستويات التدخل الثلاثة - النخبة والطبقة الوسطى والقاعدة الشعبية – حاجةً ضرورية.

توقّفت الكاتبة خلال مناقشتها بناء السلام عند اقتراح عملية. خلال مناقشتها الدعم النفسي الاجتماعي، قامت فعلاً بتفصيل عملية تطبيق ثلاث تقنيات فنية، مسرح المنبر مع الشباب؛ الكتابة الإبداعية مع الأطفال ومسرح الدمى مع مسرح المنبر للشباب حيث أدارت حلقات عمل مع ممثلين عن اللاجئين والمجتمعات المضيفة. من وجهة نظر ممارس للمهنة، هذه المساعي مثيرة للاهتمام حيث أن مبادرات قليلة جداً ذهبت إلى حد استخدام تدخلات الدعم النفسي الاجتماعي المبنية على الفن لأهداف بناء السلام في سياق اللاجئين والمجتمعات المضيفة في لبنان، للعمل على مشاكل حقيقية. بحسب وصفها، كانت النتائج مثيرة للاهتمام، بمعنى أنها حققت بعض النتائج الملموسة والفورية.

في نشاط الكتابة مع الأطفال، تتحدّث المؤلفة عن "ملاحظة تغيير فوري بين بداية حلقة العمل ونهايتها".[٥٨] كان ذلك واضحاً من خلال التفاعلات المتزايدة والجو المريح والحميم وعدة جلسات اختلاط بعد حلقات العمل. تعزز المؤلفة هذا التحوّل إلى "حقيقة أنهم تشاركوا مشاعرهم وضحكاتهم ومخاوفهم وأحلامهم. واكتشفوا النقاط المشتركة في ما بينهم."[٥٩] تتابع المؤلفة لتقول إن أهداف التدخّل تحققت في التقييم الفوري، وإن النشاط أدّى إلى:

> فتح بصيرة الأطفال على الأحلام والأفكار المشتركة في ما بينهم؛ التقريب في ما بين الأطفال ليتغلّبوا على اختلافاتهم وعلى أفكار التمييز والعنصرية؛ وتنمية مشاعر المسؤولية والدعم لدى

٥٨ المرجع نفسه.
٥٩ المرجع نفسه.

المشاركين الشباب الذين اشتركوا في النشاطات تجاه الأطفال من كلا المجتمعين (اللاجئين والمضيف)، الذين سوف يشاركون التجربة التي عاشوها مع أصدقائهم.[٦٠]

بالطبع، لا يجب الأخذ بهذه النتائج والتقييمات دون التشكيك في صحّتها. أولاً، إن المؤلفة نفسها هي من وضعت التجربة وأجرتها وقامت بتقييمها. بالتالي، لا بدّ من طرح سؤال حول مدى موضوعية هذه التجربة وحياديتها. إضافةً إلى ذلك، تمّ تقييم النشاطات مباشرةً بعد انتهائها، مما لم يفسح المجال أمام الأطفال لاختبار أثرها مع الوقت. في حلقة العمل، يتمّ خلق واقع مثالي قد لا يشبه بالضرورة الحياة الحقيقية التي يعود إليها الأطفال بعد حلقات العمل. بالتالي، لا يمكن معرفة الأثر الحقيقي على الأطفال ما لم يتمّ تكرار التجربة والتقييم بشكل منتظم وعلى فترة من الزمن.

في ما خصّ النشاطين الشبابيين الآخرين، سجّلت المؤلفة تحسّنات في العلاقة بعد النشاط المسرحي الثاني، حيث أنّها لاحظت توتراً أقل ورغبة في المشاركة والانفتاح أكبر. أيضاً مباشرةً بعد انتهاء النشاطات، لاحظت المؤلفة أن المشاركين كانوا يختلطون مع بعضهم البعض أكثر من ذي قبل وكانوا مرتاحين إلى بعضهم البعض. إن مجموعة التركيز التي تمّ عقدُها بعد الحدث – أيضاً من قبل مؤلفة النشاطات – لم تنفِ ولم تؤكّد إدّعاء حصول بعض التحسينات. فيما قال كل المشاركون في مجموعة التركيز أنهم استمتعوا بالنشاط المسرحي، قالوا أيضاً أن المسرح ساعد على توضيح الصورة لهم وليس بالضرورة على تقريبهم من "الآخر". إن إدّعاء المؤلفة أن "النشاطات الثلاثة حققت هدفها، وهو جعل اللاجئين السوريين والمواطنين اللبنانيين معاً من خلال الحوار يذللون الاستقطاب ويركّزون على تلبية احتياجاتهم الإنسانية الأساسية"،[٦١] قد يحتاج إلى بعض المراجعة والتدقيق الأعمق للتأكد من أن هذه القراءةَ للوضع صحيحةٌ وواقعية.

إن المؤلفة محقّةٌ عندما تخلص إلى أنّ:

> بالتوازي مع هذ النشاطات، يُنصح بمتابعة نفسية للمستفيدين من النشاطات، وبتشجيع العلاج الجماعي للعائلات لأن الأفراد يتأثرون بعائلتهم التي هي الجزء الأساسي من الثقافة البنيوية التي يعيشون فيها، خاصةً وأن العائلات قد تكون تفكّكت بسبب الوضع الراهن.[٦٢]

تقصد المؤلفة بذلك أنه، ما لم يتم تبني نهجاً شمولياً يتضمّن الشباب وعائلاتهم ومقدمي الرعاية لهم وغيرهم من أصحاب الشأن المؤثرين في حياتهم، سوف يكون من الصعب التوصل إلى تغيير جدّي وأثر ذي معنى يتجاوز الشعور الآني بالارتياح الذي تمنحه نشاطات التدخل.

إن دراسة قشور محاولة مفيدة لاستكشاف ميدان نهجٍ مختلط يضمّ فئات متنوعة من اللاجئين. يجب أن تستمر هذه الجهود لفترة من الوقت كي تتمكن من تحقيق أثر جدّي ومن إعطاء دروسٍ كافية.

٦٠ المرجع نفسه.
٦١ المرجع نفسه.
٦٢ المرجع نفسه.

٣,٥,٩. أزمة الهوية في المجتمع السوري خلال الحرب الحالية

إن أهداف الباحثة موسى بحسب دراستها هي:

> البحث بعمق في مسألة الهوية والنظريات المحيطة بها، ووضع هذه النظريات موضع التطبيق في سعي للتتبّع التحولات والديناميكيات داخل المجتمع السوري، وللبناء عليها لاستكشاف آفاقٍ لحلول ممكنة في المستقبل.[٦٣]

تروي موسى في مسعاها هذا التحولات في الهوية السورية، دون بذل أي جهودٍ معيارية أو مبنية على أدلة تثبت وجهة نظرها، باستثناء بعض الملاحظات التي تتعاطى مع الموضوع بأسلوب صحافيٍ وفي بعض الأحيان سطحي. في تفسيرها للأسباب التي دفعتها للقيام بدراستها، تدّعي أنها لاحظت سلوكاً "غريباً" لدى الناس يتعارض مع هويّاتهم الأصلية. مزاعم فضفافة أخرى مماثلة تقدّمها المؤلفة في النص لإعطاء شرح مفصّل للتغيّرات في الهوية في المجتمع السوري.

إن الاستعراض النظري في الدراسة للهوية ومميّزاتها وعناصرها وتشكيلها المركّب يقدّم مادّة للمطالعة مثيرة للاهتمام. في هذا الجزء، تعكس المؤلفة فهماً جيداً للعمل على الهوية كما تمّ تقديمه في برنامج الماجستير. في هذا القسم، حاولت الباحثة ونجحت، على الرغم من أنّها لم تكن تستند إلى أي أدلّة نوعية أو كمية، في استعراض التغيرات في الهوية السورية بطريقة نقدية من خلال تطبيق الإطار النظري لصفوف الماجستير. إن توصيفها الصحيح لتشكُّل هوية تقوم على عقلية "نحن" مقابل "هم" – النموذجية داخل مجتمع منقسم – يبدو تحليلاً منطقياً جداً يرصد التغيرات الحادّة التي أصابت الهوية السورية خلال الحرب. الأمر نفسه ينطبق على مناقشتها لظاهرة الهوية المتعددة الذي تلاحظه – والذي تحدّث عنه باحثون آخرون في هذا الفصل – داخل مجتمعها. بيد أنها عوضاً عن التطرّق إلى هذه المفاهيم وتقديم أمثلة ملموسة تدعم ملاحظاتها، انتقلت إلى مناقشة قصيرة وسريعة لنظريات متنوعة، من النزعة العرقية إلى علم النفس الاجتماعي والتحليل النفسي في محاولة للتوسّع في تفسير ملاحظاتها للمجتمع السوري. كانت النتيجة تشديداً مفرطاً ومزدحماً ومكرراً على إظهار معارف نظرية، بينما القارئ متعطّشٌ لتفسيرات للظواهر الاجتماعية التي تجري في الجمهورية العربية السورية، تكون أكثر عمقاً ومبنية على أدلة.

إن المجهود الذي قامت به المؤلفة لربط النظرية بالهويات المتغيّرة لا تجاريه من حيث الحماس مناقشتُها لتعريفات النزاع ومفاهيمه. في هذا القسم، تكتفي الباحثة ببعض التعريفات عن النزاع لتقول إن هذا هو ما يحدث داخل الجمهورية العربية السورية. يختلط نقاش النزاع مع نقاشٍ سطحي حول الثقافة العميقة والسلام الثقافي حيث تخلص إلى أنّ:

> أي مبادرة سلام في المستقبل يجب أن تبدأ من مستوى إعادة بناء العلاقات بشكل سليم وتعمل نحو تحقيق سلام ثقافي بالدرجة الأولى، مع دعمها للسلام لتعزيز العدالة والاستدامة وتفادي انتكاسة مدمرة في المستقبل، وهذه عملية تتطلب جهوداً صادقة ومضنية وحثيثة قد تستمر على

٦٣ موسى، ٢٠١٤.

لا يبدو واضحاً كيف تم التوصل إلى هذه الخلاصة وعلى أي أساس تمّ ذلك. تحتوي الدراسة على استطلاع قصير حول ٣٣ شخصاً تمّ اختيارهم بشكل غير واضح للتأمل في أسئلة مثل "من أكون؟" لاستكشاف مسائل تتعلّق بالهوية. في النتائج، أظهر المشاركون تغييراً في وجهات النظر وربما تبنّي هوية جديدة. بالطبع، هذه العينة وهذه الأسئلة لا تكفي لتعميم استنتاجات حول المجتمع السوري بأكمله، كما تدّعي المؤلفة. في أحد تفسيراتها للاستبيان، تقول:

> في نتائج البحث، نجد أن الأمور التي كانت تميّز الأفراد، وما كانوا يعتبرونه صفات مميزة في هويّتهم، من الطموح إلى المثابرة وحب الآخرين وحب الحياة والمرح، قد تغيّر. تمّ استبدال هذه الصفات بأخرى جديدة، العامل المشترك في ما بينها هو الخوف والحذر والتشاؤم، وبالتالي، نخلص إلى أن السوريين يعانون من أزمة هوية حقيقية تؤثر على طريقتهم في رؤية الحياة [...]٦٥

كانت هذه خلاصة أخرى متسرّعة ينقصها الدعم المقنع والدليل الموثوق. إن الدراسة بشكل عام مثيرة للاهتمام من حيث المنظور الذي تستخدمه والذي يركّز على الهوية وعلى الصفات المتغيرة بحسب نظرة السوريين إلى أنفسهم. أقسام من الدراسة جديرة باستكشاف أعمق من حيث أنها تستخدم أدوات ومفاهيم مكتسبة خلال برنامج الماجستير وتحاول أن تخلص إلى تفسيرات وتعميمات حول الوضع الاجتماعي السياسي في الجمهورية العربية السورية. تضع الباحثة أيضاً خريطة طريق للخروج من النزاع السوري ولإيجاد حلول تعتمد على أدوات النزاع وعلى فهم مراحل النزاع التي تمت مناقشتها خلال برنامج الماجستير. إن خريطة الطريق المؤلفة من الدعوة إلى ثورة ثقافية والى الانخراط في تحويل للنزاع على مستوى الهويات ومعالجة مسألة الثقافة العميقة تخرج عن السياق وهي منفصلة عن الواقع الذي كانت الدراسة متجذّرة فيه.

٣,٥,١٠. التواصل الفعال وأثره على حل النزاع

يرتكز هذا البحث على دراسة حالة وساطة فعلية، حاول خلالها الباحث خوندة أن يتدخّل لتسوية نزاع هو عبارة عن خلاف داخل مكتب، واستخدم خلال العملية الأدوات التي اكتسبها خلال برنامج الماجستير. يرتكز البحث على دراسة حالة من المهارات التطبيقية حيث تلتقي النظرية بالتطبيق، ويقوم المؤلف بعدها باستخلاص النتيجة اللازمة، متأملاً في الحاجة إلى بناء ثقافة وساطة والى القيام بالمزيد من الأبحاث حول النزاع وسبل التسوية الممكنة. إن الجزء العملي من عملية الوساطة قصير جداً ويصف وساطة مباشرة وواضحة، يسبقها استعراض وتعداد ممل للمواد التي تم تقديمها خلال برنامج الماجستير.

لا تستخدم الدراسة دراسة الحالة كفرصة للتأمل في ممارسة السلام وفي ما إذا كان بالإمكان اعتماد الوساطة كعملية لتسوية الخلافات في الجمهورية العربية السورية وفي المجتمع العربي عموماً. كما وأن الدراسة لا تنظر في أي تحديات برزت أو قد تبرز خلال العمل على وضع آليات تسوية خلاف رسمية. في

٦٤ المرجع نفسه.
٦٥ المرجع نفسه.

النظر إلى الوراء، كان من المثير للاهتمام لو أن الباحث خصص بعض الوقت للمقارنة بين تجربته القصيرة في الوساطة وبين طقوس الوساطة التقليدية والعشائرية الموجودة في المجتمعات العربية.

٣,٥,١١. البنية الاجتماعية للأزمة في سوريا: اشتراك الجذور وتورّطها في الحلول المقترحة للنزاع وآثاره

تستخدم الدراسة استطلاعاً ميدانياً لتنتقل من فرضية أن المواجهات الحقيقية في الجمهورية العربية السورية لم تندلع في شهر آذار من العام ٢٠١١، بل قبل ذلك بكثير. تصبح أهداف البحث سعياً إلى التوصل إلى جذور الأزمة والى فهم خلفياتها ومراحل تطوّرها. تستخدم الباحثة، الجندي، أيضاً بعض الأدوات التي اكتسبتها من برنامج الماجستير، مثل العدالة الانتقالية وتسوية النزاع، إضافةً إلى مبادرات سلام قائمة ودراسات تقوم بها منظمات دولية. مما يثير الاهتمام أن الباحثة تتحدّث بشكل صريح في أطروحتها عن التحديات التي تواجه الوصول إلى البيانات بشكل ثابت وموثوق، وأن حتى المنظمات الدولية تملك أرقاماً وبياناتٍ مختلفة حول القضايا نفسها. من التحديات الأخرى الوضع الأمني وصعوبة الوصول إلى المناطق الضرورية، إضافةً إلى ضيق المدة الزمنية المخصصة للبحث.

تعتمد الباحثة نهجاً مثيراً للاهتمام في أطروحتها من خلال استعراض التاريخ السياسي للجمهورية العربية السورية منذ مجيء نظام البعث والصراع على السلطة. لاحظت المؤلفة خلال محاولتها إرساء الأسس لجذور الأزمة السورية أنّ:

> سياسات إدارة التنوع الثقافي داخل المجتمع لم تكن قائمة على علاقات المواطنين وعلى تفاعلات الدولة مع المواطنين، ولم تكن تعمل بشكل كافٍ لخلق أنظمة تعايش سلمي مشترك بين المكوّنات الاجتماعية أو الدينية أو الوطنية. برهنت الأحداث الأخيرة على هشاشة السلم الأهلي الذي لم يكن مبنياً في الأساس على التعايش الحقيقي المشترك بين مختلف مكوّنات المجتمع أو على ثقافة استقرار وسلام حقيقيين، إنما على إنشاء [...] هذا الوضع الأمني لم يحقق ثقافة سلم أهلي قامت بصورة تلقائية برفض كل الدعوات إلى العنف أو محاولات تبريره [...] نذكر هنا الدور الذي لعبته ثقافة الخوف والفساد والموالاة لمراكز السلطة في الانتشار السريع للعنف على حساب التسوية السلمية للأزمة من خلال استعادة سيادة القانون وتفعيل المواطنية.[٦٦]

تناقش المؤلفة أيضاً الجذور الاجتماعية الاقتصادية للأزمة وتوجّه أصابع الاتهام إلى سياسات الدولة التنموية غير المتوازنة التي أدّت إلى الفقر والى النزوح من المراكز الريفية إلى المراكز الحضرية وركّزت الثروات والسلطة في أيدي قلة قليلة. لاحظت المؤلّفة أنّ:

> الآثار السلبية لسياسات التنمية بدأت تظهر عام ٢٠١٤ مع اعتماد اقتصاد السوق الاجتماعي الذي يتطلّب نجاحه، مقارنةً بتجارب دول أخرى قامت بتطبيقه، حريّةً سياسية واقتصادية، وتكافؤ في الفرص وشفافيةً [...] لذا، في هذه الحالات، لم يكن مفاجئاً أن نسبة الفقراء (الذين يعيشون تحت خط الفقر) كانت أعلى من الخط الوطني للفقر، من ١١,٤٪ تمثّل ٢,٠٤٣ مليون شخص عام ٢٠٠٤ إلى ١٢,٣٪ عام ٦٧,٢٠٠٧

٦٦ الجندي، ٢٠١٤.
٦٧ المرجع نفسه.

تتعمّق الجندي بشكل أكبر في الجذور الاجتماعية الاقتصادية للأزمة وكيف أدّت، بالإضافة إلى السياسات الفاشلة، إلى اشتعال الأحداث وانزلاقها نحو الحرب مع المناوشات التي بدأت في مدينة درعا، وهي إحدى أفقر المناطق في البلد.

قامت المؤلفة باستطلاعٍ لخمسة عشر فرداً عشوائياً لاستكشاف آرائهم حول حلول للحرب السورية. كما كان متوقّعاً، أجاب كل المشاركون بأنهم يدعمون بدءاً فورياً للمفاوضات السياسية وللبحث عن حلّ سلمي. بيد أن الاستقطاب كان واضحاً عند مناقشة النتائج. وجدت المؤلفة تفاوتاً كبيراً بين مؤيّدي الحكومة الذين فضّلوا اللجوء إلى الإصلاحات التي اقترحتها الحكومة في بداية الحرب وبين المعارضة التي دعمت القيام بإصلاحات جذرية بعيداً عن المبادرات السطحية التي اقترحتها الحكومة. أما الفريق الثالث المكوَّن من المحايدين، فأصرّ على بدء المفاوضات دون وضع شروط مسبقة.

أظهرت الأسئلة، على الرغم من أنها لم تمثّل بشكل علمي كل السكان، انشقاقات مثيرة للاهتمام بين فريقي المعارضة والموالاة، مع تقديم المحايدين رأياً مختلفاً. فيما وافق كل المشاركون على الهدف الرئيسي وهو وضع حد للحرب، كان لكلٍّ منهم رؤية مختلفة لهذا الهدف. الأمر نفسه ينطبق على العملية السياسية حيث فضّل الموالون للحكومة حدوث عملية انتقالية في ظل القيادة الحالية، فيما أيّد فريق المعارضة قيام قيادة جديدة بالكامل. تطرّق الاستطلاع في الدراسة أيضاً إلى الحاجة إلى اتّخاذ إجراءات لبناء الثقة، والى مستقبل الجمهورية العربية السورية، والى فداحة المشكلة الإنسانية التي تعصف بالسوريين. في كل هذه الأسئلة، تسلّط المؤلفة الضوء على هوّات عميقة وواسعة تفصل بين مختلف الأطراف.

تتضمن الدراسة أيضاً استعراضا نقدياً مفيداً للمبادرات القائمة لإنهاء الحرب في الجمهورية العربية السورية. يبيّن الاستعراض بوضوح التحديات التي تواجه هذه المبادرات عند تطبيقها على الأرض. ترسم المؤلفة في مقابلاتها مع الناشطين صورةً قاتمة لمستقبل المفاوضات واحتمالات فشلها، وقت كتابة الدراسة عام ٢٠١٤. ما قامت به الجندي في دراستها هو استخدام أدوات برنامج الماجستير ومحاولة استعراض تفاصيل النزاع السوري بشكل نقديّ. من خلال قيامها بهذا الأمر، قدّمت تقييماً للمبادرات القائمة والمفاوضات الجارية وحلّلت مزاج العالم في ما يتعلّق بالأحداث المتكشّفة. وضعت تقييمها في استعراض نظري عام لإطاري تحويل النزاع وبناء السلام، وتأملت عميقاً في مواضيع تتعلّق بالعدالة الانتقالية.

قدّمت المؤلفة خطة متكاملة بمراحلها التحضيرية والتنفيذية لإطلاق عملية عدالة انتقالية في الجمهورية العربية السورية. تمّ تطوير الخطة المقترحة مع الأخذ بالاعتبار السياق السوري ودور المجتمع والقوى الخارجية. تتضمن الخطة فهماً دقيقاً لمختلف النواحي اللازمة للتعافي في سياق مثل سياق الجمهورية العربية السورية، مثل مراجعة كتب التاريخ وإصلاح الضرر وغيرها من وسائل المصالحة.

في استعراضها النقدي لمبادرات السلام القائمة، توضح الجندي تشكيل مجموعة جديدة في أيار ٢٠١٤ كانت على وشك إبصار النور، تُدعى الوحدة الاستشارية لبناء السلام:

> [...] شكّلتها مجموعة من الشخصيات السورية المستقلة والفاعلة داخل مؤسسات وشبكات المجتمع المدني السوري للمساهمة في تحقيق تطلعات الشعب السوري لبناء دولة ديمقراطية وعادلة وتعددية [...] بعيداً عن أيّ تدخّل خارجي، وأن حلاً سياسياً سلمياً هو الطريقة الوحيدة الممكنة للحفاظ على الوحدة.[٦٨]

٦٨ الجندي، ٢٠١٤.

يتمّ الكشف عن المبادرة في الدراسة للمرة الأولى، ونتائجها النهائية طبعاً غير معروفة. إنما في إعلانها التأسيسي، تصرّ على أنها تعمل فقط كوسيط للمساهمة في الأمور التالية: (أ) تحويل النزاع في الجمهورية العربية السورية من نزاع مسلح إلى نزاع سياسي وسلمي؛ (ب) تحرير الإرادة الوطنية؛ (ت) تعزيز حلول تلبّي أولويات المجتمع السوري واحتياجاته وتحقق المصالحة الوطنية؛ و(ث) فصل النزاع السوري الداخلي عن النزاعات الإقليمية والدولية.

تختم المؤلفة بخطة سلام من صنعها، قائمة على الاستعراض النقدي لكل المبادرات القائمة وفي محاولةٍ لاستخلاص الدروس من نقاط ضعف أعمال قائمة. تبني خطّتُها على ما تم القيام به وتهدف إلى تجميع الإعلانات والتقدم المحرز في المفاوضات في صيغة مقبولة وتقديمها للتفاوض إلى كل الجهات المعنية. تقوم مبادرة المؤلِّفة على دعم المجتمع المدني كي يصبح الدافع الرئيسي للمفاوضات والجهة الفاعلة الرئيسية في التقريب بين الشعوب. تختتم الدراسة بالدعوة إلى حوار وطني لإطلاق عملية سلام جديدة.

على الرغم من النوايا الحسنة لخطة السلام المقترحة، إلا أن هذه الخطة لا تقدّم أيّ جديد كما وأنها لا تعالج في وصفها التحديات المحتملة المتمثلة في الشرعية والقبول. في خضمّ العنف الشديد، يصعب أيجاد دور فعّال للمجتمع المدني طالما أن المدافع لا زالت تدوّي؛ بالتالي، تحتاج الخطة إلى أن تكون واقعية.

٣,٦. خلاصة

ثلاث سنوات مضت على تقديم الدراسات، ومنذ ذلك الوقت، تغيّرت أمور كثيرة، إنما أمور كثيرة أيضاً بقيت على حالها في الجمهورية العربية السورية. استمر العنف في الجمهورية العربية السورية ومشكلة اللجوء في لبنان في تصدّر عناوين الصحف حول العالم ولم تخفّ الحاجة الملحة إلى تدخلات بناء سلام ودعم نفسي اجتماعي أكبر. قام المجتمع المدني في كل من الجمهورية العربية السورية ولبنان بالعديد من المبادرات لتوفير العمل من أجل السلام والمساعدة النفسية اجتماعية فيما تقلّصت موارد الجهات المانحة. قدّم طلاب دورة الماجستير في مقالاتهم البحثية أبحاثاً واقتراحات طليعية حول السبل الممكنة لمعالجة محنة السوريين واللبنانيين الذين يعانون من نير العنف والحرب. عكس تنوّع المواضيع والدراسات الميدانية رغبةً حقيقيةً في تعلُّم المهارات والمفاهيم والمناهج التي تم اكتسابها خلال هذه الدورات وفي تطبيقها عن قرب. يُظهر هذا الأمر أيضاً تنوّع وغنى المنهج الدراسي الذي تمّ تقديمه وحقيقة أنّه لبّى احتياجات كل الاختصاصات من الوساطة الأساسية إلى الترفيه عن الأطفال والعلاج بواسطة الفن والعلاج النفسي وطائفة واسعة من الاختصاصات. حتى ضمن التركيز المواضيعي على بناء السلام، وجد المشاركون عدداً كبيراً من المواضيع التي بوسعهم التطرق إليها وتضمينها في أبحاثهم.

في كل هذه الأطروحات، حتى تلك التي كانت مجرّد تأملٍ في الوضع، كان الهدف تقديم نتيجة عملية مبنية على ملاحظات ميدانية من شأنها أن تشكّل ناتجاً مفيداً للتدخلات. هذه النتائج كانت متفاوتة جداً من حيث

النوعية لكنها كانت كلها تنضح شغفاً ورغبة صادقة في تقديم المساعدة. إضافةً إلى ذلك، كان لافتاً في هذه الدراسات أن معظم الطلاب حاولوا مزج مجالي دعم النفسي الاجتماعي وبناء السلام في عملهم، خاصة عند وضعهم كتيّبات ومجموعات أدوات تدريب. في العديد من الحالات، جاء النهج المختلط إلى الطلاب كانبثاق طبيعي عن كلا المجالين دون الاكتراث إلى التوترات القائمة بين المجالين (عون، نحيلي ومكرزل). إن النتيجة النهائية هي جهد صادق لتصميم برامج تدريب مشتركة ستكون مفيدة جداً في مجالي الدعم النفسي الاجتماعي وبناء السلام لسنوات كثيرة قادمة.

كما ذكرنا سابقاً، يعمل كل من مجالي الدعم النفسي الاجتماعي وبناء السلام بشكل متوازٍ، إنما في الدراسات التي تم استعراضها، نادراً ما كنا نلاحظ هذا الانقسام، ويبدو أن الناشطين في كلا المجالين يعملون بالتزامن. أربع حالات على الأقل (حايك، موسى، الجندي والحنش) قدّمت ملاحظات وتفسيرات للديناميكيات والنزعات المتغيّرة داخل المجتمع السوري. طرح ثلاثة طلاب (طعمة، كبريت والجندي) فكرة إنشاء وحدات تدخّل وإضفاء الطابع المؤسسي على ممارسة بناء السلام وتسوية النزاعات. استخدم طالبان (خوندة وقشور) دراسات حالات معيّنة لتصوير النتائج التي توصلا إليها.

على الرغم من أن تصميماً صادقاً كان يدفع الطلاب لإضفاء قيمة وتقديم مشاريع مفيدة، من الصعب جداً الحكم على الفعالية النهائية لعملهم أو على ما إذا تمّ تطبيقه بشكل ثابت ولفترة من الوقت وعلى النتائج التي حققها. لكن بما أن كل الطلاب ينتمون إلى منظمة تعمل في المجال، يمكن أن نفترض أن بعض النتائج على الأقل تم تطبيقها. في عدد من الدراسات التي أجراها الطلاب والتي تضمنت تدريباً، قيّم الطلاب أنفسهم مباشرة بعد النشاط، الأمر الذي لا يقدّم ما يمكن اعتباره تعقيبات قابلة للقياس. في الواقع، أدى هذا الأمر في بعض الحالات إلى استنتاجات متسرّعة وغير مدعومة بأدلة كافية.

في العديد من الدراسات، لاحظنا بعض مكامن الضعف في الأسلوب أو في طرق البحث أو الاستعراض الأدبي أو الافتراضات. في العديد من الأحيان، كان أسلوب الكتابة صحافياً أكثر منه أكاديمياً مع تحليل سطحي لظواهر جدية ومعقّدة. بدا الطلاب وكأنهم يريدون الشروع في بحث أكاديمي قابل للقياس – من خلال مناقشة الافتراضات والأسئلة البحثية والإشكاليات وغيرها – لكنّهم انحرفوا عن المسار واتّجهوا أكثر نحو وصف تحليلي. إن الاستعراض الأدبي في سبعٍ على الأقل من الدراسات الإحدى عشر التي تم استعراضها من أجل كتابة هذا الفصل، تمسّكت بتفاصيل ما تم تقديمه في الصف خلال برنامج الماجستير، دون أي محاولة جدية لتوسيع نطاق المصادر والنظر في المؤلفات الأدبية ذات الصلة من خارج نطاق التعاليم. بيد أنه لا يمكن إلقاء اللوم على الطلاب على أي من أوجه القصور في الأبحاث. الأمر المثير للإعجاب هو استخدام استطلاعات ومجموعات تركيز لتوليد أدلة ميدانية، على الرغم من أن النتائج التي تحققت لم تكن علمية بالكامل وقابلة للقياس بالمعنى الأكاديمي.

سلّحت دورة الماجستير عدداً من العاملين الميدانيين والناشطين والأطباء والأساتذة بمهارات ومعارف جدية حول مجموعة واسعة من المفاهيم والمهارات التي من شأنها أن تكون مفيدة جداً في السياق الذي يعملون فيه. يُعتبر هذا الأمر قيمة ممتازة تُضاف إلى عمل المجتمع المدني في المنطقة العربية. أنتجت الدورات مفاهيم مُثرية وخلاقة وساهمت في التقريب بين مجالي بناء السلام والدعم النفسي الاجتماعي.

٣,٧. لائحة بالمراجع

Arai, T.

2014 On the Intersection of Deep Culture and Deep Structure: Toward an Integrated Approach to Conflict Transformation. Study Guide, Executive Professional Master's Program in Psychosocial Support and Dialogue. International Organization for Migration (IOM) and the Lebanese University, Beirut.

Boutros-Ghali, B.

1995 An Agenda for Peace: Preventive diplomacy, peacemaking and peace-keeping. Report of the Secretary-General pursuant to the statement adopted by the Summit Meeting of the Security Council on 31 January 1992. United Nations, New York.

Braithwaite, J.

2014 Restorative justice and de-professionalization. The Good Society, 13(1):28–31.

Burgess, H. and G. Burgess

1997 Transformative approaches to conflict. With Tanya Glaser and Mariya Yevsyukova. Conflict Research Consortium, Boulder, Colorado. Available from http://peacebuildingforlanguagelearners.pbworks.com/w/file/fetch/73357055/Burgess_Transformative%20Approaches%20to%20Conflict.pdf

Bush, R.A.B. and J.P. Folger

2004 The Promise of Mediation: The Transformative Approach to Conflict. John Wiley and Sons, San Francisco.

CDA Collaborative

n.d. CDA Collaborative [homepage]. Available from http://cdacollaborative.org/what-we-do/conflict-sensitivity/

Cilliers, J., O. Dube and B. Siddiqi

2016 Reconciling after civil conflict increases social capital but decreases individual well-being. Science, 352(6287):787–794.

Crocker, C.A., F.O. Hampson and P. Aall (eds.)

1999 Herding Cats: Multiparty Mediation in a Complex World. United States Institute of Peace, Washington, D.C.

Galtung, J.
1998 After Violence: 3R, Reconstruction, Reconciliation, Resolution: Coping with Visible and Invisible Effects of War and Violence. Transcend, New York. Available from www.academia.edu/3444096/AFTER_VIOLENCE_3R_RECONSTRUCTION_RECONCILIATION_RESOLUTION_Coping_With_Visible_and_Invisible_Effects_of_War_and_Violence?auto=download

Galtung, J. (ed.)
1976 Three approaches to peace: Peacekeeping, peacemaking, and peacebuilding. Peace, War and Defense: Essays in Peace Research, Volume 2. Eljers, Copenhagen.

Hamber, B. and E. Gallagher (eds.)
2015 Psychosocial Perspectives on Peacebuilding. Springer, New York.

Hart, B. and E. Colo
2014 Psychosocial peacebuilding in Bosnia and Herzegovina: Approaches to relational and social change. Intervention, 12(1):76–87.

Inter-Agency Standing Committee (IASC)
2007 IASC Guidelines on Mental Health and Psychosocial Support in Emergency Settings. IASC, Geneva. Available from www.who.int/mental_health/emergencies/guidelines_iasc_mental_health_psychosocial_june_2007.pdf

IASC Reference Group for Mental Health and Psychosocial Support in Emergency Settings
2010 Mental Health and Psychosocial Support in Humanitarian Emergencies: What Should Humanitarian Health Actors Know? IASC, Geneva. Available from www.unicef.org/protection/what_humanitarian_health_actors_should_know.pdf

International Alert
2004 Conflict-sensitive approaches to development, humanitarian assistance and peacebuilding: Tools for peace and conflict impact assessment. Available from www.international-alert.org/sites/default/files/Training_DevelopmentHumanitarianAssistancePeacebuilding_EN_2004_0.pdf

International Federation of Red Cross and Red Crescent Societies (IFRC)
2009 Psychosocial Interventions: A Handbook. IFRC, Copenhagen. Available from http://toolkit.ineesite.org/resources/ineecms/uploads/1128/IFRC_RCS_-_Psychosocial_Interventions_A_Handbook.pdf

Interpeace
2016 Practice Brief: Resilience and Peacebuilding – Using Resilience to Build Peace.

Frameworks for Assessing Resilience. Available from www.interpeace.org/wp-content/uploads/2016/06/Practice_Brief-Resilience_and_Peacebuilding-A4-v3.pdf

Jütersonke, O. and M. Kartas
2012 Resilience: Conceptual Reflections. Brief No. 6. Geneva Peacebuilding Platform. Available from www.gpplatform.ch/sites/default/files/Brief%2006%20-%20Resilience%20Conceptual%20Reflections%20-%20Oct.%202012,%20with%20CCDP.pdf

Lambourne, W. and L.W. Gitau
2013 Psychosocial interventions, peacebuilding and development in Rwanda. Journal of Peacebuilding and Development, 8(3):23–36.

Laplante, L.J.
2011 Linking peacebuilding and health in post-conflict settings: The right to health, empowerment and civil society. Essay Series 3. Working Group on Peace and Development (FriEnt). Available from www.medicusmundi.org/contributions/events/2012/health-systems-strengthening-in-fragile-states.-mmi-ntwork-meeting/collection-of-case-studies/frient-peacebuilding-and-health-in-postconflict.pdf

Lederach, J.P.
1997 Building Peace: Sustainable Reconciliation in Divided Societies. United States Institute of Peace Press, Washington, D.C.

Menkhaus, K.
2013 Making Sense of Resilience in Peacebuilding Contexts: Approaches, Applications, Implications. Paper no. 6. Geneva Peacebuilding Platform. Available from www.gpplatform.ch/sites/default/files/PP%2006%20-%20Resilience%20to%20Transformation%20-%20Jan.%202013_2.pdf

Mercy Corps
2017 General - Quick facts: What you need to know about the Syria crisis. Available from www.mercycorps.org/articles/iraq-jordan-lebanon-syria-turkey/quick-facts-what-you-need-know-about-syria-crisis

Moore, C.W.
2014 The Mediation Process: Practical Strategies for Resolving Conflict. Fourth edition. Jossey-Bass, San Francisco.

Pandit, V.L.
2012 Conflict Prevention, Management, Resolution. Berghof Foundation, Berlin.

Parent, G.
2011 Peacebuilding, healing, reconciliation: An analysis of unseen connections for peace. International Peacekeeping, 18(4):379–395.

Sacipa-Rodriguez, S. and M. Montero (eds.)
2014 Psychosocial Approaches to Peace-Building in Colombia. Springer, Switzerland.

The UN Peacebuilding Fund
n.d. What is Peacebuilding? Available from www.unpbf.org/application-guidelines/what-is-peacebuilding/

٣,٧,١. لائحة بالأطروحات

Al Hanash, M.
2014 The Role of Women in Emergencies and Peacebuilding: Field Study of Women's Role in the Syrian Crisis. Executive Master thesis, Lebanese University, Beirut.

Al Hayek, W.
2014 Mutual Impact of Using Peacebuilding and Psychosocial Support Activities on the Social Efficiency of Applied Programmes: Tartus City as an Example. Executive Master thesis, Lebanese University, Beirut.

Al Jundi, A.
2014 The Social Structure of the Syrian Crisis: Roots, Involvement in the Conflict, Impacts and Suggested Solutions. Executive Master thesis, Lebanese University, Beirut.

Aoun, M.
2014 A Description and Discussion of a Possible Adaptation of the Peace Deal Workshop based on Concepts and Tools derived from the Master's in Psychosocial Support and Dialogue. Executive Master thesis, Lebanese University, Beirut.

Kchour, H.
2015 Overcoming Polarization between Refugees and Host Communities in Lebanon. Executive Master thesis, Lebanese University, Beirut.

Khawanda, G.
2014 Effective Communication between the Parties and Its Impact on Conflict Resolution. Executive Master thesis, Lebanese University, Beirut.

Kibrit, A.
2014 Conflict Resolution in Crises: Conflict Resolution in Shelters in Lebanon as an Example. Executive Master thesis, Lebanese University, Beirut.

Moukarzel, Y.
2014 Proposed Curriculum for Education of Children in Conflict Resolution. Executive Master thesis, Lebanese University, Beirut.

Mousa, E.E.
2014 Identity Transformation of Syrians who are Living the Crisis and the Horizon of Possible Solutions. Executive Master thesis, Lebanese University, Beirut.

Nohaili, R.
2014 Reviving Social Cohesion by Using Peacebuilding Techniques – Dialogue: An Experimental Study at a Social Centre in the Hama District in Damascus Suburbs. Executive Master thesis, Lebanese University, Beirut.

Touma, B.
2015 A Dialogue with Special Needs: Reflections on the State of Dialogue under the Syrian Crisis. Executive Master thesis, Lebanese University, Beirut.

خلاصة عامة

أجرى طلاب برنامج الماجستير في الدعم النفسي الاجتماعي والحوار في نسختيه بحثهم في سياق إحدى الأزمات الأكثر مأساوية في عصرنا، وفي ظل صعوبات لوجستية جمّة. تمرّ التعريف عن الجمهورية العربية السورية على أنها "حالة طوارئ معقّدة"[١]، ومعنى ذلك، بحسب تعريف اللجنة الدائمة المشتركة بين الوكالات، "أزمة إنسانية تنشأ في بلد أو منطقة أو مجتمع، حيث تنهار السلطة تماماً أو بصورة ضخمة نتيجة لصراع داخلي أو خارجي، وتتطلب استجابة دولية تتجاوز ولاية أو قدرة أي وكالة قائمة بذاتها و /أو البرنامج القطري الجاري للأمم المتحدة"."[٢] تستتبع حالة الطوارئ المعقدة عادةً عنفاً بالغاً وخسائر فادحة في الأرواح، ونزوحاً بأعداد هائلة وأضراراً واسعة النطاق تلحق بالمجتمعات وبالاقتصاد.[٣] في هذه الحالات، تعيق القيود السياسية والعسكرية عملية تسليم المساعدات الإنسانية الواسعة النطاق الضرورية، فيما يواجه عاملو الإغاثة الإنسانية مخاطر أمنية شديدة.[٤] في الجمهورية العربية السورية، يعيش ثلاثة ملايين شخص تقريباً في مناطق لا يمكن للجهات الفاعلة الإنسانية الوصول إليها باستمرار. من بين هؤلاء، أكثر من أربعمئة ألف لا يزالون يعيشون في مناطق محاصرة في العام ٢٠١٧,[٥] أكثر من ستة ملايين شخص ينزحون داخل الجمهورية العربية السورية، فيما تستضيف المنطقة خمسة ملايين شخص.[٦] بحسب دائرة الحماية المدنية والمساعدات الإنسانية التابعة للاتحاد الأوروبي، "استقبل لبنان مليوناً ونصف مليون لاجئ سوري وفلسطيني من سوريا، ويمثّل هذا العدد ٣٠٪ من عدد سكان لبنان، وهي أعلى نسبة تركّز للاجئين في العالم بالنسبة لكل فرد من سكّانه".[٧] خلال العام ٢٠١٧، تدهورت أوضاع اللاجئين السوريين في لبنان الذي يعيش

---

١ الاتحاد الدولي لجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر، نداء الطوارئ – سوريا: حالة طوارئ معقدة، نداء مراجع رقم MDRSY٠٠٣، تموز ٢٠١٢، مراجع في أيار ٢٠١٦. متوفّر على الرابط: http://adore.ifrc.org/Download.aspx?FileId=131598؛ وكالة الولايات المتحدة للتنمية الدولية، سوريا - حالة طوارئ معقدة، صحيفة حقائق رقم ٢، الأول من شهر آذار ٢٠١٧. متوفر على الرابط: https://www.usaid.gov/sites/default/files/documents/1866/USG_Syria_Complex_Emergency_Fact_Sheet_2.pdf_-_03.01.17

٢ اللجنة الدائمة المشتركة بين الوكالات، الاجتماع العاشر، كانون الأول ١٩٩٤، مذكور في: مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية (OCHA)، دليل مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية الإرشادي المتعلّق بحالات الطوارئ المعقدة، آب ١٩٩٩. متوفّر على الرابط: https://reliefweb.int/sites/reliefweb.int/files/resources/OCHA%C2%A0ORIENTATION%20HANDBOOK.pdf

٣ المرجع نفسه

٤ المرجع نفسه

٥ مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية (OCHA)، لمحة عن الاحتياجات الإنسانية ٢٠١٨ – الجمهورية العربية السورية (٢٠١٧). ص. ٤. متوفر على: https://reliefweb.int/sites/reliefweb.int/files/resources/2018_syr_hno_english.pdf

٦ المرجع نفسه، ١١: مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين (UNHCR)، آخر المستجدات: السوري اللاجئ والنازح داخلياً يعود. 30 حزيران 2017. متوفر على: https://reliefweb.int/sites/reliefweb.int/files/resources/58330.pdf

٧ دائرة الحماية المدنية والمساعدات الإنسانية التابعة للاتحاد الأوروبي، لبنان ٢٠١٨، آخر تحديث في ٦/٤/٢٠١٨ متوفر على: https://ec.europa.eu/echo/files/aid/countries/factsheets/lebanon_syrian_crisis_en.pdf

أكثر من نصفهم في فقر مدقع.[٨]

لا يمكن تحديد حجم الضرر الذي لحق بسبل وفرص عيش الشعوب المتضررة. إن الحياة اليومية للأطفال الذين يشكّلون أربعين بالمئة من الشعوب المحتاجة في الجمهورية العربية السورية[٩] قد تعطّلت بسبب الأزمة. تعرّض الأطفال والمراهقون لمستويات عالية من العنف والمعاناة النفسية العميقة، وتمرّ تجنيد بعضهم للقتال من قبل الجهات المسلحة،[١٠] ويعاني الكثيرون لتحديد آفاق التعليم وفرص العمل في مستقبلهم.[١١] تأثرت فرص الحصول على التعليم بشدة بسبب انعدام الأمن وبسبب الهجمات المتعمدة المستمرة على المرافق التعليمية، إضافة إلى استخدام المباني المدرسية لأغراض أخرى (مثلاً كملاجئ للنازحين داخلياً).[١٢] هناك أدلة واسعة الانتشار على وجود مخاطر عاطفية شديدة بين الأشخاص الذين يعيشون داخل الجمهورية العربية السورية واللاجئين في الدول المجاورة المضيفة.[١٣] في هذه السياقات، ترتبط حاجة المجتمعات المتضررة لدعم نفسي اجتماعي بشكل وثيق بالضرورة الملحّة لتفادي "ضياع جيل"، باعتراف منظمات المساعدة الإنسانية الرئيسية،[١٤] ولوضع الأساسات للتعافي الاجتماعي وإعادة الإعمار في السنوات القادمة.

سلّطت فصول هذا الإصدار الضوء بشكل جيد على الأهمية الحيوية للدعم النفسي الاجتماعي والوساطة في النزاعات والتدخلات المبنية على الفن بالنسبة إلى جيل اليوم والأجيال المستقبلية في هذه المنطقة المتضررة من الأزمات، كما وعلى العوائق اللوجستية والأمنية والثقافية الكبيرة التي تواجه الدعم والوساطة والتدخلات هذه. يجب ألا ننسى أيضاً العنصر المالي، إذ أن تأمين خدمات الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي يعتمد بشكل كبير، في كل من الجمهورية العربية السورية والدول المضيفة المجاورة، على المساعدات الدولية التي هي، على كل حال، أقل من الاحتياجات المقدّرة والتي من المرجّح أن تتقلّص تدريجياً.[١٥] من هذا المنطلق، تمثّل تحدّي طلاب الماجستير، الذين هم أنفسهم مواطنون من البلدين

٨ مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، "أظهر استطلاع أن اللاجئين السوريين داخل لبنان قد أصبحوا أكثر فقراً وأكثر ضعفاً في العام ٢٠١٧"، موجز إخباري، ٩ كانون الثاني ٢٠١٨. متوفر على: www.unhcr.org/news/5a548d174/survey-finds-syrian-refugees-lebanon-poorer-vulnerable-2017.html/1/briefing/2018

٩ مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية (OCHA)، 2017:10.

١٠ المرجع نفسه، ٤١.

١١ المرجع نفسه، ١٠.

١٢ المرجع نفسه، ٩،١٨.

١٣ الهيئة الطبية الدولية، تلبية احتياجات الصحة النفسية الإقليمية ومعالجة الثغرات في سياق الأزمة السورية (الهيئة الطبية الدولية، لوس أنجيلوس وواشنطن، ٢٠١٥). متوفر على: https://internationalmedicalcorps.org/wp-Syria-Crisis-Addressing-Mental-Health.pdf/07/content/uploads/2017؛ منظمة الصحة العالمية، صحيفة حقائق حول أهداف التنمية المستدامة: الأهداف الصحية – الصحة النفسية (المكتب الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية في أوروبا، الدنمرك)، ص. ٣. متوفر على: http://www.euro.who.int/__data/assets/pdf_file/0017/348011/pdf.2017-09-Fact-sheet-SDG-Mental-health-FINAL-04؛ منظمة الصحة العالمية، "معالجة الأثر الصامت للحرب: منظمة الصحة العالمية توسّع نطاق خدمات رعاية الصحة النفسية في سوريا"، ٢٧ آذار ٢٠١٧. متوفر على: www.emro.who.int/syr/syria-news/who-expands-mental-health-care-services-across-syria.html

١٤ لا لضياع جيل، عن NLG. متوفر على: http://nolostgeneration.org/page/about-nlg

١٥ الهيئة الطبية الدولية، ٢٠١٥:١٠.

المعنيين، بأن يطوّروا و، إلى حدٍّ ما، أن يختبروا نُهُجاً إبداعية تحت كل محورٍ من برنامج الماجستير الثلاثة بهدف المساهمة في تصميم تدخلات فعالة، مستخدمين مجموعة كبيرة من الأدوات. على الرغم من القيود التي فرضها السياق الذي جرت فيه الأعمال الميدانية، أقرّ الخبراء الذين ألّفوا هذا الإصدار بالقيمة المضافة لأعمال هؤلاء الطلاب، التي تضع بعض الحجارة المفيدة التي من شأنها أن تخدم كأساس للمزيد من التأملات الضرورية من قبل اختصاصيين في المجالات المعنية. في النهاية، إن القاسم المشترك الذي يميّز مساهمات الخبراء الثلاث في هذه الدراسة هو ضرورة "بناء جسور"، وهو تعبير غالباً ما تردد في أطروحات الطلاب.[١٦]على حدّ تعبير سالم، يجب بناء جسر بين "العاملين في المجال الإنساني" والأفراد ضمن مجموعات وضمن مجتمعات، "بعيداً عن استقطاب التدخلات الإنسانية-العلاجية وعن فخ الإنساني لمثلّث الضحية والمنقذ والجاني"، وهو هدف يسعى إليه نموذج الدائرة المعقّدة (CCM).[١٧] جسرٌ آخر يمكن ويجب بناؤه، كما أكّد صفا في تحليله، بين الدعم النفسي الاجتماعي وتدخلات بناء السلام.[١٨] يتّفق صفا مع طلاب الماجستير على جدوى النُهُج المتكاملة التي تقرّ بأن أدوات الدعم النفسي الاجتماعي الهادفة إلى تدعيم القدرة على الصمود ومساعدة الأشخاص على التعافي من المعاناة الناجمة عن العنف، لديها الكثير من الأهداف المشتركة مع عمل بناء السلام، الذي يركّز على "تحويل المشاعر والعلاقات والمفاهيم على المستويات العلائقية والشخصية والمجتمعية".[١٩] أخيراً، وكما تُظهر روسي غيغليوني بشكل فعّال، من الضروري جداً بناء جسور، من خلال التدخلات المبنية على الفن، بين التجارب السلبية التي تعاني منها الشعوب المتضررة في الجمهورية العربية السورية ولبنان، وبين قدرات الأفراد. من شأن إدراك نقاط القوة والمهارات الشخصية أن يُطلق "عمليات تعزز الصحة والرفاه" قائمة على التمكين الشخصي وحتى، من خلال نُهُج قائمة على المجتمع، أن يؤثر بشكل إيجابي على المجتمع الأوسع نطاقاً، وبالتالي المساهمة في تعزيز السلام.[٢٠] برأي رؤساء التحرير أن الدروس المستخلصة، والاعتبارات النقدية والمواضيع الأساسية التي حددها كلٌّ من المؤلفين في الأعمال الميدانية التي حللوها، بالإشارة إلى مجالات الدعم النفسي الاجتماعي بواسطة النهج النسقي، والوساطة في النزاعات على المستوى البديل الصغير، واستخدام العمليات الإبداعية والثقافية للتعافي الاجتماعي والشخصي، من شأنها أن تساهم بالفعل في تثبيت ودعم، بطريقة نقدية وتقنية، مبادرات الدعم النفسي الاجتماعي التي تجري حول الأزمة في الجمهورية العربية السورية وفي حالات مشابهة من الأزمات المعقّدة والطويلة الأمد. في هذا السياق، لا يجب اعتبار هذا الإصدار عرضاً أو تقريراً عن العمل الذي تم القيام به، بل أداةً لدعم العاملين في المجال الإنساني، من مصممي التدخلات إلى أولئك الذين يستجيبون على المستوى الشعبي، الذين يعملون في ظروف غير مسبوقة من التعقيد الأخلاقي والسياسي واللوجستي والتقني.

أندريا دي غوتري
كيارا ماكي
غوغلييلمو سكينينا

١٦ سالم، فص. ١، فقرة ٣.
١٧ سالم، فص. ١، فقرة ٨.
١٨ لتفسير واضح لتعريف مصطلح "بناء السلام" كما ورد في هذا الإصدار، يرجى الرجوع إلى صفا، الفصل ٣.
١٩ المرجع نفسه، فقرة ٢.
٢٠ روسي غيغليوني، فص. 2، فقرة 2.8.

المؤلفون

ماري آدال سالم تخرّجت عام ٢٠٠٧ من برنامج الماجستير النفسي الاجتماعي التنفيذي في التنشيط النفسي الاجتماعي في المجتمعات التي مزّقتها الحروب الذي نظمته المنظمة الدولية للهجرة (IOM) بالاشتراك مع الجامعة اللبنانية. سالم معالجة معتمدة في علم النفس العائلي النسقي وخبيرة في برامج الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي. تعمل منذ العام ٢٠٠٦ مع عدة منظمات غير حكومية ووكالات تابعة للأمم المتحدة تتدخل في النزاعات المسلحة والكوارث الطبيعية وحالات الطوارئ المعقدة كمستشارة في أمور الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي وفي مشاكل العنف القائم على النوع الاجتماعي والحماية منه من منظور الصحة النفسية في آسيا وأميركا الوسطى وأفريقيا والشرق الأوسط. يتمثل عملها في تطوير القدرات والعناية الذاتية للجهات الفاعلة العاملة في هذا المجال، وفي تطوير البرامج وتقييمها. أعدت عدداً من الكتيبات وبرامج التدريب حول أفضل الممارسات لدعم كل من الشعوب المتضررة والعاملين في المجال الإنساني المتضررين بسبب انخراطهم في هذا العمل الشاق.

أليساندرا روسي غيغليوني هي مديرة ومؤسسة مركز المسرح الاجتماعي والمجتمعي في جامعة تورينو (Unito/SCT Centre). هي ايضاً زميلة باحثة وأستاذة مساعدة في جامعة تورينو. صممت منهجية المسرح الاجتماعي والمجتمعي، واتّبعت هذه المنهجية لإدارة عدة مشاريع بحث تطبيقية تركّز على الرفاه والصحة والتنوع الثقافي والمجتمعات الجامعة. بصفتها مستشارة ومشرفة على برامج وطنية ودولية (المنظمة الدولية للهجرة وتحالف الحضارات التابع للأمم المتحدة وأوروبا المبدعة وألكوترا) حول المجتمعات التعددية، والدعم والرفاه النفسي الاجتماعي، تقوم بالتدريب على بناء القدرات وبناء الأفرقة في مؤسسات وطنية ودولية وعامة وخاصة. كمؤلفة مسرحية، عملت منذ العام ١٩٩٤ في المسرح الروائي الإيطالي المعاصر. عام ٢٠٠٤، أسست تياترو بوبولاري إروبيو (Teatro Popolare Europeo)، الشريك الفني لجامعة تورينو، وقامت بإخراج أكثر من عشرين عملاً استعراضيا مهنياً وعدة مشاريع مسرح مجتمعي.

أسامة صفا خبير في عمليات الوساطة والتيسير، يملك خبرة عشرين عاماً في هذين المجالين. هو متخصص في تسوية النزاعات وبناء التوافق والتوعية بين الثقافات، وقد أدار عدة حلقات عمل حول الوساطة والمفاوضات والتعاون على حل المشاكل في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، القوقاز، جنوب شرق آسيا، أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، الولايات المتحدة وأوروبا. هو المستشار والمدرب الرئيسي في البرامج البديلة لتسوية النزاعات في المغرب والأردن ومصر والأراضي الفلسطينية. هو حالياً رئيس قسم لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا؛ شغل منصب مدير عام المركز اللبناني لدراسة السياسات (بيروت). قام وشارك بتأليف عدة إصدارات واستعراضات كتب حول تسوية النزاعات؛ يحمل شهادتي دراسات عليا في تسوية النزاعات وفي التنمية الدولية من الجامعة الأميركية في واشنطن، العاصمة، وشهادة في العلوم السياسية من الجامعة الأميركية في بيروت.

رؤساء التحرير

أندريا دي غوتري بروفيسور متفرّغ في مادة القانون الدولي العام وهو نائب رئيس معهد سانت آنا للدراسات المعمّقة في بيزا، إيطاليا. يدير معهد DIRPOLIS (منذ العام ٢٠١٤) وبرنامج التدريب الدولي لإدارة النزاعات (منذ العام ١٩٩٥). تركّز أبحاثه بشكل خاص على مواضيع متعلّقة بمكافحة وإدارة الكوارث الطبيعية والكوارث من صنع الإنسان. آخر إصداراته تتضمن International Disaster Response Law (قام بتحريره بالتعاون مع ج. فينتوريني ومر. جيستري 2012, TMC Asser Press/Springer Verlag) وForeign Fighters Under International Law and Beyond (قام بتحريره بالتعاون مع ك. بولوسون وف. كابوني، 2016، TMC Asser Press/Springer Verlag).

كيارا ماكي حائزة على شهادة دكتوراه في القانون الدولي لحقوق الإنسان من معهد سانت آنا للدراسات المعمّقة (بيزا، إيطاليا)، حيث تعمل أيضاً كزميلة باحثة وأستاذة محاضرة حائزة على شهادة الدكتوراه في إدارة الأعمال وحقوق الإنسان والقانون الدولي لحقوق الإنسان. هي بروفسور معاون في جامعة بيزا وباحثة معاونة في مشروع إسكس للأعمال وحقوق الإنسان التابع لجامعة إسكس، كلية الحقوق (المملكة المتحدة)، حيث لا تزال باحثة زائرة. تتضمن اهتماماتها البحثية الرئيسية التزامات الدول المتعلقة بحقوق الإنسان خارج حدودها الإقليمية ومساءلة الشركات عبر الوطنية عن انتهاكات حقوق الإنسان.

غوغلييلمو سكينينا، ماجستير آداب وماجستير في العلوم، رئيس قسم الصحة العقلية والاستجابة النفسية الاجتماعية والتواصل بين الثقافات في المنظمة الدولية للهجرة. طوال السنوات العشرين الماضية، شغل منصب مدير برامج نفسية اجتماعية ومدرّب في أكثر من ستين بلداً مع منظمات دولية، منظمات غير حكومية ومؤسسات أكاديمية. يشارك بإدارة المدرسة الصيفية للتدخلات النفسية اجتماعية في حالات الهجرة والطوارئ والنزوح (٢٠١٠-٢٠١٨) التي ينظمها معهد سانت آنا للدراسات المعمّقة بالاشتراك مع المنظمة الدولية للهجرة، كما وصمّم برنامج الماجستير التنفيذي في الدعم النفسي الاجتماعي والحوار للمهنيين السوريين واللبنانيين. آخر إصداراته Objectification and abjectification of migrants: Reflections to help guide psychosocial workers Intervention, 15(2):100 -105, 2017).

International Organization for Migration
17 route des Morillons, P.O. Box 17, 1211 Geneva 19, Switzerland
Tel: +41 22 717 9111 • Fax: +41 22 798 6150
Email: hq@iom.int • Website: www.iom.int